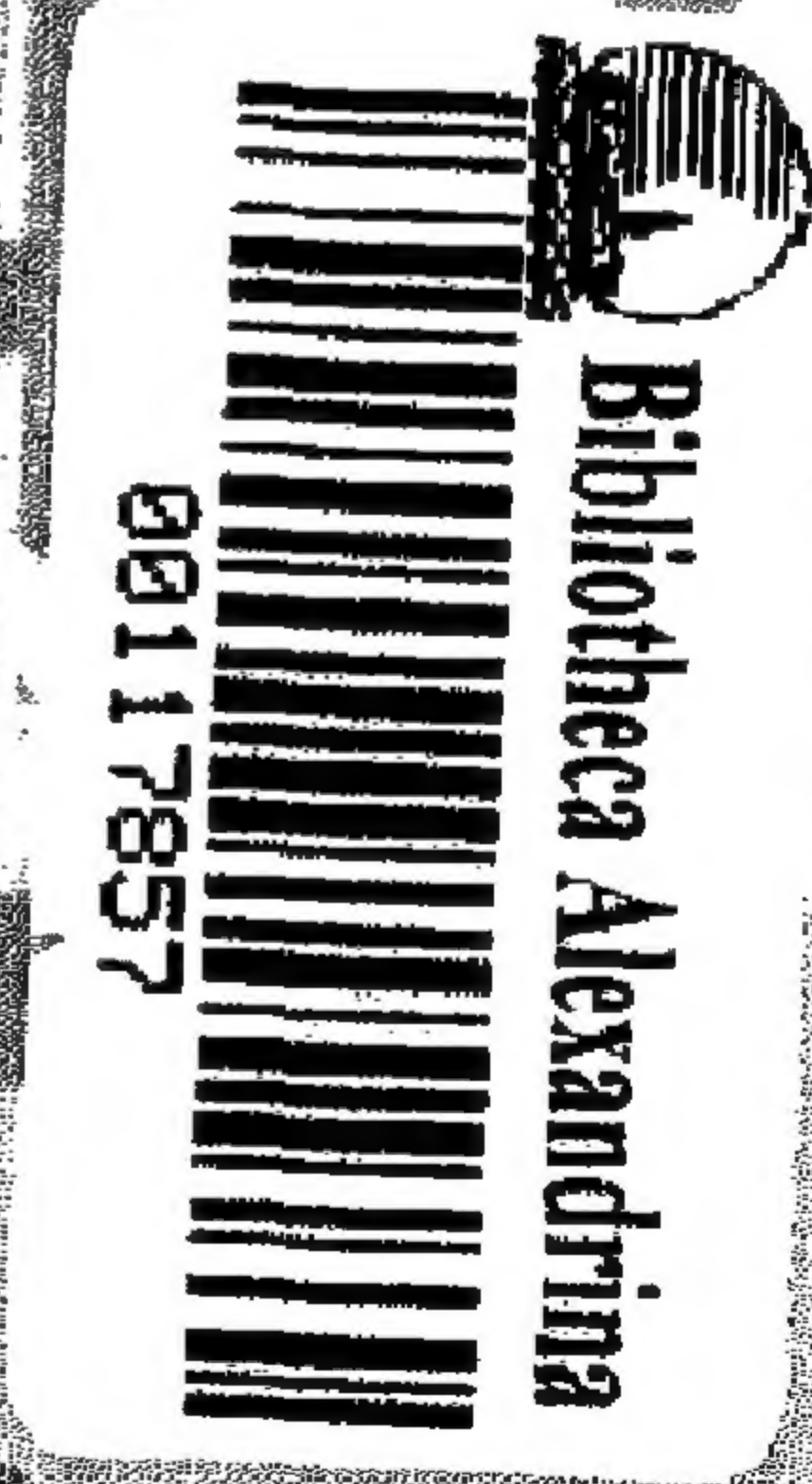
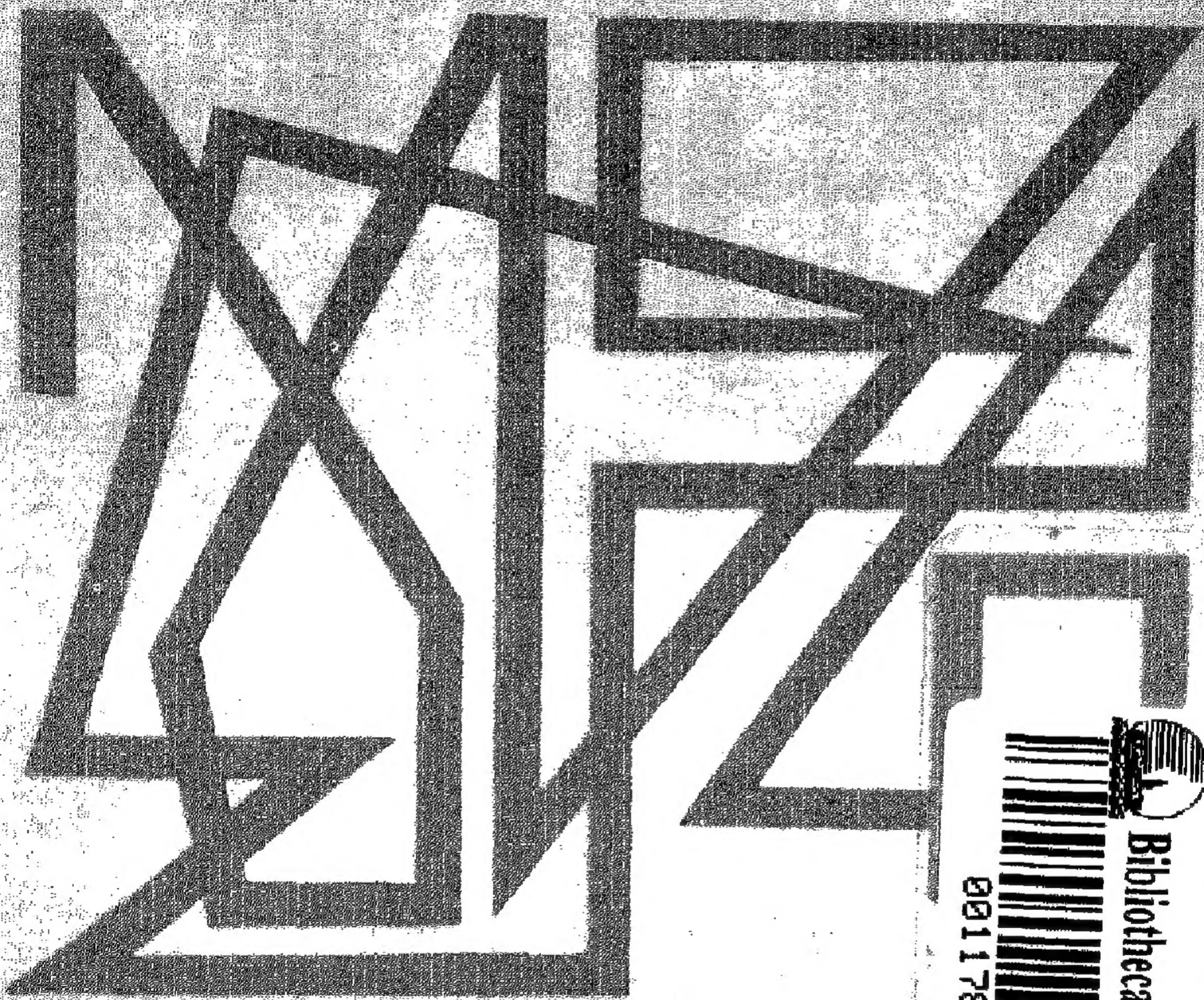


شاكر البساوي



المكتبة
الاسلامية
بجامعة
البحر



في بعض المفاهيم والافتكار

حقوق الطبع محفوظة

1996

دار الينابيع

«للطباعة والنشر والتوزيع»

دمشق ص.ب 6348

☎ 3324914

☎ التوزيع في لبنان:

دار الفارابي

بيروت - ص.ب: 11/3181

☎ 305520

☎ التوزيع في مصر

دار النهر

20 ش الطوبجي - خلف مرور الجيزة

ت - فاكس 3489018

❖ تصميم الغلاف: الفنانة أليسا زيلينوفا

❖ الإخراج الفني: مي مكارم

شاكر اليساوي

في بعض المفاهيم والأفكار


مقدمة

تتردد في الكتب والدراسات والمقالات الكثير من المقولات والاصطلاحات والصيغ التي في غالب الأحيان تحتاج إلى معرفة مسبقة بمعناها ومضمونها أو مراجعة بعض القواميس، وإلا فإن القارىء سيضطر إلى القفز من فوقها، مما يتسبب في ضياع المغزى المطلوب.

لذا رأينا في سبيل المزيد من الوضوح أن نفسر ونشرح بعض هذه المفاهيم والأفكار والمصطلحات التي تفيد في تحديد المعاني وكسب الفائدة اللازمة.

ومن هذه المفاهيم والأفكار ما هو فلسفي واجتماعي وتاريخي، ومنها ما هو سياسي واقتصادي. وقد آثرت ترتيبها حسب مجالاتها العلمية أو توافقها في مبادئها المعرفية، دون تبويب كما هو في الكتب، أو ترتيب حسب الأحرف الأبجدية كما هو معروف في القواميس، لأن عملي المتواضع هذا لا تتوفر له سمات الكتاب التي تحتاج إلى تبويب ولا سمات القاموس التي تحمل على الترتيب حسب الحروف الأبجدية والعمل الموسوعي الكبير، وإنما هو مسعى متواضع يستهدف مفاهيم ومقولات قليلة في مجالات متفرقة ولكنها مهمة. وقد

اعتمدت في دراسة هذه المفاهيم والافكار على عشرات المصادر ومن ما تن في
متناول يدي من مراجع تثري المعرفة في هذا المجال. ولعلي في جهدي البسيط
أكون قد حققت بعض الفائدة لما فيه خير الأمة والوطن. سيما وان الكتب
المتخصصة في مبدان التعريفات قليلة في المكتبة العربية.

شاكر اليساوي 

«السياسة»

ما هي السياسة؟ السياسة هي مشاركة المواطن في تقرير الشؤون العامة. (وهي فن وعلم عملي بتحريك البشر والأشياء). (1)

«إن الفن السياسي هو بصورة رئيسية فن القرار، بمعنى أنه يتطلب التمتع بملكية المجلس، مجلس التدبير الذي يبدو أكثر ملائمة، كما يتطلب الشعور بالمسؤولية قبل ما يتصدى للدفاع عنه» (2)

السياسة عند ميكافيلي فن عقلاني «يتجلى في القدرة على استثمار وتوظيف وحشد طاقات الأمة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والطبيعية من أجل بناء مجتمع متقدم. والسياسة في مفهوم ميكافيلي فن وضعي كذلك، بمعنى أنها ترفض كل مناقشة حول القيم والغايات.

عند ميكافيلي أصبحت السياسة معلنة وأكثر ازدياء لحكم الكهنة والسلطة الزمنية للكرسي المقدس. طرد كل ميتافيزياء من السياسة، وفصل فصلاً جذرياً بين (مدينة الله وبين مدينة البشر). (3)

السياسة علم عملي إذ هناك صلة بين المعرفة والسلطة إلى توحيد غاياتهما عن طريق الاعتراف الاجتماعي بالحقية العلمية. (إن الصلة الاجرائية للعلم الحديث تجعل

(1) - اللاعقلانية في السياسة - ياسين الحافظ - دار الطليعة - بيروت - ص 23 - ط 1975

(2) - ما هي السياسة - جوليان فرولد - مطبوعات وزارة الثقافة السورية - ص 12 - ط 1981

(3) - تاريخ الأفكار السياسية - جان توشار - مطبوعات وزارة الثقافة السورية ص 370 - 373 ط 1984

لغته النظرية لغة سياسة... إن العلم وسيلة من وسائل السلطة، إلا أن السلطة أيضاً وسيلة العلم في ازدهاره... ولكي نحوز غايات العلم على دعم الدولة يجب أن تتماثل مع غايات المجتمع.(1)

السياسة لا تعني العمل الدبلوماسي المجرد، أو التكلفة أو الخلفة الآنية لتحقيق غاية عارضة أو مكسب مؤقت، وإنما هي فن الحشد والتسيق، وحسن التدبير وإقامة التوازن على صعيد التطور في كل مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعسكرية والحضارية والاستفادة من البشر والأشياء والمواد وذلك بتوجيهها توجيهاً دقيقاً يدفع عجلة التقدم إلى الأمام.

السياسة تعني تدبير شؤون الأمة، أو هي الشكل الذي يتحقق فيه تاريخ أمة، بين تعددية من أمم، وهي الفن العظيم للحفاظ على الأمة (في شكل لائق) داخلياً - استعداداً للأحداث الخارجية، وهذه هي العلاقة الطبيعية بين السياسة الداخلية والخارجية.(2)

إن السياسة هي عملية الفعل في الواقع أو الموضوع، فالمطلوب من السياسة معرفة الواقع ولمسه حسياً، ثم تناوله كموضوع وهدف للعمل من أجل تغييره أو إصلاحه، أو تناوله بيد الهدم بهدف إعادة بناء من جديد على ضوء ما تتطلبه ظروف التطور والتحول في كل مرحلة من مراحل التاريخ.

السياسة تشكل فعالية مستقلة نسبياً عن الاقتصاد، إذ هناك علاقة جدلية بين البنى التحتية والسقف السياسي، فالسقف السياسي ليس افرازاً ميكانيكياً للبنى التحتية، وإنما هو حصيلة تفاعل خلاق بين الطبقة السياسية وقاعدتها المادية، لأن السياسة في المحصلة

(1) - العلم والسياسة - جان جاك سلمون - مطبوعات وزارة الثقافة السورية ص 112 - 114 - ط 1977.

(2) - تدهور الحضارة الغربية - أشوالد اشليختر - ترجمة أحمد شياني - الجزء الثالث - ص 240.

الأخيرة قوة تسعى لقلب البنى القديمة التي تعيق عملية التطور، فبدون طبقة سياسية أو نخبة ثورية لا يمكن أن يحصل تقدم نحو فتح طريق لسيرورة ثورة قومية ديمقراطية. فالتطور الموضوعي سوف يكون بطيئاً دون تدخل الذات الثورية التي تسرع في وتيرة اتخاذ أي قرار عظيم.

كذلك السياسة أداة حاسمة للتحرير رغم أن للعلم والدين والفن والاقتصاد مثل هذا الادعاء.

إن السياسة كما علم لينين «هي العلاقة بين الطبقات، هي الاشتراك في شؤون الدولة، وتحديد أشكال ومضمون الدولة ويجب أن تصبح السياسة حسب لينين قضية الطبقة العاملة، قضية الشعب بأسره».

السياسة قدرة على استثمار الزمن، وحشد الإمكانيات وإثارة اليقظة والوعي لدى الشعب وتصليب إرادته وحثه على الانضباط والتنظيم، والسياسة ليس العمليات الحسابية البسيطة، بل هي الرياضيات العليا «الجبر». كما أن السياسة تكيف الجوع حركة المجتمع وتوازناته وميوله وايدئولوجياه والمصالح التي تصطرع فيه. ولا تكون السياسة تقدمية إلا إذا استهدفت تحريك وتوعية القوى الساحقة الواسعة من الشعب كالعمال والفلاحين والمرأة. ولقد كان لينين على صواب حين قال «السياسة تبدأ هناك حيث توجد الملايين لا حيث توجد الآلاف.. فهناك حيث توجد الملايين، هناك فقط، تبدأ الجديدة.

مع ميكافيلي بدأ معنى للسياسة بالمفهوم الحديث، وبعد أن كان مصدر السياسة اللاهوت ومكبلة بكل القيود التي تملئها الاعتبارات القروسطية وتفرضها مصلحة الاقطاع. وحده ميكافيلي كسر القضبان التي تحتجز السياسة الحديثة، هذه السياسة ترتكز «أولاً على المصلحة القومية، وليس العقيدة الدينية، ثانياً على التمييز بين الحقيقة

الواقعية والمعتقد، أي سياسة ترى من الأنسب الذهاب إلى الحقيقة الفعلية بدلاً من الالتقاء بتخيله (ميكافيلي)، ثالثاً على مبدأ سيادة الأمة. تحديث السياسة بدأ مع ميكافيلي وتابعت بعده، ارتكزت ولا شك على نمو المدن وتشوء المجتمع الصناعي وتطوره، إلا أنها ارتكزت بنفس النسبة على تظاهرة مواكبة أخرى، أي صعود النزعة القومية وبناء الدولة البرجوازية المتحررة من سلطان الكنيسة، اللذين أرسيا، بتضافر عوامل أخرى علمنة وعقلنة المجتمع العربي.⁽¹⁾ وهكذا فإن السياسة لم تصبح حديثة إلا بالعلمانية والعقلانية.

السياسة ليس الحق ولا الرياء ولا التزلف ولا الكذب ولا طمس الحقائق ولا تزوير التاريخ ولا قلب الأبيض أسود، ولا الانفراد بالسلطة وتسويغ القمع ومصادرة الحريات والغاء التعددية في الرأي، بل إن السياسة هي الحوار العقلاني والايجابي مع كل الفرقاء والمعارضين، هي المعارضة والصدق والتواضع، والاعتراف بنسبية الحقائق وإيثار المصلحة العامة الوطنية والقومية على المصلحة الخاصة، وهي الثقة المتبادلة بين الحاكم وبين المحكوم القائمة على احترام الشعب والرأي العام والتزول عند اللزوم إلى جانبه والاستجابة لإرادته.

* * *

(1) . اللاعقلانية في السياسة ص 12 - 13. مصدر سابق.

«السياسوية»

السياسوية هي العفوية في وعي بعض الظواهر السياسية. وهي إدراك كاريكاتوري وحيد الجانب للفعل السياسي. وبمعنى آخر هي نزعة جزئية تنصب على عداء الدولة أو الحكم أو المخططات والمزامرات بوصفها السبب والنتيجة. هذه النزعة ترى أن التأخر العربي يتعلق بالسقف السياسي فقط، وليس تأخراً تاريخياً شاملاً في جميع أركان العمارة العربية، الاجتماعية، الاقتصادية - السياسية، الفكرية... الخ كما ترى الهزائم العربية بمنظار رومانسي على أنها نتيجة مؤمرات وحظوظ عائرة.

* * *

أهم المناهج «السياسية»

هناك العديد من المناهج التي تستخدم في دراسة العلوم السياسية كالمناهج الفلسفي، والمنهج القانوني، وهناك الطريقة الاحصائية، ولكن أهم المناهج ثلاثة.

1- المنهج التاريخي: ويهتم هذا المنهج.

أ - يعامل الزمن فهو يدخله في جميع مجريات التحليل، إذ يتم تحديد مختلف الظواهر تبعاً لاختلاف عامل الزمن.

ب - استبعاد الأسلوب التجريدي في التحليل والعناية بدراسة الاحداث والوقائع.

ج - يرتبط أسلوب البحث التاريخي بفكرة التطور، وقد تأثر وأثر كل منهما بالآخر.

د - ليس من الضرورة للمنهج التاريخي اللجوء إلى المنهج المقارن.

2- المنهج الوظيفي:

هذا المنهج يتناول وظيفة النظام السياسي، ويعتمد على أن بقاء وجود وتطور النظام السياسي مرتبط بأداء وظائف محددة.

بين من نادى بهذا المنهج «غابرييل ألوند» و «جيمس كولمان» اللذان اتبعا ما يطلق عليه المنهج التركيبي الوظيفي.

3- المنهج السلوكي:

يعتمد هذا المنهج على دراسة السلوك السياسي باعتباره الأساس كوحدة للتحليل. وهو يجعل التحليل خاضعاً للملاحظة المباشرة ويستعين في ذلك بالأدوات المستخدمة في الدراسات النفسية، وهو يركز على أن علم السياسة هو أحد العلوم الاجتماعية أو الانسانية التي تشترك في أنها جميعاً علوم سلوكية. ويكون علم السياسة تبعاً لذلك هو علم السلوك السياسي، حيث يعطى اعظم الاهتمام لتفاعل الفرد مع الآخرين داخل الجماعة، وهذا المنهج قد يكون أفضل المناهج التي يمكن أن تفتح آفاقاً عديدة وجديدة في الدراسة العلمية للسياسة.*

* * *

* - للتوسع انظر - دراسات في العلوم السياسية - د، محمود اسماعيل - مكتبة الامارات العين 1984 - ص 64 - 75.

«علم الاجتماع السياسي»

هو دراسة العلاقة المتبادلة بين الدولة والمجتمع، واستكشاف النتائج المترتبة على هذه العلاقة سواء على مستوى الأفراد وأنماط السلوك أو الجماعات والتظيمات الاجتماعية ومن رواد هذا التيار - مونتسكيو - روسو - آدم فيرجسون - سان سيمون. وقد عرف «لورد لنجز» علم الاجتماع السياسي من منظور سوسيولوجي شامل. ويعتبر عبد الرحمن بن خلدون أبو العلم الاجتماعي السياسي، حيث نظر إلى الظواهر السياسية نظرة واقعية، واستخدم المنهج التاريخي للوصول إلى قوانين عامة تفسر الظواهر السياسية.

يهتم التحليل السوسيولوجي للظواهر السياسية - مثل القوى السياسية والاجتماعية - جماعات الضغط - وسائل الاعلام أو الرأي العام - وكذلك العمليات السياسية، كالمنافسة والصراع والتعاون والتوافق والتغيير السياسي. وهذه أهم الموضوعات التي يركز عليها علم الاجتماع السياسي.

* * *

«النقد السياسي»

في المفهوم الثوري يتطابق النقد دائماً مع المظاهر التي يحاكمها فهو لهذا السبب يعني وعي الواقع وتحليله وللمقدرة على إعادة تركيبه وعدم الخلط بين القوانين الثابتة

والظواهر المتغيرة. النقد السياسي يعني النقد الشامل المستند إلى وعي الواقع الذي يزلزل المجتمع الراكد كمجتمعنا العربي، حيث لا يمكن تجاوز شيء دون نقده لذا فإن عملية نقد صارمة يجب أن تتناول المجتمع، لا، السقف السياسي فقط، أفقياً وعمودياً، طويلاً وعرضياً، دون هوادة. هل غلغلك نحن العرب مفهوماً علمياً للنقد الذاتي والموضوعي، أو للنقد السياسي قومياً ودولياً؟ إن الوعي السياسي لدى معظم الأحزاب والمتقنين العرب وعي كاريكاتوري وحيد الجانب استهدف في النقد السطح السياسي والمظاهر والنتائج وتجنب نقد الأسباب وترك المجتمع وأساسه وعلاقاته وذهنيته وثقافته المفقوتة بمنجاة عن النقد. عندنا نحن العرب النقد يعني التشنيع ورصد المزالق. كثيرون هم الذين يفهمون من كلمة النقد إما إدانة الظاهرة المدروسة أو فصل ما هو جيد عما هو رديء وهذه أحط فكرة عن النقد. فتقدنا للهزائم التي لحقت بنا كان نقداً مسطحاً، تبريراً، قطعياً صورها عقلنا بمجرد خيانات وفسرها البعض الآخر تفسيراً أخلاقياً كالبعد عن الدين ونقدنا للامبريالية كان عبارة عن شتم ومهاترات. برأينا أن النقد موقف فكري وتعبير عن أيديولوجية معينة وثقافة خاصة وهو أمانة ومسؤولية لأنه يقيم أفكار الآخرين وممارساتهم كالدولة واجهزتها والأحزاب السياسية والهيئات الفكرية لذا لا بد للنقد أن يقرن بالموضوعية والمنهجية إذ بدون الاستناد إلى منهج يصبح النقد السياسي والأدبي مجرد انطباعات شخصية حيث يتعد عن الحقيقة، النقد لا يكون مجدياً إلا إذا استهدف في طموحاته خلق مجتمع تسوده العلاقات الإنسانية المتكافئة بما يكفل مزيداً من التطور حيث الغاية من النقد تحديث الأمة والارتقاء بطلقات الفرد والمجتمع إلى مستوى إيجابي. النقد نظرة شمولية تتناول العام والخاص ويطلق الأبواب الموصدة وهذا النوع من النقد هو مرحلة نضوج العقل وتفتحه على حقيقة العالم والوجود. وأخيراً النقد السياسي هو محور مركزي في أيديولوجيا الطليعة الثورية، حيث الوعي النقدي هو وعي قتالي

بطبيعته لأنه وحده القادر على النفاذ إلى جذر المشاكل المستعصية في بنية المجتمع الآسن
وعمارته الواهنة.

* * *

«الوعي السياسي»

الوعي هو إدراك الأمور والمسائل بشكل عام وتفصيلي بناء على خلفية
ايدولوجية معينة وفهم وإدراك الحقائق والحوادث والأشياء على أساس علمي. والوعي
مسألة تختص بطبيعة فهم الإنسان لموقعه ودوره في الحياة. فالوعي السياسي الواقعي
والموضوعي والمطابق يعتمد على الإدراك لعناصر الواقع ومركباته المعاصرة، وتقاني
يستند على الاحساس بالمسؤولية اتجاه الأمة والثقافة السياسية تختلف عن الوعي
السياسي فإذا كانت الثقافة السياسية هي المعرفة على أساس يمثل الالمام والاحاطة بما
يدور في العالم من أحداث، فإن الوعي السياسي هو إدراك الإنسان لمسؤولياته
على أسس ايدولوجية علمية، فهو يحيط بالأحداث من أجل فهمها واستيعابها
أولاً، ومن أجل تجسيد هذه المعرفة عملاً واقعياً وصحيحاً ثانياً. لذا فالثقافة
السياسية تتبلور من خلال الفهم الصحيح والمعرفة الواعية للوقائع والأشياء. أما
الوعي السياسي فترجمته الحقيقة المبادرة والعمل لتحقيق ما يمكن تحقيقه في ظل ظروف
محلولة أو معقدة. وهكذا يبدو أن الوعي السياسي أكثر إحاطة وشمولاً من
الثقافة السياسية. وكما يقول فلاسفة المنطق. إن النسبة بينهما نسبة العموم والخصوص
مطلقاً، وتقديرنا أن الفرد الواعي سياسياً لا يصح وعيه إذا كان يقول ما حفظ نظرياً
ويعمل بخلافه أو يرى رأياً مصيياً ولا يتفانى في تطبيقه، إن الوعي السياسي بمبدأ

أو فكرة أو نظرية معياره الافعال وليس الخطابات والثرثرة الفارغة. إن أهم ما يؤكد الرعي هو التطبيق والممارسة واقتحام المخاطر. ما نحتاجه هو الوعي السياسي القومي والعالمي ووعي يستند إلى عقلنة وخلفية ثقافية متحررة من قيود التقليد، ووعي نقدي لا يعرف المحرمات والتابوات.

«الثقافة السياسية»

الثقافة السياسية هي أحد فروع الثقافة الشاملة للمجتمع، إنها ثقافة ثانوية تخضع لتأثير الثقافة ككل. الثقافة السياسية هي الإحاطة بما يحصل في العالم، وهي تتيح للفرد المشاركة في الشؤون العامة. كما أنها وجهة نظر ينطلق الإنسان منها في تفسير الأحداث والظواهر الاجتماعية من زاوية واقعية مادية وجدلية. الثقافة السياسية التي نحن بحاجة لها ثقافة تقدمية نقدية بآفاق كونية تشمل معرفة أسس الواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وأسس الواقع في دول العالم والدول الكبرى ذات التأثير في مجريات السياسة في العالم. إن المعرفة السياسية ليست فهلية ولا بلاغة كلامية ولا حفظ الأخبار ونقلها، وإنما هي معرفة علمية تستند إلى منهج في النظر والعمل قادرة على تحليل الأحداث وربطها بعضها ببعض الآخر. وتشمل الموضوعات السياسية. تلك الأجزاء المكونة للنظام السياسي مثل «السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية، الأحزاب السياسية - جماعات الضغط - تصورات الأفراد الذاتية لأنفسهم كفاعلين سياسيين، وتصورات وآرائه نحو الآخرين. ومن هنا يمكن تصور الثقافة السياسية على

أنها تخط كتوزيع شامل لتوجيهات واتجاهات المواطنين نحو الموضوعات السياسية»⁽¹⁾.
واخيراً الثقافة السياسية هي انعكاس للايديولوجيا بشكل عام، لذا يمكن أن تكون
الثقافة السياسية، رجعية محافظة، أو اصلاحية توفيقية، أو ثورية هدفها التغيير الثوري
لبنية المجتمع.

* * *

«سمات القائد السياسي»

السياسة عمل متداخل ومعقد، وهي عمل بشري يختص به الانسان دون غيره
من الكائنات، فالكائنات الحية قد تكون اجتماعية إلا أنها باستثناء الانسان غير
سياسية، لأن الانسان وحده هو العاقل - المفكر - العارف - صانع الحياة، هو المعني
بالتدخل في الشؤون العامة، أي ما يتعلق بحياة الناس ومصالحهم، والحفاظ على المجتمع
من التفكك والانهيار - وليس كل من يتدخل في الشؤون العامة يمكن أن يكون
سياسياً، فهناك أعداد غفيرة من الناس تتحدث بالضممت أو العلى عن التقصير أو
السلبيات التي تمارسها سلطة ما ضد المواطنين، وربما يحيط البعض بثقافة سياسية عامة
تؤهله للحديث عن كل الثغرات والمظالم وطموحات الناس وحاجاتهم، إلا أنه لا
يصنف في عداد رجال السياسة إذا رفض العمل المؤطر وغابت عنه تفاصيل القضايا
المتعلقة بأمن البلاد ومصيرها.

فالسياسة في وجهها الحاسم عمل منظم وواعي - ضمن أطر تنظيمية، وعمل واعي،

(1) - السياسة - دراسة مرميولوجية / د لاجي شراب - مكتبة الامارات ص 152 - ط 1984

أي واعي ليس للغموميات، بل للخصوصيات أيضاً، ومحيط ويتعمق بأعظم المبادئ والنظريات والتيارات المعاصرة وصولاً إلى القضايا الصغيرة والأقل شأنًا، وهذه إحدى ميزات العقل العلمي.

هناك فرق بين الفرد المثقف سياسياً وبين الفرد الواعي سياسياً. فالمثقف سياسياً هو شخصية لها اهتمامات وإحاطة بما يجري محلياً وقريباً وعالمياً، ولكن ليس بالضرورة أن يمتلك وعياً سياسياً، أي ليس بالضرورة أن يكون منظماً ويعرف تفاصيل الوقائع والاحداث، أو يضع معارفه وثقافته هدفاً لتجسيدها في عمل. بينما الفرد الواعي سياسياً، فضلاً أن يكون منظماً ويعمل لتجسيد أهدافه، بالضرورة يجب أن يكون منظماً ويعمل لتجسيد أهدافه، بالضرورة يجب أن يكون مثقفاً سياسياً ومحيطاً بقسط غير قليل في فروع العلوم الانسانية والطبيعية، لكي لا يقع في خطأ جسيم حين يحزم أمره على اتخاذ قرار سياسي، فالسياسة فن عملي أكثر مما هي تديج عبارات نظرية. وحسبنا أن نعدد بعض سمات القائد السياسي الانقلابي وتلخص:

1- الموضوعية: إن الميل إلى الموضوعية والبعد عن الذاتية أحد الشروط الهامة للعمل السياسي الناجح. فالقائد السياسي الحصيف هو الذي يدرك ما يدور على أرض الواقع كما هو دون وهم ذاتي يعطيه صورة وردية تجعله يهون البليات الموضوعية التي هي من عمل الآخرين وراكمتها ظروف خارجة عن إرادة القائد السياسي قللت فرص تحقيق البرنامج أو الهدف التكتيكي والاستراتيجي الذي يرنو إلى تحقيقه، وبنفس الوقت حين تتعثر مشاريعه يجب أن لا يلقي اللوم على الموضوع، أي يعتبر الخطأ مؤسسياً في الواقع الموضوعي، بل يجب أن يعالج سوء التقدير الذاتي والشطح الايديولوجي وجهل طبيعة المرحلة التي يتصدى لها. إن الموضوعية تعني معالجة المشاكل من خلال واقعها مهما كان نوعه أو شكله.

فطبيعة المسائل والمشكلات هي التي تقدم الصورة السليمة لطرق معالجتها وحلها دون أن تقحم تصوراتنا ورغباتنا بدلاً عن الحلول الواقعية، فالرغبة والمشاعر لا تعوض عن الحقيقة والواقع، فالقائد لمحرب هو الذي يخرج رأسه من الواقع مهما كانت مرارته، ويتعد عن خلق واقع تصوره له أحلامه.

2- العقلانية: لا تعني أن يكون القائد السياسي رجلاً عاقلاً بالمفهوم البسيط، بل تعني أن يكون نهجه خاضعاً أو متفقاً مع مبادئ العقل والمنطق بصورتها العلمية، ويتعد ما بوسعه عن المسبقات والمطلقات والمواقف السلفية التي تميل إلى التجرؤ وضيق الأفق والتي تحجب مدى الرؤية السياسية الصائبة، فالموقف الحادئ أسوأ موجه للسياسي لأنه يعمي بصيرته ويضفي على القرارات طابع الارتجال، فالسياسي الحق لا يحب ولا يكره، بل يعقل، أي لا يغلب عواطفه على الوقائع الموضوعية، ويجب أن تعتمد قراراته مبادئ العلم، من دراسة وتجربة وتحليل ومقارنة لتكون أكثر تلاؤماً أو تطابقاً مع الواقع المراد التغلب على صعوباته ومن ثم انجازه. وعلى القائد السياسي حين يتطعم لحل قضية ما، أن يكون لقراره السياسي أكثر من معنى وأكثر من وجه وأكثر من تفسير، نظراً لتعدد الاحتمالات وتشابك شروط انجاز الحل.

3- الوعي السياسي: إن الوعي السياسي ليس مصدره الكتب فقط، وإنما مصدره الحياة وما يدور فيها من أحداث وتناقضات وتناحرات بين طبقات المجتمع المختلفة. فالوعي السياسي عملية مكتسبة من مصادر نظرية وعملية واقعية، يزيد عمقاً إذا توفر لدى القائد السياسي الذكاء والخبرة، فالقائد السياسي بالضرورة يجب أن لا يكون غيباً وإلا عرض نفسه وحزبه للمطبات المميتة. وحين نتحدث عن الوعي السياسي فإننا نتحدث عن وعي مؤطر ضمن مؤسسات وهيئات حزبية ومنظمات شعبية أخرى، إذ لا معنى للوعي السياسي دون أن نضع المبادئ والبرامج أهدافاً للعمل السياسي المباشر

وهذا ما يميز الشخص الواعي سياسياً عن الشخص المطلع أو الملم بالاحداث السياسية، فالأخير يتكلم عن معلومات نظرية من باب الاطلاع أو الترف الثقافي دون أن يكلف نفسه مشقة الانخراط في اطار عمل لتحسيد هذه للمعلومات والمعارف وتحويلها إلى قوة مادية، لذا فان السلطات في العالم الثالث خاصة لا تقيم وزناً لعشرات الألوف من المثقفين طالما أنهم غير واعين سياسياً، أي غير مؤطرين في هيئات وتنظيمات جماعية لتطبيق أفكارهم وشعاراتهم بصورة عملية، بينما تحسب هذه السلطات ألف حساب لقلة من الافراد المنظمين بوحى خط سياسي، لأن هؤلاء يمثلون بؤرة استقطاب جماهيري راهن على المدى المرئي والمتوسط والبعيد، بينما أولئك المثقفون رغم كثرتهم لا يشكلون مصدر خطر على السلطات رغم ثقافتهم الحديثة والتقدمية. ولا يفوتنا في هذا المجال أن ننوه، أنه ليس كل فرد منظم في حزب يعتبر واعياً سياسياً بالضرورة، لأن الكثير من المنظمين في أحزاب وعخاصة الاحزاب السلطوية الرسمية تنظموا لسبب أو آخر. إما بدافع معيشي أو بدافع وجاهة أو بدافع الوصول إلى مركز اجتماعي أو وظيفة أو بدوافع وطنية محددة، أو لأسباب عشائرية أو عائلية .. وهؤلاء لا يشملهم بحثنا لأن عضويتهم الحزبية أشبه بعضوية النادي الرياضي أو عضوية شرف في جمعية خيرية.

بينما الوعي السياسي عملية متكاملة من جميع الوجوه لا تتجزأ، لذا فالقادة الواعون سياسياً في ظل الأنظمة الشمولية حين يتطلب منهم أن يحددوا خياراتهم بين التخلي عن مبادئهم وطلب السلامة والتوبة، وبين الاعدام فانهم يفضلون الاعدام على الانقلاب عن مواقفهم السياسية المعلنة.

4- التواضع: هو أحد أبرز الصفات التي تلازم العلماء ودهاة رجال السياسة والمثقفين المتعمقين بشؤون الحياة. إن السياسي الثوري المتواضع بالطبع يدرك ان

استقطاب الجماهير وجذبها إلى ساحة العمل السياسي لا يكون بالصدود عنها ولا بالمكابرة وعشق الذات والتعنت بالرأي وممارسة منطق المعلم القارغ ازاءهم، بل يتم استقطابهم بالتواضع الجهم، ورحابة الصدر، واتساع الأفق، والقبول بالآراء المخالفة بكل احترام، والاعتراف بنسبية الحقائق، والتعلم من الشعب وتعليمه بذات الوقت، فالتواضع سمة الانسان الواعي لأنه يعيش الحياة بكل أبعادها بعمق شديد، بينما العناد والمكابرة والتمترس وراء الرأي المسبق سمة الانسان الجاهل المسطح الثقافة حتى لو كان على قسط من التعلم أو الثقافة.

فالفكر الصلب العنيد دون مبررات منطقية يعثر من الناحية السياسية فكراً فاشلاً وقاصراً، لأنه أحادي البعد وقطعي الأحكام ويتخيل أنه والحقيقة شيء واحد، لذا نراه يدعي العصمة من الوقوع في المزالق والوهاد، ويقذف الآخرين الذين لا يوافقونه تصوراتهم بالجهل والقصور وعدم الوعي، وهكذا عقل متحجر إن وجد في حزب، وخاصة في موقع مسؤول، فلا شك أنه سينفر ويطفش الحزبين الأكثر وعياً للتعددية والديمقراطية والنسبية، وعلى المدى المتوسط والبعيد سيطفشهم حيث لا يجد الحزبي مقرأ من الهرب خارج الحزب في غيبة العمل الجماعي الديمقراطي الذي يتقبل الآراء الصحيحة من أي حزبي ويعكسها في خطة السياسي. إن إصغاء السياسي إلى آراء رفاقه والاصطفاء والمواطنين وعدم الأخذ بها بعد انتهاء المناقشة، والتصلب بما يدور في رأسه من أفكار مسبقة على أنها هي الحقيقة والصواب يعتبر صنمية فكرية وميل نحو الفردية ومصادرة الحرية، يناقض مبدأ الديمقراطية في العمل المنظم، ويسقط عن هذا السياسي سمة الثورية في مجال الممارسة. فالتواضع سمة الانسان العالم - العارف العصري - الحصيف، بينما الصلف والصلابة الفكرية واتخاذ المواقف المسبقة والقطعية هي أحد مؤشرات وأعراض العقل المتخلف مهما إدعى ظاهرياً من عقلانية.

5- القائد السياسي الناجح مزيج من المبدئية والمرونة، ويجب أن تتوفر فيه مجموعة من الصفات كالصلابة عند المحن وقوة المراس ورباطة الجأش، والصدق في التعامل وتطابق الأقوال مع الأفعال، المرونة وليس التلون في الحوار والمساجلات السياسية الانصاف في تقييمه لرفاقه وللقوى الوطنية الأخرى، ووضوح الرؤيا، القدرة على الافئاع والبراعة في تطبيق فن توظيف المتناقضات لصالح خطه السياسي والجماهير الشعبية - الانضباط التنظيمي ودقة المواعيد واحترام الوقت المخصص للمصلحة العامة، والاحساس بقيمة الزمن في حياته العادية وشؤونه الخاصة كعامل له معنى ووزن يجب توظيفه والاستفادة منه، والتزام الاخلاق الاشتراكية في سلوكه والالمام بثقافة وطنية ديمقراطية والاطلاع على الثقافة العالمية، وما يعزّيها من تيارات تقدمية أو رجعية في هذا العصر فوق التكنولوجي، عصر الفضاء والذرة.

* * *

«الفكر السياسي»

يعني كل الارث الايديولوجي من معتقدات وتصورات وأفكار لشعب أو أمة أو حزب أو مفكر سياسي، فيما يتعلق بالشؤون العامة في زمن محدد. ولكل مرحلة في التاريخ فكرها السياسي، وكل فكر سياسي له خلفية ايديولوجية وثقافية. فالفكر السياسي الرجعي ينطلق من ايديولوجية رجعية محافظة. والفكر التقدمي الثوري - الانقلابي ينطلق من ايديولوجية تقدمية علمية تستهدف تغيير الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية السائدة نحو الأفضل ومنحازة إلى جانب الكتلة الهامدة والفقيرة من الشعب على عكس الايديولوجية الأولى للمحازة لفئة قليلة محتكرة من الناس تهدف

المحافظة على الاوضاع القائمة والتحكم برقاب البشر واستغلالها. أما الفكر السياسي الاصلاحى فيتركز على ايدىولوجية اصلاحيه توفيقية غايته لجم الفكر التقدمي وايقاف عجلة الثورة بواسطة حلول ترقيعية.

إن الفكر السياسي والتفكير السياسي هما اللذان يستخدمها الانسان لحل مشاكله وازاحة العقبات التي تعترض تطور المجتمع وتعرقل إزدهاره. والفكر السياسي ليس هدية بمجانبة تهبط على بعض الأفراد أو الجماعات وإنما هو جهد متواصل ومعاناة تستند إلى دقة الملاحظة، ونقصد بذلك أن يكون الفكر السياسي شديد الانتباه يقطاً ازاء ما يحدث حوله وما يدور في العالم.

* * *

«الطليعة»

هي فئة اجتماعية متقدمة على غيرها من فئات المجتمع في مجالات الثقافة والتنظيم والوعي السياسي والتاريخي والالتزام بأهداف الشعب الطليعة لا تكون فعالة ومجدية إلا إذا انتظمت ضمن أطر كفاحية تتيح لها وضع أفكارها وتطلعاتها هدفاً للعمل وهي ذات وعي نقدي وتاريخي ذات وعي نقدي تاريخي وكوني تبحث دائماً عن الجديد، وأنماط الحياة العصرية في مختلف اتجاهاتها العقلانية.

أما في آفاقها الفكرية والايدىولوجية والسياسية، تنهج طريقاً يؤكد خط العلم بكل ما تحمله مقولة العلم من دلالة البحث والتحليل والاختبار والمقارنة والتجربة والخيال الواقعي والموضوعية، كما تعكس في ممارساتها خط الجماهير الشعبية وتعبر عن ارادتها، وتهتم بالكم والكيف، وكيف تحول الكم إلى حالة نوعية، وتحاول أن ترقى

به إلى درجة مؤثرة وإيجابية. وفي خطواتها العملية تريد اجتثاث القديم بسبب تعطشها إلى بناء الجديد، وشغفها في تدعيم مرتكزاته. «إن الطليعة لا يمكن أن تكون طليعة فعلاً إلا إذا كانت حاضرة في قلب جماهير الطبقة وعلى رأسها، إلا إذا كانت تعيش في تفاعل صميمي معها».

* * *

«النخبة»

النخبة تختلف عن الطليعة في المفهوم، لأنها موضوعياً تضع نفسها فوق المجتمع وبعزلة عنه. وهي فئة أقل تمسكاً بالمبادئ وأكثر التزاماً بالشعارات، وذات تفكير طوباوي وضبابي، تسعى إلى الغاء الفكر التاريخي النقدي وطمس الوعي الكوني، وتشر الفكر المثالي الامتثالي، وتجسد صمنية السلطة وعبادة الفرد، وتسير في مؤخرة الاحداث، وتعيش في عالم خاص مزيج من الغموض والرومانسية والبراغماتية، وعقليتها مثالية كثيراً ما تدفعها إلى الاذعان والتبعية وذات مواقف متلونة ومفاجآت غير متوقعة، كالارتداد مثلاً «عن مبادئ القومية والوحدة العربية إلى الانفصال والاستماتة في الدفاع عنه وعن الاستقاع الاقليمي» وحسب مقتضيات الحال.

إن الثقافة النخبوية والخطاب النخبوي لم يكن خطاباً عقلياً أو موضوعياً، بل خطاب يسعى إلى تحريك العواطف سريعة التأثير وسطحية التأثير بعيدة عن المحاكمة والشك وسلوك خط العلم. لذا فان تسييس الجماهير وتوعيتها وتربيتها نضالياً وتأطيرها ثورياً، ليس وارداً في أهداف النخبة وبرامجها أو أفعالها، بل إن تجهيل الناس وقمعهم هو السلوك الطبيعي لهذا النموذج من الفكر القيادي. إن أهم سمات العمل النخبوي على

صعيد الممارسة هو تغييب دور الشعب، وإحادية القرار، وإقفال باب النقد. إن الخطاب النخبوي لا يهتم إلا بالنخبة وبمصالحتها بصفة عامة، وإن وجهه إلى الجماهير العريضة أحياناً فقد وجهه بدافع الحاجة إلى الجماهير من أجل كسب أصواتها في المعارك الانتخابية وهذه الظاهرة قليلة تكاد تكون القاسم المشترك بين كل الأحزاب النخبوية لأن النخبة تعتبر نفسها بديلاً عن الشعب أو وصياً عليه. ويتيحاً للعقل النخبوي أنه المؤهل الأكثر حظاً في صنع التقدم والحضارة إلى حد الهوس. كما تراود النخبة أحلام مفادها أنها هي التي تؤسس لتغييرات نوعية ترفد التراكم المادي للنشاط البشري الذي تبذله القوى والفعاليات الكادحة لدى أمة من الأمم.

«وغالباً ما تعمل النخبة على تنشئة أبنائها في أحضان الثقافة الغربية وليس تعليمهم اللغة الأجنبية على النحر الضروري للمألوف فقط، فهذا يعني أن ثمة خوفاً مزدوجاً لديها، تتمثل في انعدام الثقة بما يمكن لوطنها أن يقدمه لها، وهو خوف على الأبناء من أن يقتصر تلقيتهم للعلم على ما تقدمه الثقافة الغربية المعاصرة، وهو لا يؤهلهم للوصول إلى مراتب عليا في السلم الاقتصادي الاجتماعي».(1)

إن النخبة تأخذ أكثر مما تعطي وتأكل أكثر مما تنتج، وتشعر بالغبن في قرارة نفسها بانها وجدت وخلقت للأعمال ذات الشأن العظيم وإن ما تحصل عليه من امتيازات أقل مما تستحق. ويواود النخبة شعور بالذعر من مجتمعها بالذات فالخوف من المجتمع هو حاجتها اللصيق لها، لأنه قد يلفظها في أي لحظة لسبب لا علاقة له بالثقافة والتقدم، بل بسبب ازدواجية الانتماء الذي أدى إلى زعزعة العلاقة بين النخبة العربية ووطنها. فريق منها تأورب، وفريق آخر أبقى على علاقة بخيوط عنكبوتية لوطنه ليوهم

(1) - النخبة العربية والاغتراب - د/هاني الراهب - مجلة العربي العدد 355 - تموز 1988

نفسه بأنه ليس مقتلع بعد.

«لقد نشأ عن هذا المسار نوع من الازدواجية في الانتماء، فانك تسمع أحاديث النخبة ومناقشاتهما للأمور السياسية والاجتماعية والاقتصادية فتلمس عقولاً نيرة وقلوباً شغوفة جميعها متألمة لأجله، لكنك عندما تتبع خط حياتها تجد اضطراباً قاسياً لا عطاء الأولوية للأمن المعيشي على حساب المجالات الأخرى للحياة. والمشكلة أن الحس بالأمن هذا لا يقف عند حد معين، فالمزيد يغدو ضرورياً، ثم يستيقظ نداء الثروة وتستيقظ معه رغبات جديدة» (1).

* * *

«البيروقراطية»

كلمة من الفرنسية bureau تعني مكتب ديوان - ومن اليونانية Kratos وتعني - قوة - سلطة - سيادة. من الناحية السياسية والاجتماعية، تعني البيروقراطية تحقيق السلطة من قبل أفراد مميزين تختارهم الطبقة السائدة. كما أن البيروقراطية تعني الإدارة وطريقة تعريفها بواسطة جهاز من الموظفين المعزول عن الشعب ويقف فوقه تترافق البيروقراطية مع بروز الطبقات وانقسام المجتمع، ومع نشوء الدولة حين تصور الطبقة المتحكمة التي استولت على السلطة السياسية أن مصالحها هي مصالح المجتمع.

أهم سمات البيروقراطية هي: الانفصال عن المجتمع - الانطواء على الذات - تعطيل الطاقات المبدعة - التمسك الشكلي بالنصوص - محاربة أي تقدم علمي

(1) - المصدر السابق.

جديد في أسلوب الإدارة والانتاج - عدم الاحساس بأهمية الزمن في حياة الناس. لقد كتب ماركس حول البيروقراطية (تجعل) أهدافها الشكلية مضموناً لها.... وفي كل مكان تدخل في نزاع مع الأهداف الفعلية) (تتحول مهمات الدولة إلى مهمات دواوينية أو تتحول للدواوينية إلى مهمات الدولة) وقد عبر عنها ماركس ببلاغة أنها (ضمنية السلطة). تشتد البيروقراطية على الاخص في عهد الامبريالية عندما يمتزج جهاز الدولة مع الاحتكارات وتتحول بالتالي مع بيروقراطية الدولة لهذا أكد لينين «أن البيروقراطية، سواء من حيث مصدرها المعاصر أم من حيث غاياتها، مؤسسة برجوازية تماماً وبوجه الحصر...» «المؤلفات الكاملة المجلد الاول ص 440». إن البيروقراطية والقضاء عليها مسألة صعبة لأن لكل دولة جهازها الإداري، ولكن الحد من غلوائها وسلطانها يأتي مع قيام الثورة الديمقراطية الاشتراكية إلى حد بعيد.

* * *

«الراديكالية»

كلمة مشتقة من أصل لاتيني ومن الكلمة الفرنسية راديكال بمعنى جذرية أو قطعية. وتعبر راديكالية» يطلق على المتطرفين دون تمييز سواء نحو اليسار أو نحو اليمين.

وأول ما استخدم المصطلح كان يطلق على المتطرفين إلى اليمين. ولقد ظهرت الكلمة للمرة الأولى في ثورة (1797) في انكلترا حينما استخدمها «جيمس توكس» مطالباً باصلاح راديكالي. في اطار الفلسفة السياسية اطلق المصطلح على النظرية

الفلسفية والسياسية والاقتصادية التي تؤمن بالحرية في كل أشكالها وقوامها الاقتصاد الحر والعقلانية والتفعية وحرية الفرد. وكان من أشهر فلاسفة هذه النظرية - جرجي بنتهام - جون ستيوارت ميل - هنري جيمس - وهكذا عبرت نشأة هذا المصطلح فلسفياً عن اتجاهات أقصى اليمين السياسي.

وقد شاع المصطلح كتعبير عن الدعوة في اصطلاحات عميقة في المجتمع اعتباراً من عصر الثورة الصناعية. ولقد انتهى الأمر إلى الحد الذي وقف فيه الراديكاليون إلى جانب الثورة الأمريكية عندما نشبت حرب الاستقلال - الانجلو - أمريكية. ولقد ساهمت أفكار الثورة الفرنسية 1789 وثورة 1830 في تحول استخدام المصطلح من تعبير عن اليمين السياسي في بريطانيا بواسطة جريدتها «حامي الفقير» في سبيل اصلاح دستوري واجتماعي وسياسي، وصل إلى حد خروج العمال في مظاهرات دامية الأمر الذي أدى إلى تدخل الجيش لقمع الثورة، وعرفت هذه الثورة بثورة الراديكالية التي أسفرت عن قانون الاصلاح العظيم في تموز (1832). وتعد تجربة الراديكالية في فرنسا دليل الذين يرون أن الراديكالية هم اليساريون واعلن تشكيل حزب الراديكاليين عام 1901 وشن حملة على نفوذ رجال الدين.

ومن الراديكاليين الفرنسيين في التاريخ المعاصر - منديس فرنسي - والجنرال ديغول 1958 - وهكذا نجد التحول في مضمون المصطلح فقد بدأ كتعبير عن قوى اليمين ثم تحول إلى التعبير عن قوى السياسية اليسارية التي تسعى إلى التغيير الجذري كعلاج للاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

* * *

«الليبرالية»

من الكلمة الفرنسية ليبرته أي الحرية. ظهرت الحركة الليبرالية في أوروبا في القرن «19م» بقيادة الطبقة البرجوازية. وهي نظام اقتصادي ونظام حكم أيضاً. ويعتبر القانون الأساسي للنظام الليبرالي في الحكم وفي الاقتصاد هو المنافسة الحرة. المنافسة الحرة بين الآراء لاقتناع الأفراد والمنافسة الحرة بين الأفراد لتشكيل الأحزاب والمنافسة بين الأحزاب للوصول إلى الحكم. هذا على المستوى السياسي.

أما على المستوى الاقتصادي فالمنافسة الحرة بين الناس للوصول إلى الربح والمنافسة الحرة فيما بين الرابحين للوصول إلى الاحتكار... في مواجهة المنافسة الحرة بين العمال والحصول على عمل. المجتمع الليبرالي سوق للمال والبشر تحكمها المنافسة ويفوز فيها الأقوى اقتصادياً. والترجمة الدستورية هو عدم تدخل الدولة في الاقتصاد. «حرية التملك - حرية التصرف - حرية التعاقد - وليغتنى من يغتنى، وليمت من يمت». وعدم تدخل الدولة في السياسة «حرية الرأي - حرية الصحافة - حرية الأحزاب - حرية الترشيح - حرية الانتخاب - وكل واحد ومقدرته».

في النظام الليبرالي لكل شخص أن يمتلك أغلى السلع والأدوات حتى لقمة العيش. ولكل شخص أن يتصرف فيما يملك، ولكن لا أحد يضمن له ألا يغبن. ولكل شخص أن يعمل ولكن لا أحد يضمن له العمل أو البقاء فيه... لكل شخص حرية الرأي ولكن لا يضمن له أحد وسائل المعرفة التي يكون منها رايه.. ولكل جماعة أن تشكل حزباً، ولكن لا أحد يضمن لها فرصة متكافئة في مناقشة

بقية الاحزاب.(1)

عند ماركس ولينين تتميز الليبرالية (البرجوازية) عن الديمقراطية (الاشتراكية البروليتارية) وعن الديمقراطية (البرجوازية الصغيرة الفلاحية الشعبية). والليبرالية تستخدم أيضاً للدلالة على الانقلاب التنظيمي في الحزب الثوري. (انظر ماوتسي تونغ) (ضد الليبرالية).

إن أزمة الليبرالية تكمن في الخلل بين الحرية السياسية والحرية الاقتصادية. فهي تمنح الفرد الحرية السياسية وتسلبه الحرية الاقتصادية من طرف آخر.

* * *

«الامبريالية»

من أمبير، امبراطورية، السياسة الامبريالية هي سياسة التوسع ويقصد إقامة امبراطورية بهذا نتكلم عن الامبريالية القديمة.(2)

الامبريالية مجموعة سياسات معقدة (اقتصادية - سياسية - عسكرية - ثقافية) الغاية منها فرض الهيمنة على شعوب العالم ونهب ثرواتها. وقد نشأت الامبريالية كظاهرة سياسية مع عصر التحول الصناعي والاكتشافات العالمية في بداية القرن (18) تقريباً. فلقد صاحب هذه الفترة زيادة عدد السكان وزيادة الانتاج، والحاجة إلى مواد خام ووقود، وفي نفس الوقت الحاجة إلى أسواق لتصدير فائض الانتاج. وقد مرت

(1) - الأحزاب ومشكلة الديمقراطية في مصر - عصمت سيف الدولة - فصل الليبرالية - دار المسيرة لبنان.

(2) - للتوسع في مقولة الامبريالية انظر - الامبراطورية الامريكية - كلود جوليان - مطبوعات وزارة الثقافة دمشق ص

الامبريالية كظاهرة سياسية أفرزها النظام الرأسمالي العالمي بثلاث مراحل:

1 - مرحلة الانطلاق: وهي مرحلة الامبراطوريات والشركات الاحتكارية وبرز الهيمنة السياسية والاقتصادية والعسكرية على المستعمرات، وتمتد هذه الفترة من القرن (18م) حتى الحرب العالمية الاولى.

2 - مرحلة الامبريالية التقليدية، وقد بدأت بعد الحرب العالمية الثانية التي خرج منها الحلفاء منتصرين، فتم اقتسام مستعمرات ألمانيا وإيطاليا، ثم ما لبثت الولايات المتحدة الأمريكية ان ورثت الامبراطورية البريطانية والفرنسية.

3 - ظهور الامبريالية الجديدة، وهذه مرحلة تزعمتها الولايات المتحدة الأمريكية وحاولت ان تستفيد من تجارب الماضي والتكيف مع الواقع الجديد للعالم، فاستعاضت عن الاحتلال العسكري بتوسيع نطاق الاحتكارات والسيطرة، وتغلغلت الشركات الاحتكارية في اقتصاديات البلدان النامية واقرن الاحتكار الاقتصادي بالضغط السياسي لابقاء الدول النامية صغيرة وتابعة، وسلكت الامبريالية طريق اغراق هذه الدول بالدينون وتشغيل الفئاض. وعلى الرغم من هذا الاستلوب الجديد في العلاقة فان الامبريالية الجديدة لا تردد في ممارسة القوة العسكرية إذا ما تعرضت مصالحها للخطر، وعلى نفس الدرجة مارست المؤسسات الامبريالية غزواً ثقافياً للعالم النامي تمثل في تقديم أعمال فنية وثقافية هابطة تشجع عليها.

كما تشجع الامبريالية هجرة العقول من العالم النامي إلى العالم الغربي. وعلى الرغم من معارضة هذه الاتجاهات التقدمية ونضالاتها ضد الامبريالية، فان الامبريالية ما زالت ظاهرة العصر الذي نعيش فيه، فهي قد استخدمت البندقية إلى جانب البسلة والاعلان الجذاب منذ أوائل القرن العشرين، وأول من اطلق تسمية امبريالية - هوبس -

وهيلفر دنغ ولينين للدلالة على المرحلة الجديدة في تطور الرأسمالية⁽¹⁾. ومنذ الانهيارات المتسارعة للمعسكر الاشتراكي وفي مقلعته الاتحاد السوفييتي تعمل الامبريالية الامريكية ما بوسعها منفردة للسيطرة على العالم وشعوبه وتصريف الشؤون الدولية وفق مصالحها الخاصة وكبح أي محاولة من جانب أي شعب للافلات من شباكه. وبالنسبة للأمة العربية مازالت الامبريالية الامريكية مستمرة في عدائها لها وتقف ضد وحدتها وتقدمها وتنحاز إلى العدو الصهيوني في كل الميادين.

* * *

«البرجوازية»

هي الطبقة التقدمية في اوروبا التي خاضت أشرف المعارك لمدة أربعة قرون من القرن (16 - 19م) ضد الاقطاع وتسلط طبقة رجال الدين والقوى الرجعية، وحملت عبء النهضة على كتفيها، فحققت الوحدة القومية والمجتمع الدولة، وبرزت الامم الاوروبية، وأرست قواعد عصر العقل، وفصل الدين عن الدولة، وتحقيق العلمانية والديمقراطية واعتبارهما وجهان لحقيقة واحدة حيث لا تكون الدولة عصرية أو حديثة بغيابها واهتمت بالانسان واتخذته مركزاً ومحوراً، فهو جزء من الطبيعة والطبيعة جسده الخارجي... الخ ومع نهاية النصف الاول من القرن (19م) وصلت البرجوازية إلى الحكم في معظم بلدان اوروبا الغربية، وفي الولايات المتحدة الامريكية. وهذه البرجوازية هي التي أنتجت وأبدعت أسلوب الانتاج الرأسمالي الذي كان أسلوباً أكثر تقدماً من

(1) - للتوسع في مقولة الامبريالية انظر - الامبراطورية الامريكية - كلودجوليان - مطبوعات وزارة الثقافة - دمشق

أسلوب الانتاج الرأسمالي الذي كان أسلوباً أكثر تقدماً من أسلوب العلاقة القطاعية. وتحولت البرجوازية من طبقة تقدمية إلى طبقة رجعية إستغلالية ومسيطرّة في المجتمع الرأسمالي «يفهم بالبرجوازية طبقة الرأسماليين المعاصرين، مالكي وسائل الانتاج الاجتماعي الذين يطبقون العمل المأجور» بتعميقها التفاوت الطبقي واستغلالها لشقاء العمال وحرمانهم من المساواة الاجتماعية. كما تطلعت خارج حدودها لفرض سياستها ونظامها على الشعوب الأخرى خارج اطار الأسرة الأوروبية ففزت العديد من بلدان العالم في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وفرضت حكومات موالية لها، ونهبت ثرواتها الطبيعية وربطتها بعجلة التبعية الاقتصادية والسياسية فأصبحت طبقة مستعبدية - غازية - استعمارية. لكن علينا أن نفرق بعقلانية بين التراث الفكري والحضاري للغرب البرجوازي كفتح انساني تقدمي تمثل في عصر النهضة - الانوار - العقل - الثورة الصناعية - تأكيد القيم الانسانية - الحرية - المساواة - العلمانية - الديمقراطية - وبين السطوة - الهيمنة السياسية والعسكرية على العالم التي تقودها الامبريالية في هذا العصر.

ترى الماركسية - اللينية، أن النظام البرجوازي الرأسمالي يحمل بذور فثائه من الداخل، أي من داخله، فحيث أن البرجوازيين والرأسماليين يسعون إلى زيادة ثروتهم باستغلالهم جهود العمال فإنهم في نفس اللحظة يزيّدون من تنامي واتساع أرضية الطبقة العاملة، وتصبح بالتالي كل مفاتيح القوة الانتاجية في يدها، ومع الوعي الذي يتكون لدى الطبقة العاملة نتيجة لتناقضات البرجوازية فإن هذين السببين: تكثيف الثروة من جهة، والوعي من جهة ثانية، سيؤديان إلى ثورة الطبقة الكادحة والاطاحة بالطبقة البرجوازية.

«البرجوازية الوطنية»

طبقة تمثل أصحاب الفعاليات والعمل المحلية. وهذه البرجوازية تنشأ في البلدان النامية ذات التطور البطيء أو البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة أو المتحررة شكلاً، ولها مصلحة في تطور بلادها السياسي والاقتصادي المستقل.

«يواجه تطور الرأسمال الوطني في ميادين النشاط الاقتصادي على الدوام تقريباً العقبات بصورة تحكم الرأسمال الأجنبي والعلاقات السابقة الرأسمالية التي يحافظ عليها المستعمرون. وهذا ما يؤدي إلى نشوء تناقض بين البرجوازية الوطنية والبرجوازية الامبريالية - وهكذا يكون موقع البرجوازية الوطنية في الخط المعادي للامبريالية». وقد كتب لينين بمعرض الحديث عن الامكانيات والطاقت الثورية الكامنة لدى البرجوازية الوطنية في «أوروبا الراقية» ليس من طبقة راقية غير البروليتاريا. أما البرجوازية الحية، فهي على استعداد لاقتراف كل عمل وحشي إجرامي آثم لكيما تذود عن العبودية الرأسمالية السائرة الى الموت... ولقد كانت البرجوازية الوطنية إحدى القوى الرئيسية التي قادت نضال الشعوب السياسي ضد الاستعمار والامبريالية. وبرز من بين صفوفها زعماء سياسيون ساهموا في حركة التحرر الوطني.

للبرجوازية الوطنية عقلية مزدوجة نابعة من ازدواجية طبيعتها الاجتماعية، فمن جهة تعاني من نير الاحتكارات الامبريالية، ومن جهة أخرى تستغل هي نفسها الجماهير الشعبية المسحوقة، كما تتميز بحلوها التوفيقية لذا نراها دائماً عاجزة عن تحذير التحولات الديمقراطية العامة رغم أنها مفيدة لها. تسعى البرجوازية الوطنية الى استغلال

ثروات البلد الطبيعية والبشرية بلا مشاركة من أي طبقة أخرى، وتميل إلى حل تناقضاتها مع الاحتكارات الأجنبية عن طريق المصالحة والمساومة. وايدولوجيا البرجوازية الوطنية اصلاحية وغير ثورية، فهي لا تقدم على تصفية المؤسسات الاقطاعية بصورة حاسمة لأن ذلك حسب منطقها يعتبر اعتداء على الملكية الخاصة التي هي حق مقدس. في سبيل مصالحها الطبقية تستغى البرجوازية الوطنية إلى دفع البلاد في الطريق الرأسمالي الذي يتناقض مع ميول التطور الاجتماعي المعادي للامبريالية ومصالح الكادحين، ويحمل الجماهير الانصراف عن البرجوازية الوطنية لثورة التحرر الوطني - وبالتالي تقدم البرجوازية بصورة اوضح على الالتقاء مع الامبريالية والرجعية الداخلية، وبالتالي ينتهي بها المطاف إلى قمع الحركة الوطنية من عمال وفلاحين ومثقفين ديمقراطيين. وفي سبيل تأمين مواقفها الطبقية تظلل نفسها بشعارات تحت راية القومية والنضال القومي. ويتضح ذلك كلما نضجت التناقضات الطبقية.

البرجوازية الوطنية العربية لا تحمل من سمات البرجوازية إلا الاسم وميولها رجعية ولا تلعب دوراً تقديمياً، ويمكن أن نقول ليس هناك برجوازية وطنية عربية بالمعنى الطبقي، لأن نشوء هكذا برجوازية مرهون بشروط أهمها بناء صناعة وطنية عربية يقوم بينائها وملكيته مجموعة من الناس، وليس الدولة لهم مصالح تؤدي للصدام مع الامبريالية، وهذا ليس موجوداً. فالصناعات التي أنشأتها البرجوازية الوطنية العربية صاعات تدور في عجلة الاقتصاد الامبريالي ومتممة للصناعات الاحتكارية الكبرى، وليست صناعات متحررة قائمة بذاتها، وهي صناعات قامت في مناخ التواطؤ والمصالحة مع الامبريالية وليس في ظل التناحر معها. وبالتالي الأمل ضعيف في أن تلعب البرجوازية العربية دوراً مهماً في الصراع الوطني والقومي، إن مشاركة بعض الافراد

الوطنيين من البرجوازية مع الجماهير الشعبية حقيقة واقعية ولكن هؤلاء ليسوا البرجوازية الوطنية(1) .

* * *

البرجوازية الصغيرة

البرجوازية الصغيرة طبقة واسعة غير متجانسة ومذبذبة ومتفاوتة المصالح. تشمل البرجوازية الصغيرة الحرفيين واصحاب المهن الحرة وصغار التجار والموظفين الصغار واوساط المثقفين. كما تشمل على صعيد الريف ذوي الدخل المتوسط كقائدة لحركة الثورة العربية نتيجة لأسباب موضوعية منها ضعف التطور الاقتصادي الرأسمالي، ومحدودية وجود الملكية الخاصة، وسيادة نمط الاقتصاد الصناعي الصغير. هذه القاعدة الاقتصادية والمتخلفة كانت الاساس العضوي لقوة البرجوازية السياسية، وكثرتها العددية، كما أن هناك بعض عوامل ساعدت البرجوازية الصغيرة على الصعود، هو عجز البرجوازية الوطنية عن تحقيق الثورة الديمقراطية، في وقت لم تتم فيه الطبقة العاملة النمو الكافي الذي يتيح لها ممارسة دور قيادي في الثورة العربية. إن ضعف التصنيع انعكس في ضعف سياسي بالغ عاتقه البرجوازية الوطنية، وفي ضعف الطبقة العاملة أيضاً. لا شك ان قسماً كبيراً من البرجوازية الصغيرة وخاصة وذوي الهوى اليساري مع الثورة والتقدم من الناحية الموضوعية على الأقل - يقول لينين عن البرجوازية الصغيرة

(1) - في تعريف مصطلح البرجوازية الوطنية استخدعنا:

أ - مقالة الأستاذ تاجي علوش - مجلة دراسات عربية - صيف - 1993.

ب - اطروحات سياسية - يامين الحافظ - 1975.

«بدون اشتراكهم هذا يستحيل كل نضال جماهيري وتستحيل أية ثورة، ومن المؤكد أنهم سيحملون معهم إلى الحركة أوهامهم وأضاليلهم وتحليلاتهم الغريبة الرجعية ونواقصهم واخطاءهم ولكنهم موضوعياً سيهاجمون الرأسمال» (1).

إن البرجوازية الصغيرة هي التي تتولى فعلياً في هذه المرحلة قيادة الثورة العربية لأن ظروف الصراع في الوطن العربي وتوزيع القوى الاجتماعية هي التي أهلت البرجوازية الصغيرة لهذا الدور. إلا أن البرجوازية الصغيرة فشلت معظم قياداتها وشرائعها المسؤولة عن قيادة تحركة الثورة العربية ولكن البرجوازية كطبقة لم تسقط، إذ أن سقوط بعض شرائعها لا يعني بأي شكل سقوطها كقوة طبقية ما تزال ترفد حركة النضال العربي بطاقات وطنية تقدمية، في التصنيف يمكن اعتبار البرجوازية الصغيرة طبقة وسيطة، وهذا الاعتبار لا يحول بينها وبين أن تكون طبقة قائدة لمرحلة تاريخية كاملة. إن القيادة البرجوازية الصغيرة هي بماهيتها قيادة انتقالية، لأن الاقتصاد البرجوازي هو الأساس، اقتصاد انتقالي، هو مرحلة قد تطول وقد تقصر، ولكنها مرحلة انتقالية عابرة في التطور التاريخي على كل حال. ومن هنا فإن المجهود الاساسي في تقسيم البرجوازية الصغيرة يجب أن يركز على نسبية، وعلى نسبية مفاهيمها وتصوراتها وادواتها النضالية. وبكلمة إن تقسيم دور البرجوازية الصغيرة لا بد أن ينطلق من معايير خارجية عنها، إما بدلالة علاقاتها بالبرجوازية الكبيرة وإما بدلالة صلتها بالطبقة العاملة، ولكن صعود البرجوازية الصغيرة لا يشكل في حد ذاته أفقا لمرحلة تاريخية كاملة، إن ما يشكل هذا الأفق التاريخي الكامل هو صعود الطبقة العاملة المتحالفة مع الطبقة الفلاحية فقط (2).

(1) - انظر لينين - حركة شعوب الشرق الوطنية التحررية - ص 276.

(2) - للتوسع انظر - أزمة الثورة العربية - ياسين الخالط - ص 128 - 131.

الانتهازية

يفهم الكثيرون أن الانتهازية مقولة تعني اقتناص الفرص أو تحين الزمن المناسب للوصول إلى بعض الأغراض، أو هي التلون وفق مقتضيات الظروف التي يراها الانتهازى مؤاتية لبلوغ مراميه. واغراض الانتهازى مؤقتة وغير ثابتة لأنها ترتبط بالزمان والمكان وطبيعة النظام السياسى والاجتماعى الذى يعيش فى ظله هذا النموذج البشرى. الانتهازية مفهوما سياسى والموضوعى والعملية هي تحريف المبادئ الأساسية الايديولوجية والسياسية للطبقة العاملة وفسادها بالشعارات المجردة ومحاولة تكييفها لمصالح الطبقات غير المنتجة أو الطبقات المستغلة. تظهر الانتهازية فى المجتمعات والأحزاب أيام الأزمات والمحن وتتفشى وقت الفوضى على الصعيد العملي ولا تعيش الانتهازية وسط مجتمع منظم، وتنكسر الانتهازية الاساليب الثورية للكفاح وتسير فى الاتجاه التوفيقى والتلفيقى المتصالح مع البرجوازية مما يؤدي فى نهاية المطاف إلى التخلي عن النضال فى سبيل الحريات الديمقراطية والاشتراكية. وهناك انتهازية يمينية وانتهازية «يسارية»، فالانتهازية اليمينية نهج يعارض التغيير الجذري للصراعات الاجتماعية الرأسمالية وتدعم الإصلاح، وتسعى إلى إيجاد مواقع مؤثرة لها فى ظل الرأسمالية والاستغلال الطبقي، وتعكس مصالح الفئات البرجوازية الصغيرة «والقسم المتبرجز من الطبقة العاملة» وأقصى مطالبها الإصلاحات الاقتصادية. إن النسغ الذى ينعش الانتهازية اليمينية هي فترات الهمود وشحوب المناخ الثوري.

يقول لينين عن الانتهازية: تظهر فى بادىء الأمر بوصفها مزاجاً ثم بوصفها اتجاهاً

وأخيراً بوصفها جماعة أو فئة من البروقراطية ورفاق الطريق البرجوازيين الصغار). (1)
أما الانتهازية اليسارية : من الناحية الشكلية هي الوجه النقيض للانتهازية
اليمنية. فهي متطرفة في شعاراتها وثورتها، ترفض المنطق التوفيقي والحلول الوسط،
وتصر على الهدم الجذري للأوضاع الفاسدة كما ترفض للمصالحة أو التعاون مع
المنظمات الإصلاحية دون مراعاة للمرحلة وطبيعتها ومهامها، وتعكس ايديولوجيا
ونهج قسم كبير من البرجوازيين الصغار. والانتهازية اليسارية تشبه الانتهازية اليمنية
تقفز فوق الواقع الموضوعي وتحرف النظرية الثورية وتدفع حركة الثورة نحو المغامرات
والاساليب البلائكية. «وتبرهن التجربة على أن انتعاش نشاط العناصر الانتهازية
اليسارية يحصل عادة في مرحلة احتدام الصراع الطبقي وتزايد المصاعب
والحرمانات». (2)

* * *

«الدوغمائية»

الدوغمائية هي فصل المفهوم عن الواقع ومعطياته، وتقديس الكتب والكتابات
النظرية، وتكذيب الواقع والحياة، وتغليب العقائدية والمذهبية على النظرية العلمية
وحصر المبادئ في قوالب جاهزة وانكار ديمومة حركة الواقع كتدفق لا يعرف
التوقف. وفي الوطن العربي تعرض الفكر التقدمي لمرض الدوغمائية وخاصة الفكر
الماركسي - اللينيني في كل الأحزاب الشيوعية العربية بسبب تحويل الماركسية من منهج

(1) - انظر المؤلفات الكاملة - لينين - دار التقدم - المجلد - 27 - ص 118 .

(2) - المصدر السابق ص 30.

علمي ذي طرائق متعددة التطبيق حسب الخصائص التاريخية لكل بلد، إلى لاهوت صالح لكل زمان ومكان، مما أدى إلى نسخ الماركسية من نظرية مدعومة بأسس علمية وواقعية، إلى عقيدة اسطورية ثابتة وهو ما يناقض جوهر الماركسية التي تستلزم الواقع الدائم التغير والحركة وتتعامل معه وتلاحقه من هذا المبدأ الاساسي. كما أن الدوغمائية نظرة عفوية لأنها تحفظ حلولاً نظرية عن واقع الأمم والشعوب الأخرى وتحاول أن تسقط هذه الحلول على واقع يخالف لواقعها ذي السمات الموضوعية والذاتية الخاصة، من خلال فكر جاهز لا علاقة له بهذا الواقع. واشكالية النهج الدوغمائي كانت وما زالت تكمن في المحاولات التلقيفية القائمة بين سلامة هذا الفكر كإطار نظري، وحشر واقع بصورة قسرية في إطار يختلف معه بهذا القدر أو ذاك، أي البعد عن معرفته العلمية «ووجدنا الحل لهذه الصعوبة في نظرية التطبيق فهذا المنهج يؤدي في نهاية الأمر إلى معالجة الواقع نظرياً. أي معرفته وادخاله بالقسر في ثيا الفكر المتبلور المتكون المتلائم لواقع الآخرين.

ولقد برز خطر الدوغمائية فاقعاً في معالجاتنا لأخطر القضايا وهي القضية القومية العربية، حيث وقعنا أسرى الصيغ الجاهزة، فعقدنا مقارنات غير صحيحة بين نشوء وتطور القوميات في أوروبا، وبين نشوء وتطور القومية العربية، فإذا كانت البرجوازيات الأوروبية نشأت كتعبير عن مطامع البرجوازية الصاعدة واكتسبت طابعاً تقدماً تحول إلى عكسه مع تحول الرأسمالية المزاحمة الحرة إلى مرحلة الاحتكارات والامبريالية وقهرت من جراء ذلك الشعوب، بينما نشأت القومية العربية في ظروف امتهان وخضوع للاحتلال الأجنبي وبذلك اكتسبت منذ تكوينها ونشأتها طابعاً وطنياً تقدماً لأن هدف كفاحها أصبح حرية بلادهم واستقلالها وتخليصها من النير الأجنبي.

«الحرية»

الحرية مقولة ينشدها الانسان منذ فجر التاريخ ولقد بدأ الانسان يناضل من أجل الحصول عليها منذ ظهور الملكية الخاصة وانقسام المجتمع إلى طبقات. في الفكر الماركسي: الحرية هي التحرر الاقتصادي أولاً، فليقد قال ماركس «الانسان الذي يعمل لانسان آخر لا يمكن أن يكون حراً مهما منح من حقوق دستورية».

الحرية مفهوم بمعناها العلمي الذي حددته الماركسية بأنه «ليس الاستقلال عن القوانين الطبيعية، وإنما هو معرفة هذه القوانين والامكانية التي تقدمها لتجعلها تعمل بطريقة مستقلة من أجل غايات محددة».

تعرف الماركسية الحرية على أنها إدراك الضرورة، لكنها تشير أيضاً إلى أن إدراك الضرورة، دون امكانية تطبيقها عملياً ليس إلا وهماً بالحرية الحقيقية. فالحرية إذن، هي قدرة الانسان على الوعي والاستيعاب والتفهم طبقاً لأهدافه ومصالحه استناداً إلى معرفة الضرورة الموضوعية. إن دور الاحزاب الانقلابية هو تحويل الادراك والوعي إلى واقع ملموس يمكن تحقيقه وانجازه بتحقيق الديمقراطية لكل العاملين بسواعدهم وأدمغتهم عبر القضاء على بور الاستغلال.

يقول أنجلز «يأتي التعريف الماركسي للحرية بصفاتها الضرورية المدركة وحسب هذا التعريف الماركسي للحرية بصفاتها الضرورية المدركة وحسب هذا التعريف، الحرية الفردية والجماعية، حرية الطبقة، حرية المجتمع، تتمثل بمجموعها ليس في الاستقلالية

الوهمية عن القوانين الموضوعية بل القدرة على الاختيار واتخاذ القرارات بمعرفة الواقع». كثير من يفهمون الحرية بشكل جزئي ويحصرها في مجال الحرية السياسية في تقرير المصير أو معارضة الحكومة وتقلدها وهذا يرجع إلى ملائسات تاريخية، منها القمع التاريخي ومصادرة الحريات العامة، ومنها الصراع ضد الاستعمار والمطالبة بالاستقلال. إن الحرية موقف شمولي من الإنسان له أصوله الفلسفية والأخلاقية، وهي قيمة بنيانية مرتبطة بالتصور العام للإنسان وطبيعته وعلاقاته. إن انتهاك الحرية في العالم الثالث سببه أن مفهوم الحرية لم يرتبط بعد في سلسلة القيم البنيانية والمبدئية في حياة الناس كأفراد وجماعات.

إن الحرية قيمة تتأق مع احتلال أوطان الآخرين، وتجنفي ممارسة الإرهاب، وهي قيمة كاملة لا تقبل التجزئة ولا تنفي نفسها ولا تناقضها، لأنها قيمة تمثل طموح الإنسان لأن يمارس حياته في نطاق حرية الآخرين بإرادة تامة لأن الإرادة ملازمة للحرية وشرطها الضروري، فلا مستقبل حضاري لأي شعب دون إرادة واعية فاعلة.

«الديمقراطية»

الديمقراطية مصطلح يوناني يعود تاريخه إلى دولتي اسبارطة وأثينا. يتألف هذا المصطلح من كلمتين «شعب وحكم» أي حكم الشعب، أو كما عبر عنه لنكولن «حكم الشعب لصالح الشعب بواسطة الشعب» أي اختيار الشعب لحكومته. ويرجع تعبير الديمقراطية إلى نظم الحكم القديمة، وأقدمها ديمقراطيات المدن الاغريقية مثل «أثينا».

اقد اكتسب هذا المصطلح مدلولاً سياسياً فقط، ولكن حركة التاريخ الصاعدة والتراكمات التي خلقتها التطور واسهامات مفكري العلوم السياسية والقانون عقب ذلك هي التي عمقت المصطلح وأكسبته طابع الشمولية والاتساع حتى أصبح يدل على النظام السياسي والاجتماعي. وتختلف المدارس الفكرية في مفهومها ورؤيتها إلى الديمقراطية. في النظام الاثيني هي ديمقراطية يتمتع بها الأحرار، وليست ديمقراطية العبيد. في النظام الرأسمالي هي حرية أصحاب رؤوس الأموال والبيوتات المالية وأصحاب الفعاليات الاقتصادية في الفرص للسيطرة على الدولة واخضاعها لمصالحهم واحتكار القرار السياسي والاجتماعي - والديمقراطية في هذا النظام تستخدم من قبل أقلية من الناس بهدف تدعيم النظام الاقتصادي وتدعيم آليته. يقول هارولد لاسكي «إن الرأسمالية لا تسمح بالديمقراطية إلا إذا كانت الرأسمالية في حالة ازدهار وغمو، وعندئذ لا تمنح في منح الشعب بعض الحقوق السياسية، ولكن إذا كانت الرأسمالية تمر بانكماش وكساد فإنها لا تتردد كما فعلت في أزمة عام 1929/1930 أن تسحب تلك الحقوق الديمقراطية وتشهر الديكتاتورية سلاحاً في وجه الشعب.

أما الاشتراكية فتوجه العديد من الانتقادات إلى الديمقراطية الليبرالية وترى أن أهم عيوب الديمقراطية الليبرالية هو الفصل بين الحقوق السياسية والعدل الاجتماعي، ومن هنا ظهرت الديمقراطية الاجتماعية، وهي التي تطالب بحقوق المواطنين السياسية متوازنة مع تحقيق العدل الاجتماعي، فالغاء الاستغلال والتأمين الشامل لوسائل الإنتاج هو الذي وحده يكفل المساواة والعدل الاجتماعي، وربط أنصار هذا الاتجاه بين الحرية السياسية لمجموع الشعب، وبين التقدم الاجتماعي.

الديمقراطية ليست مجرد دستور لأن أي دستور يمكن أن يصبح حبراً على ورق. وهي ليست مجرد مجلس نيابي لأن أي مجلس يمكن أن يتحول إلى ساحة نفاق ورياء

لتبرير ممارسات السلطات الحاكمة والموافقة الاجتماعية برفع الايدي أو التصفيق.
وبرأينا أن الديمقراطية محصلة سياسية لتسائج اقتصادية اجتماعية وفكرية حققها
نضال طويل خاضته مجتمعات البلدان المتقدمة.

لأن الديمقراطية لا يمكن أن تتحقق إلا في مناخ يسمح بحل المشاكل عن طريق
المناقشة الحرة، أي الحوار الديمقراطي.

الديمقراطية لها دعامتان: أحدهما سياسي ويعني حرية تشكيل الأحزاب والكتابة والرأي
والمعتقد - حرية الاقتراع واختيار ممثلي الشعب دون اكراه. أما الدعامة الثانية فهي اجتماعية
وتتضمن تقديم حقوق مادية للفرد من غذاء وكساء وسكن وتعليم وخدمات صحية واجازات
ترفيه.. الخ.

إذا قرأنا الواقع العربي بموضوعية نستنتج أن المواطن العربي محروم من الديمقراطية
بفرعها السياسي والاجتماعي.

* * *

«اليسار واليمين»

هما مصطلحان سياسيان، يرجع أصل المصطلحين في السياسة إلى حادثة شهيرة.
عندما اجتمع البرلمان الفرنسي لأخذ موافقة النواب في مسألة لها ارتباط خطير في
شؤون الدولة، فاعترض عدد من النواب لأن الموضوع المطروح كان ضد المصلحة
العامة للمجتمع، فجلسوا على اليسار وظل الآخرون الذين يصرون على تنفيذ
الموضوع رغم تأثيره على مصلحة المجتمع في أماكنهم على يمين قاعة المجلس. ومن هذا
الوقت شاع المصطلح وتداول بين المفكرين والمثقفين والسياسيين أول كتاب.

وأخذ المصطلح يتطور بالتدرج مع مرور الزمن، فأصبح مصطلح اليمين في السياسة يعني الرجعيين والمحافظين والمثبطين لارادة المجتمع وكل من يقف في وجه الحركة التاريخية الصاعدة.

أما اليسار فيعني الوطنيين والتقدميين والديمقراطيين والثوريين وكل دعاة التغيير والتطور ونقل المجتمع إلى درجة أرقى في سلم التقدم. وعلى هذا، فمعنى اليمين في الفكر السياسي هو الامتثالية والجمود العقائدي والرجعية والمحافظة على الأوضاع القائمة لمصلحة فئة مستغلة، أو طبقة اجتماعية متعالية هدفها إبقاء الجهل والمرض والفقر والتخلف. يحث على المجتمع، وإبقاء الشعب يتخبط في الوهم والخرافات وخداع الناس ومحاولة أقلية من الناس الإثراء على حساب المجتمع. أما اليسار في الفكر السياسي أصبح يعني الثورة والتقدم وتعميم قيم العمل والانتاج والعدالة الاجتماعية ونشر الوعي السياسي ومحاربة الاستعمار بكل أشكاله القديمة والجديدة. واليسار اليوم كتيار فكري وسياسي يسعى إلى بناء إنسان حر، واع - عاقل - وبناء مجتمع إنساني يظلله الرخاء والازدهار والحرية والسلام، ويناهض العدوان والعنصرية والتعصب القومي، ويشجب كل أشكال الحروب السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والنفسية.

إنه ثورة ضد الظلم والهمجية واحتلال أوطان الآخرين.

وقد أضحي اليسار واليمين خطين سياسيين وفكرين يشملان جميع دول العالم وشعوبه. معسكر اليسار الذي يمثل السلام والدعوة إلى التعايش السلمي والحد من سباق التسلح وتدمير الأسلحة النووية ووقف إنتاجها، واتحاد بور التوت في العالم وينضوي تحت راية هذا المعسكر كل قوى التقدم والسلام والحرية والديمقراطية والاشتراكية في العالم. أما اليمين فيشمل معسكر الحرب والعدوان والرجعية والتمييز الطبقي والعنصري

وتمثل هذا المعسكر القوى الاستعمارية والامبريالية والصهيونية والرجعية، ويهدد مصير الإنسانية بالدمار والفناء.

* * *

«الماركسية - اللينينية»

الماركسية - اللينينية فلسفة ذات براهين علمية، وحصيلة لتجارب واقعية في كافة الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وهي سلاح نظري لمعرفة العالم وامكانية تحويله باتجاه ثوري ومعرفة قوانين تطور المجتمع والطبيعة والتفكير البشري، وهي ايدولوجيا الطبقة العاملة.

ظهرت الماركسية في الاربعينات من القرن (19)م كرد على جشع النظام الرأسمالي الاستغلالي، وصاغ هذه الفلسفة العلمية الجديدة العملاقان كارل ماركس - وفريدريك انجلز.

ثم جاء لينين العظيم وتعمق في تطويرها، وبدأ نشاطه العلمي والثوري في أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين في عهد الرأسمالية ومرحلتها المتقدمة الامبريالية، ورفع الماركسية على الصعيد النظري وحوّلها إلى سلاح فعال نوعياً في مجال التطبيق. إن نشوء الماركسية - اللينينية هي في الوقت ذاته استمرار مباشر لتطورات الفكر الاجتماعي ومنجزاته في ميادين الفلسفة والاقتصاد السياسي والاشتراكية، وهي عبارة عن منهج معرّي - مادي جدلي تاريخي تنطوي على الاقسام المكونة الرئيسية الثلاثة.

أ - الفلسفة المادية الديالكتيكية والتاريخية.

ب - الاقتصاد السياسي.

جـ - الشيوعية العلمية.

وكل من عناصر الماركسية ينقسم بدوره إلى عدد من المواد المستقلة التي تتحول بالتدريج إلى علوم مستقلة مثل «الاقتصاد السياسي للاشتراكية».

إن الماركسية سلاح معرفي ومنهج مادي جدلي وتاريخي بعيد عن العقائدية أو المذهبية لأنها لو تحولت إلى عقيدة كما يحلو لبعض الماركسيين أن يصورها لأصبح من المتعذر على المؤمن بها أن يخضعها إخضاعاً منطقياً وعقلانياً لمنهج البحث العلمي والنقد العلمي، لذا نرى جميع الأقسام المكونة للماركسية - اللينة الحقة يلازمها روح نقدية - ثورية - نفاذه ذات طابع خلاق مبدع.

فالماركسية ليست نصوصاً لاهوتية خارج الزمان تحمل في طياتها قدرة سحرية عجائية على تجاوز العصر والتاريخ، بل هي منهج حي يتصل أوثق الاتصال بعصرها وعلوم ذلك العصر، وتلك خطيئة الستالينية حين تغاضت عن المنهج النابض بالحياة للماركسية والتفتت إلى القوانين التفصيلية بمعزل عن ظروفها التاريخية وحولتها إلى أقاليم متيينة.

إن الماركسية ليست دليلاً في النشاط التطبيقي الهادف إلى تحويل المجتمع نحو الأفضل فقط، بل هي أيضاً سلاح نظري في مجال التطبيق وفي مجال معرفة العالم وقوانينه معرفة صحيحة، وهي تقدم للانسان مرشداً حياتياً قوياً وتساعد في معرفة دوره ومكانه في العالم، والعلاقة بينه وبين الطبيعة من جهة، وبينه وبين الناس من جهة أخرى، كما ترسم خطأ سلوكياً يتميز بالفهم العميق للواقع والقدرة الفكرية على الاقتناع والصلابة السياسية، والمواقف المبدئية والتزعة الانسانية النبيلة. لقد اجتازت الماركسية طريقاً شاقاً من التحول والتطور ناهز قرن ونصف القرن من الزمان. وكانت المرحلة الاولى نشوء الطبقة العاملة ونموها في بعض البلدان وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي

سابقاً، وتأسيس الاحزاب العمالية للماركسية، لقد ولدت الافكار الماركسية وتطورت في ظل الرأسمالية حين كانت القوى والطبقات المستغلة الحاكمة تحتكر كل وسائل التوزيع ومقومات الحركة العلمية.

كانت الماركسية سائدة في الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية السابقة، وهي دليل العمل لملايين البشر في مختلف أصقاع العالم.

إن الماركسية ليست نظرية قومية، بل نظرية أممية حيث توجهها وطابعها العام، وهي تتنافى مع الدعوة إلى التعصب والشوفينية والعنصرية، وقوانينها تتسم بأهمية شمولية، وهي منظومة فكرية تتسم بعمق النظر ودقة التحليل، لذا لا يمكن تطبيق أحكامها تلقائياً وميكانيكياً في كل زمان ومكان، إذ لا بد من دراسة الخصائص الوطنية والقومية والتاريخية... الخ بدقة وعناية فائقتين، وتحليل الواقع المادي الملموس بكل عناصره ومركباته تحليلاً عميقاً، لأن الماركسية ليست نصوصاً جامدة ولا عقائد متييسة يكفي حفظها وتكرارها عن ظهر قلب ثم رسم خط سياسي عليها.

فالماركسية الحقبة تعادي كل المسبقات والافكار التقريرية الجاهزة والاساليب التبريرية الفاسدة، وبالتالي تنافي كل أشكال الصنمية والامثال والجمود العقائدي.

* * *

«الستالينية»

إن الستالينية بكل ما تمثله من اجابات نهائية يقينية حولت الماركسية إلى عقيدة جاهزة جامدة يختفي منها دور الانسان ومبادرة الجماهير الخلاقة. يقول هنري لوفيفر «أهم أمر في نظر ستالين أن الماركسية منذ بداياتها الأولى مذهب ومذهب تام

وناجز». إن ثمة فرقاً كبيراً بين اتخاذ ماركس ولينين كاجابات مقدسة عن كل زمان ومكان، وبين اعتبارها طريقاً عبقرياً لتساؤلات عصرهما وجواباً علمياً دقيقاً عنها، هو الفرق بين ابتذال الماركسية بتحويلها إلى «دوغما» وبين احيائها وتطويرها وتعميقها باعتبارها «نهجاً».

إن اكتشاف ماركس لفضل القيمة وفائض القيمة في المجتمع الرأسمالي، تتبع أهميته القصوى من كونه منهجاً في التحليل التاريخي لا لكونه قانوناً اقتصادياً فحسب. وكذلك كان جدل الطبيعة عند انجلز منهجاً في التحليل العلمي وصياغة فلسفية لمجموعة من القوانين - فالأساس والاساسي جداً عند ستالين أن الوعي يتأخر، فالمعرفة تأتي بعد الواقعة فهي لا تغير منها، والواقعة على هذا النحو تكون مستقلة عن معرفة الانسان وتدخله، ويرى لوفيفر أن نظرية تأخر الوعي هي «مفتاح التأويل الستاليني للماركسية وخطوها الأساسي في نظرية المعرفة». إن التحرير الستاليني وتأويلاته من أجل تسويق هيمنة الدولة التي تناسبها العقائد الجامدة لسد الطريق على مبادرة الجماهير وستالين كرجل دولة قد أدرك ذلك «لكي تتحقق الضرورة التاريخية، ولكي تحل القضايا لذا ينبغي إيجاد تأويل خارج تماماً عن الجماهير ومبادئها التلقائية، وهذا التأويل اللازم هو الدولة»⁽¹⁾

لقد حول ستالين للماركسية من منهج في النقد والتحليل إلى نظرية ذات طابع إمشالي وصنمي وألغى كل مظاهر الديمقراطية. وخطيئة الستالينية أنها أهملت المنهج «الحسي في الماركسية والتفتت إلى القوانين التفصيلية بمعزل عن ظروفها التاريخية وحولتها إلى نصوص لاهوتية وتعاليم سلفية مقدسة.

(1) - انظر مسائل ماركسية معاصرة - هنري لوفيفر - ص 131.

«الثورة»

هي أسلوب للانتقال من تشكيلة اجتماعية اقتصادية معينة إلى تشكيلة جديدة أكثر تقدماً تتم عبر السيطرة على السلطة السياسية التي تستخدم فيما بعد كمرتكز لإعادة بناء النظام الاجتماعي بأسره لصالح الطبقة التي تمثلها القوى الثائرة. إن المقدمة الضرورية الموضوعية لأي ثورة هي التغيرات الجذرية الطارئة على أسلوب الانتاج وعلاقات الانتاج في المجتمع ما قبل الثورة.

الثورة عمل قوامه - الوعي - الإرادة - التنظيم، كما هي تخطيط دقيق وبرمجة علمية تخضع تحت مجهرها قوى المجتمع وتوازناته للدراسة معمقة لرصد ميول الواقع وحركته ومزاج الشعب وتطلعاته، والاولويات التي يناضل من أجلها.

الثورة بشكل عام هي عملية هدم وبناء، وهي الانتقال إلى تشكيلة جديدة. وقد تحدث الثورة في أوقات مختلفة وبلدان مختلفة بقدر فئوج الظروف والمقدمات لها. كما أن الثورة تمثل انعطافاً حاسماً تطول المفاصل والانساق البنيوية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية... الخ وتستهدف بناء علاقات انسانية جديدة وخلق انسان جديد في فكره وعاداته وتقاليده ونظراته إلى الطبيعة وقوانينها. تختلف الثورة عن الفورة والهبة والهيجان، من حيث الشكل والمضمون.

فالثورة تستند إلى العمق في النظرة والتحليل العلمي لكل المشكلات. وتسهم بالصبر والأناة والنفس الطويل والهدم الجذري لبنى المجتمع، وتعتمد على الواقعية الثورية والعقلانية في تعاملها مع الاحداث والقوى الخليفة أو القوى المضادة للثورة، وتعرف

رقت التراجع كما تعرف وقت الهجوم، وتفرق بين الصديق والحليف وبين العدو. بينما الفورات أو الهبات هي عمل دعائي أو تبشيري، سريع ومتهور يهدم أكثر مما يصلح، كما أنه سطحي في تناوله لعلاج المشكلات.

الثورة غير الانقلاب العسكري - الثورة عملية تراكم واختمار شعبي قاعدي تعمل مسبقاً وفق برنامج يستهدف هيكلية الواقع المتخلف بمشاركة جماهيرية فعالة، لها مضمون اجتماعي حيث يسير في ركابها سواد الشعب الفقير لأنها تمثل مصالحه وآماله في الحرية والعدالة الاجتماعية. أما الانقلاب العسكري. فهو عملية سطو على السلطة من وراء ظهر الشعب ودون مشاركة منه مسبقة أو لاحقة.

الانقلاب العسكري عمل سياسي يستهدف الحكم والتسلط في معظم الأحيان، على عكس الثورة فهي عمل سياسي ثوري يعتبر السلطة وسيلة لا غاية في سبيل تطبيق المبادئ والأهداف، بينما الانقلاب يحمل شعارات براقة غالباً ما يتراجع عنها عند الامتحان، بينما الثورة ذات مبادئ جديّة تقاتل من أجلها حتى نهاية الطريق.

وفي الغالب يفضي الانقلاب إلى القمع والاستبداد لاعتماده على الأسلوب الأمني ومصادرة الحريات الديمقراطية، وضيق قاعدته الجماهيرية. الانقلاب العسكري عمل بوليسي مغلق يسير من أزمة إلى أخرى وطريقه مسدود، بينما الثورة عمل مستمر وطريق المستقبل أمامها مفتوح. في الثورة تحكم مؤسسات وهيئات تشريعية وشرعية، بينما ترجع السلطة الانقلابية العسكرية إلى فرد واحد أو عصابة معزولة تقتتل على كرسي الحكم. إن إسم الثورة وحدودها ومراميها ترتبط بنوعية النظام الاجتماعي والقوى الفاعلة فيه.

هناك ثورة برجوازية مثل الثورة الفرنسية التي انفجرت أواخر القرن الثامن عشر

1789م»، وثورة اشتراكية مثل الثورة الروسية 1917 بقيادة البلاشفة وعلى رأسهم لينين، وهناك الثورة الصينية التي قادها ماو تسي تونغ في النصف الأول من القرن العشرين، وكذلك الثورة الفيتنامية التي قادها هوشي مينة. ولكل هذه الثورات أهدافها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والطبقية.

الثورة عملية استنهاض لكل معاناة الانسان خلال عصور من الاضطهاد والعبودية وتوظيفها لكي يتخذ نفسه منها. لذلك يجب أن تستمر الثورة بشكل دائم بحشية ظهور طبقات أو أنظمة جديدة تحت لافتات «تقدمية» جديدة.

* * *

«الثورة المضادة»

عمل معاكس منظم تقوم به القوى الامبريالية والرجعية وكل أعداء التقدم بغرض اعادة الانظمة القديمة التي تجاوزها التاريخ، كالانظمة الرجعية والعنصرية بواسطة التآمر الانقلابي أو الحروب الأهلية ضد الانظمة التي تسلك طريق التقدم الاجتماعي والديمقراطي الاشتراكي. الثورة المضادة غالباً ما يكون دعائها من الايديولوجيين المحافظين والرجعيين والامبرياليين.

وهي رد فعل مخطط على الثورة ذات المضمون التقدمي، وبعث الانظمة التي عفا عليها الزمن. كل ثورة لها نقيضها الثورة المضادة وهي كما قال ماركس «إن الثورة تنجب بحكم تطورها ذاته الثورة المضادة. ومرد ذلك إلى أن الطبقات السائدة المرتبطة بنظام علاقات الانتاج الذي ولى زمانه. لا تتنازل أبداً عن سلطتها طوعاً، وتبدي مقاومة عنيدة في وجه النظام الجديد». «انظر ماركس - أنجلز - المؤلفات - المجلد (7)».

إن القاعدة الاجتماعية للثورة المضادة هي الطبقات الاستغلالية والطفيلية التي تفقد السلطة والامتيازات نتيجة الثورة وتستميل إلى جانبها فئات السكان المختلفة سياسياً وثقافياً والمتذبذبة، وتسعى إلى أحداث الانشقاق في الصف الوطني وبين الفئات والطبقات المقهورة بهدف خلق قاعدة جماهيرية لمقاومة الثورة. إن القوى المضادة للثورة تعتمد عادة في النضال ضد الثورة، محلياً على التحالف الداخلي للمجتمع، ودولياً على الرجعية العالمية.

* * *

«الناصرية»

نسبة إلى الرئيس الوطني جمال عبد الناصر الذي قاد ثورة تموز في القطر العربي المصري (1952 - 1970). الناصرية ليست نظرية ولا عقيدة، وإنما حركة سياسية عملية تجريبية بعيدة عن المساجلات النظرية المجردة. لقد كانت الناصرية حركة تجريبية إلى حد كبير، أي لم تسترشد بدليل نظري يسدّد خطاها ويحصنها من المزالق التي كان بعضها مؤثراً. إلا أن هذه التجريبية كانت أفضل من معظم نظريات الأنظمة والحركات السياسية الموجودة على الساحة العربية آنذاك، هذه الأنظمة التي حاربت الوحدة العربية التي قامت بين مصر وسوريا عام 1958، وطرحت شعارات مجردة لا تتطابق مع واقع الأمة وشروط نهضتها. وقد أثبتت التجربة أن الناصرية كانت تطرح مبادئ، لا شعارات حين قاتلت ضد الانفصال بين القطرين واغتيال الجمهورية العربية المتحدة عام «1961».

لقد كانت الناصرية صحوة عربية وتلمساً لبداية الطريق القومي النهضوي من

أجل التحرر العربي، إلا أن أداتها لتجسيد هذه المبادئ كانت قاصرة ودون الطموحات بكثير. لقد أراد عبد الناصر الوحدة العربية والقومية العربية على أرضية غير مؤطرة وغير واعية كي تكون درعاً يحمي الوحدة من القتل، كما لم يرنى هذه الجماهير قدرة خلاقة وأداة مباشرة للتدخل بل تعامل مع الجماهير بعقلية أبوية ورأى فيها ما يشبه السياج أو الحارس بلا سلاح، أي أنه لم يثق بوعي الجماهير وطاقاتها التاريخية الهائلة، على الرغم من الخطوات الهامة التي اتخذها لتمثيل العمال والفلاحين في المجالس التشريعية. كما أن حل الأحزاب والاكتفاء بتنظيم وحيد تقوده السلطة أوقف ديناميكية الحياة السياسية والاجتماعية مما أدى إلى نمو الروح الاتكالية والبيروقراطية على الصعد الإدارية والسياسية والاجتماعية والانتاجية.

إن المأثرة التاريخية للناصرية تتمثل.

1 - القدرة الرائعة على تحريك الجماهير والهاب مشاعرها واستنفار حسها الوطني والقومي. لقد كان لخطب عبد الناصر أثراً سياسياً ونفسياً على الجماهير العربية لم تستطع الحركات السياسية المتواجدة في ميدان العمل الوطني أن تصل في مجموعها حتى إلى جزء منه.

وبرأينا أن السبب يعود إلى أن عبد الناصر كان يعكس في خطبه السياسي تطلعات الأمة ومشاعر الجماهير، لذا رأت صورتها في المرأة الناصرية أكثر وضوحاً وتطابقاً من أي حركة سياسية أخرى فاستجابت لها.

2 - الاصرار الناصري على المسألة القومية. فالمسألة القومية في الفكر الناصري كانت أساسية لأن عبد الناصر رأى أن مسألة التحرر العربي والتقدم والاشتراكية مرتبطة بشرط أساسي هو تحقيق الوحدة العربية، وأن لا تحرر ولا إستقلال حقيقي لمصر دون القضاء على الاستعمار الجديد وأعدائه في مصر أولاً، وعلى صعيد الوطن

العربي ثانياً، لذلك نراه قاتل في الجزائر، أي دعم الثورة الجزائرية ضد الفرنسيين بكل ما أوتي من قوة، وقاتل النظام الظلامي في اليمن، وقاتل الانكليز في عدن، وكذلك فعل في العراق عام 1958 وما تلاه ضد حكم عبد الكريم قاسم، ودعم كل تحرك شعبي ضد التظم العربية الرجعية.

3 - عروبة عبد الناصر: لقد كان عبد الناصر يحمل على كتفيه رأساً عربياً قومياً استطاع أن يشد الثقل المصري بالحركة القومية العربية في بقية الاقطار، في وقت ارتفعت أصوات تنادي أن مصر أمة قائمة بذاتها «مصر الفرعونية» وهذا التيار ليس ضعيفاً. فكان اصرار عبد الناصر قومياً وعروبياً، فهذا ليس معناه عرقية أو شوفينية كما يدعي بعض الماركسيين التقليديين، أو بعض الاقليات الطائفية التي تعادي الناصرية لسبب أو آخر، لأن العروبة ليست عرقاً بل ثقافة - حضارة - عمل وطني وقومي، وبالتالي هي مواقف وليست ثروة عقيمة، كما أن هؤلاء لم يستوعبوا عصر الامبريالية القائم على تفتيت الأمم وتذير الشعوب.

4 - لقد استطاع عبد الناصر ولأول مرة في تاريخ العرب المعاصر أن يرتقي بالعمل السياسي نقلة نوعية، مخلصه من الفهولية والاوهام وطبعه بالواقعية الراديكالية والحساب الدقيق مقترباً في ممارساته السياسية من العقلانية حين خلص العمل السياسي من الاعتبارات الايديولوجية الدينية والمعتقدية وأخضعه للحسابات المصلحية والواقعية، فلم يضع في سياساته الخارجية أي اعتبار عقائدي فقد كان معظم أعدائه من المسلمين، أما اصدقاءه فأغلبهم من الملحدين والمسيحيين والمجوس والبوذيين والهندوس. وكذلك كان الحال في تعامله مع مشاريع الحلول الأمريكية «للسلام» وخاصة مشروع زورجز اثناء حرب عام 1967 وما بعدها تدل على حصافة سياسية واقعية افتقرت إليها مفردات السياسة العربية بعد رحيل عبد الناصر.

والسؤال هل للناصرية أخطاء؟ طبعاً لكل حركة سياسية أخطاءها «ومنابع أخطاء الحركة الناصرية وأسباب عجزها، عديدة وتشمل في «فقرها الايديولوجي، تناقضاتها الطبقية، وعدم وجود حركة طليعية بالتالي»⁽¹⁾.

* * *

«القومية والقومية العربية»

إن عصر القوميات هو عصر نهوض البرجوازية الاوربية وصعودها، ونشوء وتطور الصناعة الضخمة، وتكالب الرأسماليين على فتح أسواق عالمية لتصريف منتجاتهم، ونهب ثروات الأمم والشعوب الاخرى واخضاعها اقتصادياً وسياسياً. ومن هنا اكتست القوميات الاوروية طابع الاستعلاء والشوفينية والناصرية والاستعمار.

القومية ظاهرة حديثة برزت بحدة في القرن التاسع عشر، الذي يعتبر عصر القوميات الاوربية، وتختلف عن الظواهر السابقة عليها لأنها تتضمن مفهوم «الدولة القومية» التي تمثل التجسيد الكامل للمشاعر القومية. وإن فكرة القومية مرتبطة برباط لا ينفصم بمسيرة تعميم المواطنة. ويفهم عادة من كلمة قومية: مجموع بشري، يشعر فيه الأفراد بأنهم متحدون، بعضهم مع بعض، بروابط مادية، كما أنها روحية في الوقت نفسه، كالتاريخ واللغة والمشاعر المشتركة والأرض والمصالح والآمال والتطلعات.

وقد حدد ستالين وجود الأمة والقومية بأربعة شروط - الأرض - اللغة - التاريخ - والمصالح المشتركة - الاقتصاد الواحد. هذا التعريف فيه قسر وقولية لوجود العديد من

(1) - الهزيمة والايديولوجية المهزومة - ياسين الحافظ - ص 150 - 160

الأمم ومنها الأمة العربية التي قسمت بفعل الهيمنة الاستعمارية ففقدت بعض مقومات الأمة وخاصة الاقتصاد الواحد حسب نظرية ستالين.

إن نشوء فكرة القومية العربية، بمعناها الدقيق، قد بدأ في البلاد العربية، مع بداية النهضة الأوروبية الحديثة، سواء على صعيد التاريخ أو السياسة أو الاقتصاد أو الثقافة والفكر والدين أو العادات، لأن الحياة العربية في عصر الجاهلية كانت حياة قبلية وغير قومية، بل أقوامية.

إن القومية العربية يجب أن تكون دعوة علمانية ذات طابع إنساني موضوعي بعيداً عن التأسيس على أي خلفية عنصرية.

إن الشعور القومي العربي قد بدأ بوحي عدد من الحوافز السلبية «خارجية وداخلية» فهناك تحديات خارجية تفرض الوحدة العربية تمثل في الاستعمار والصهيونية.

أما الحوافز الداخلية فقد نشأت عن الاحساس الكبير بالتخلف السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وعن الشعور بضياح حرية الفرد العربي وكرامته، وبالظلم الاجتماعي الفادح الذي بات يشكل قانون الحياة في المجتمع العربي والقوى الرجعية التي تقف عثرة في وجه التقدم.

إن الوحدة العربية هي الاختبار الحقيقي للحركة القومية باعتبارها التجسيد العملي لفكرة القومية العربية.

إن مضمون الثورة العربية القومية ثوري وتقدمي يتحدد محتواه المعادي للامبريالية والراسمالية باستنادها أساساً من الناحية الاجتماعية على الطبقات والفئات الهامدة المضطهدة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً.

الحركة القومية العربية ليست ردة يرجوازية أو شوفينية، كما تدعي بعض الكتابات الماركسوية أو الاقليمية في الثورة العربية الجانب القومي كبير، فهناك استعمار

استيطاني صهيوني زاحف، كما أن هناك أراض عربية سلخت من الوطن الأم بقوة الحراب الامبريالية واقتسام مناطق النفوذ بعد الحرب العالمية الثانية «لواء اسكندرون - عربستان».

نحن على يقين أنه طالما للامبريالية وجود وأحلاف في الوطن العربي فان القضية القومية تشكل مسألة مركزية في أولويات نضالنا الديمقراطي والاجتماعي والتحرري.

«الثوري الحق - القومي العربي - الحديث - المستقبلي، يريد أن ينتقل «رسيثقل» بهذا الوجود العربي المهدد أن يبقى سماً للعالم المتقدم وموضوعات لسياسات الدول الكبرى، «وكذلك اسرائيل» إلى العصر - من هنا فان القومي العربي المستقبلي، الذي وعى تأخرنا وتقدم سوانا، ليس بحاجة إلى مهيجات ثوراوية ولا فيتامينات قوماوية تتكر للحقيقة الواقعية والحقيقة التاريخية اللتين لا يمكن التقدم إلا إذا جرى وعيهما وعياً مطابقاً بلا زغبة ولا شعور» (1).

إن الجانب الثوري في الحركة القومية والتيار القومي العربي يتمثل في تأكيده واصراره على الوحدة العربية.

«إن الوحدة العربية هي الشرط اللازم لا الكافي لدخول العصر»
إن الثورة القومية الديمقراطية، هي الشرط الذي لا بد منه للتحويل إلى الثورة الاشتراكية في عصر الامبريالية.

«إن كل ثورة قومية في بلد متأخر عليها أن تحسم المسألتين الأساسيتين.
الأولى: هي مسألة القطيعة مع المجتمع القائم ونقده من الجذور.

(1) - الهزيمة والايديولوجيا المهزومة - ياسين الحافظ - دار الطليعة - بيروت - ص 306.

الثانية: مسألة التأخر واستلهاهم مناهج ودروب البلدان الغربية الأكثر تقدماً، أي القطع مع كل نزعة ماضوية وتقليدية في تصور مستقبل تطور البلاد» (1).
إن وجهي القومية والثورة القومية التقدميين هما الديمقراطية والعلمانية.
* * *

«العروبة»

ليست لعروبة عرقاً لجماعة معينة من البشر تختص بدم واحد أو سمات فيزيولوجية محددة فلا وجود لدماء نقية بين العرب أو غير العرب من شعوب الأرض، بسبب الفتوحات والحروب أو الجوار والمصاهرة أو الهجرات. العرب أمة كانت تعيش في الجزيرة العربية ولم تبق متفوقة أو منزوية فيها. وكانت الجزيرة العربية هي القاعدة التي أنطلق الاسلام منها إلى سائر أرجاء المعمورة. فقد كان العرب هم مادة الاسلام وأذاته.

ولكن العرب لم يعودوا سكان الجزيرة العربية الذين انطلقوا منها فقط. إذ مع تقدم الفتوحات وانتشار الاسلام خارج الجزيرة العربية انخرطت أقوام أخرى في العروبة. فالمغرب العربي عرقياً، ليس عربياً، إنه بربري ولكنه ثقافياً عربي في الصميم. السودان كذلك ليس عربياً وإنما هو زنجي من صلب إفريقي، ولكنه عربي في لسانه وثقافته وحضارته. وبعض الشخصيات التي كان لها دور في التاريخ العربي ولم يكونوا أصلاً من العرب مثل صلاح الدين الأيوبي - جمال الدين الأفغاني - أمير الشعراء أحمد

(1) - نفس المصدر السابق ص 306 - 308.

شوقي، فلقد كان صلاح الدين وأحمد شوقي من الأكراد - والافغاني من ايران -
فارسي الأصل - ومع ذلك لا يمكن لأحد أن يدور في حقله أن هذه الشخصيات غير
عربية».

إننا نعتبر هذه الشخصيات عربية من الناحيتين الثقافية والحضارية والروحية
والعلمية. فصلاح الدين عربي كان له دور حاسم في التاريخ العربي بابعاده خطر
الصلبيين عن الوطن العربي وتجسيده وحده الأرض والشعب.
والأفغاني خدم العروبة وقدم لها أكثر من محمد عبده. فالعروبة ليست الدين
وحده، بل هي اللغة التي ننطق بها، وهي العادات والتقاليد والقيم والمثل الخلقية
والجمالية والابداعية وإرادة العيش المشترك التي تزاوجت وتمازجت بين الفاتحين العرب
المسلمين وبين الأقوام التي أسلمت وتفاعلت ثقافتها مع ثقافة العرب في بوتقة إسمها
العروبة.

* * *

«الأصالة والمعاصرة»

الأصالة ليست التعلق بأهداب الماضي أو العودة إلى التراث وتحنيطه وتقديسه. قد
تكون العودة إلى التراث بعقل نقدي ووعي كوني أحد عناصرها، لكن الأصالة ليست
الهروب إلى الماضي والاحتفاء به فقط. الأصالة الحقيقية تعني قدرة الأمة على بناء ذاتها
حضارياً وثقافياً من الداخل والقدرة على التجدد والابداع الدائمين من أجل المحافظة
على الهوية من التبدد والضياع تحت مستجدات العصر وضغوطه ومستلزماته وحماية
الشعب من التخلف والانهيئات المتلاحقة من أجل بناء المستقبل العربي.

والاصالة فحص الماضي وما يحتويه من تراث - ديني - ثقافي - ادبي - نصوص
فقهيّة - حركة التاريخ ومساره بموضوعية وعقل علمي تقدي مطابق للواقع وقراءة
التاريخ بعيون شاحصة إلى الأمام متمثلة ومستوعبة كل المعاني والدروس والمعطيات
الايجابية لهذا التراث في سبيل المحافظة على الهوية الوطنية والقومية من الالحاق والتبعية
وصيانتها من التآكل والانقراض.

أما المعاصرة فلا تعني أن تأخذ من تراث الغرب وحضارته ما يلزمنا ونترك الباقي،
ولا تعني أن نرتقي في أحضانه مستسلمين تابعين لعاداته، لأن المعاصرة ليست التفرغ
(تقليد الغرب) لأن الغرب أشاد صرحه الحضاري على أرضية واقع مغاير لعناصر الواقع
العربي. إن تقليد النموذج الغربي لا يعني المعاصرة، وإنما يعني القبول بسلفية جديدة
معاصرة لا تمت إلى واقع البلد المقلد بصلة ذاتية وإلى حد كبير بصلة موضوعية.

«التلفيقون الذين يقولون بالاصالة والمعاصرة بشطارة وفهلوية يكتفون بالقول:
إن علينا أن نأخذ من الغرب ما يصلح، وأن تبني بعد ذلك نموذجنا الحضاري.
والتلفيقية تريد أن تجمع بين الماضي وبين العصر على سطح واحد ونجزيء التراث
الغربي وتنقي منه ما يريد، وما تريده التلفيقية من التراث الغربي هو ابعاد كل فكر
اقتحامي، أو فتح ثقافي جديد، وانتقاء كل ما يجعل حالة المصالحة مع الواقع القائم
المتخلف أمراً مقبولاً». (1)

لذا فالتلفيقية هروب وانهزامية، بسبب أن التراث الغربي سيرورة تراكمية
متكاملة، له واقعه ومقوماته، وآلية عمله، فإما أن ندرسها ونتمثلها وتستوعبها، وإما أن
تدير ظهرها لنا وتهرب منا». (2)

(1) - المزمعة والايديولوجيا المزمومة - ياسين الحافظ - ص 214 - 217.

(2) - المصدر السابق ص 212.

إن المعاصرة تعني من الناحية الثقافية التواصل وعدم الانقطاع عما يدور في العالم من تطورات وتفاعلات، والتواجد في العصر، أي الاستمرارية والانفتاح على آخر منجزات العلوم والمعارف الطبيعية والانسانية والتمثل والاقتراس الخلاق من أجل بناء نموذج حضاري مستقبلي مركب، عناصره منسجمة ومتوازنة من الوطني والقومي والعالمي.

فالإصالة والمعاصرة مقولتان. تنتهي الروعة لو اجتمعنا بالمعنى الجدلي والديناميكي، وهي ليست عملية اصطفاة أو رصف لنماذج انتقائية، بل عملية تلاقح حضاري مركبة، أكثر مما هي عملية ترفيقية، هي عملية استيعاب لثرائنا وتراث الغرب، يلتقيان في بوتقة تفاعل وإنصهار مادته مجموعة من العناصر والمقومات ليستج في النهاية نموذجنا الثقافي العصري المتميز.

* * *

«الاستراتيجية»

كلمة واحدة تعطي مفاهيم مختلفة. تنحدر من اليونانية الكلاسيكية وهي تعني الاهداف البعيدة الثابتة نسبياً. وتعني «قيادة جيوش المدينة» و «المفهوم العملياتي» لهذه القيادة. وقد اكتسبت بالتدريج معنى أكثر دقة تمشياً مع اتساع الحروب والحاجة للدراسات حول الطريقة التي يجب أن تتم بموجبه إدارة الحروب على أحسن وجه.

بالنسبة للدول الغربية ومعظم المثقفين والمفكرين تعتبر الاستراتيجية فناً لأنها تطبق مجموعة من المعارف النظرية والتقنية لانهاز شيء عملي. إن فن الاستراتيجية لا يفتقر للعقلانية لأن الاستراتيجية تحتاج إلى تحليل نقدي مسبق للأوضاع القائمة والأوضاع المحتملة في المستقبل. والاستراتيجية كفن ترتبط بـ «الفكر المرفف» أكثر من ارتباطها بـ (العقل الهندوسي) كما عرفها باسكال. وحسب المفهوم الغربي فإن

الاستراتيجية احتمالية لذلك لا يمكن أن تأخذ طابع الاستمرارية حتى ولو كانت غاياتها وأهدافها محددة بوضوح من قبل السياسة (1) .

أما مفهوم الاتحاد السوفيتي سابقا للاستراتيجية فيستند إلى قوانين حددت صفاتها بشكل دقيق، وعلى هذا فإنها أقل عرضة للتغير كما هي الحال عند الأوروبيين الغربيين. ولهذا لا يمكن القول بأن الاستراتيجية السوفيتية تتمتع بطابع الاستمرارية (2). وبعد الحرب العالمية الثانية شمل هذا الاصطلاح مجالات عديدة بعيدة كل البعد عن ميادينه الأصلية وأصبح من الضروري إرفاق كلمة الاستراتيجية بالصفة العسكرية أو السياسية أو الاقتصادية لكي ينطبق الاصطلاح على المعنى المقصود منه دون غموض أو تحريف. وبرأينا أن الاستراتيجية هي القواعد الثابتة والمستمرة لأهداف بعيدة المدى نسبياً يسعى مجتمع ما لتحقيقها على مراحل محددة وبأساليب علمية.

* * *

«التاكتيك»

قد يتبادر إلى الذهن أن التاكتيك ليس أكثر من فلولية وسرعة في التلون وتغيير المواقف أو نطنطه وانتهازية وتحريف. «بالطبع ليس هذا».

التاكتيك هو مجموعة الأعمال المدروسة بدقة علمية من أجل خدمة الهدف الاستراتيجي العام، وهو مجمل النشاطات الفرعية التي تجسد خطط العمل العام، كما أنه نشاط بشري ديناميكي - مرن يتصف بالعقلانية والموضوعية على أسس واقعية وثورية.

(1) - انظر كتاب «استراتيجيتان» إصدار دار طلاس - دمشق ص 8-22 .

(2) - المصدر السابق ص 8-22.

فالتأكيك عمل واعى اتقلابي يخضع لمستلزمات وقوانين الاستراتيجية في كل مرحلة أو
في فترة المفاوضات والهدوء والسلم على حد سواء.
* * *

«العقلانية»

يعتبر القرن (18م) عصر العقل. والعقلانية تعني العقلانية الحديثة ممثلة بـ (عصر الانوار)
التي جاءت نقیضاً للتقليدية، استناداً إلى بعض الاكتشافات التي حققها علم الطبيعة، وبخاصة
اكتشافات نيوتن. انطلقت هذه الحركة الفكرية لترسي قيم ومناهج العالم الحديث. إن العقلانية
الجديدة، وهي الليبرالية على الصعيد للعربي، تؤمن بالاكتشاف التدريجي للحقيقة سواء في
الطبيعة أم في المجتمع، بواسطة العقل وحده، تحت رقابة التجربة. لذلك يمكن القول إن العقلانية
مفهوم تاريخي، أي مفهوم متطور. والفعل العقلاني له مرجعية واحدة هي الإنسان المحرب فقط.
لذا فهي ترفض الميتافيزياء، المسبقات، المطلقات - المعتقد الايماني - الوحي التي
كانت تستند إليه مناهج المعرفة الوسطوية.

بدون هذه العقلانية ما كان للعلوم أن تتقدم هذا التقدم المذهل، وبالتالي لا يمكن
لمجتمع أن يتقدم ولا يمكن للعلم أن يتقدم حين ترفض هذه العقلانية . مع هذه الحركة
الفكرية انخرط المجتمع والدولة البورجوازيان في طريق العقلنة.
المجتمع الاشتراكي والدولة الاشتراكية يدفعان إلى الأمام هذه العقلنة ويخلصانها
من تناقضاتها وثرغراتها.(1)

(1) التجربة الفيتنامية - ياسين الحافظ - دار الطليعة - بيروت 1979 - ص 23.

إن العقلانية صفة خلق متجانسة، أي ما هو عقلائي في ميدان معين، عقلائي على الأرجح في الميادين الأخرى.

وينبغي تمييز العقلانية المفهومة على هذه الصورة عن المذهب العقلي، الذي يعتبر عقيدة أو مبدأ يريد أن يفهم عالم الاحساس والتجربة بالفكر أو العقل، على تقيض الانفعال أو الحس، أو طريقة التصور فوق الحسي.

على هذا النحو نضجت العقلانية نهجاً في صنع الأشياء، وتطبيق مبادئ المذهب العقلاني على العمل. مع ذلك يمكن تماماً أن يتصرف الإنسان عقلياً، أي أن يكيّف الوسائل مع الغايات، دون أن يلتزم صراحة أو عمداً بعقائد المذهب العقلي. بتعبير آخر، يمكن أن يعمل الإنسان عملاً عقلياً دون أن يكون فيلسوفاً⁽¹⁾.

* * *

«العلمانية»

لغويًا، مشتقة من العلم «أي العالم»، وهي بخلاف الديني والكهنوتي في الغرب، فكانت العلمنة إحدى الظواهر الفرعية لعقلنة المجتمع، المنخرط في نضال للتحرر من سلطان التقليد وتحقيق استقلال الدولة والمؤسسة عن الكنيسة التي منحست نفسها حق توجيه سائر أشكال الحياة الفردية والاجتماعية. العلمانية تحترم مختلف الآراء الدينية، ولكنها لا تحايي أي واحد منها، لذا بقدر ما تعقلن الأيديولوجيا الدينية بقدر ما يتضاءل تناقضها أو اصطلاحها مع مبدأ العلمنة. انبثقت العقلنة العلمانية من ثقافة

(1) - انظر أوروية التقنية - دافيدرس لاند - مطبوعات وزارة الثقافة السورية - ص 43.

ديمقراطية وصراع في سبيل التقدم وكرامة الانسان، وجاءت بمثابة تأكيد على قدرته على تنظيم شؤونه بآليات تنظيمية عقلانية. لذا فالمبدأ الأساسي في العلمنة يؤكد أن الدين أمر شخصي، وينبغي، بالتالي فصله عن الدولة والمدرسة والاحوال الشخصية. في البلدان متعددة الديانات أو المذاهب، العلمنة بالدور الذي تلعبه في عملية تجديد الايديولوجيا القومية، وبالتالي، اسهاماً في تصفية تراث الأمة، إلى طوائف وفي استتصال أسباب الفرق والتمييز بينها وتفنيد الايديولوجيات الطائفية، تشكل مفتاح حل مسألة تقدم الأمة التي تعاني تأخراً تاريخياً.

العلمانية راتر حدثاً أي حركة أو ايديولوجيا قومية ومحاك محتواها الديمقراطية (1).

* * *

«العقل العلمي»

العقل العلمي عقل منفتح ونشيط، لا يقبل الاحكام المطلقة ولا النظريات الجاهزة المسبقة، يميل إلى التجربة والتحليل والخيال الواقعي والنقد والوعي النقدي. وهو كثير الشك والتساؤلات وبعيد عن الانغلاق واليقينية وآفاقه تاريخية وكونية. العقل العلمي يفسر عالم الكليات تفسيراً عقلانياً ويبحث في عالم الجزئيات وقضايا الواقع اليومي المتعلقة بالسياسة والمجتمع والاقتصاد والوطن والوطنية... الخ لأنها تتعلق بمفاهيم القانون العلمي، لأن هذا القانون يحتمل، الملاحظة والتجربة والتجريب، ويدرس الظواهر ويحللها ويقبل بفكرة التطور والتاريخ والتغيير، ويشق بالعقل المنهجي

(1) انظر التجربة التاريخية القيتامية - ياسين الحافظ - ص 23 - 24.

ويركن إلى دروس المعرفة الانسانية ويقبل الاحتكام إلى قواعدها.
العقل العلمي على عكس العقل الغيبي، فالأخير يركن الى فلسفة الايمان واليقين
ولا يتعامل إلا مع الكليات والمطلقات - الكون - الروح - السماوات - واللامتناهي -
ويرفض التعامل مع الخاص والجزئي لأنها من وجهة نظره قضايا تافهة، واحكامه تستند
إلى خلفية مؤلفة من الحدس والغريزة والوجدانيات، وهذه قضايا أمور ليس لها ميزان
علمي ملموس. إنه عقل يجافي بلايا الأرض والدنيا والحياة ويتعلق بتلايب السماء.
«وبكلمة العقل العلمي هو الذي يستطيع أن يقترب أكثر فأكثر من الواقع وإن
يصبح العقل أكثر مطابقة للعالم الذي يحيط بنا ونحن جزء منه، بغية فهمه أولاً، ثم
الانتقال إلى التنبؤ أو التوقع ومن بعد إلى الفعل»⁽¹⁾.
* * *

«الايدولوجيا»

كان دستوت دي تراس «1754 - 1836» أول من استعمل كلمة ايدولوجيا
وعرفها بأنها «العلم الذي يرمي لدراسة الأفكار على أنها وقائع الوعي وتكشف
قوانينها وخصائصها وعلاقاتها بالاشارات التي تعبر عنها وتتبع أصلها. وأخذ يتطور
معناها فوصف انجلز في كتاب الايدولوجيا الألمانية «بأنها مجموعة من الافكار تحيا
حياة مستقلة، وتخضع لقوانينها الذاتية. ويجهل الايدولوجيون أن أحوال الوجود المادية
هي التي تقرر العملية الايدولوجية في الدماغ الانساني وان أدركوا هذه الحقيقة، لكان

(1) - انظر التجربة التاريخية الفيتنامية - ياسين الحافظ - ص 24-28 .

هذا الادراك نهاية لكل ايدولوجية».

الايدولوجية هي مجموعة من المعتقدات والأفكار والتصورات والقيم المشتركة لجماعة من الناس، سواء من طائفة أو طبقة أو حزب أو أمة. وهي جملة تصورات جماعية تؤكد بها جماعة أو طائفة تفردا عن الجماعات أو الطوائف الأخرى. فايدولوجيا حزب تعني مثلاً: سجل الأطر الفكرية والثقافية والسياسية والمنهجية التي تميز هذا الحزب.

كما أن الايدولوجيا مغترفة من مستودع التصورات الجماعية الكبير الذي هو ثقافة المجتمع الكلي، أو هي مستعارة من الثقافات الأخرى، أي التناقض مع بعض الشعوب الأجنبية.

الايدولوجيا محددة بزمان ومكان معينين لا تتعداهما. وهي إما رجعية أو اصلاحية أو ثورية. وهي إما أن تكون أداة لتوضيح الحقائق ونشر الوعي الحقيقي والواقعي، وإما أن تنشر وعياً زائفاً للحقائق فتتحول إلى أداة طمس للواقع العياني. كما أن الدين ايدولوجيا - والليبرالية ايدولوجيا - والعرقية ايدولوجيا والعنصرية ايدولوجيا - والماركسية في أحد وجوهها ايدولوجيا.

* * *

«الصراع الايدولوجي»

هو شكل من أشكال الصراع بين خط تقدمي وخط سياسي محافظ رجعي. وهو شكل للصراع الطبقي بين الطبقة العاملة وبين الطبقة البرجوازية. بين الاشتراكية وبين الرأسمالية في المجتمعات التي أصبحت ناضجة طبقياً ضمن تنظيمات محددة. أما

الصراع الايديولوجي في البلدان المتخلفة فيتجلى بين طبقات معنوية، أي بين شرائح اجتماعية لم تبلور سيماءها الطبقية بعد. وهذا الصراع من الناحية الواقعية صراع بين الاغنياء والفقراء، ما لم يستقر في توازن اجتماعي يحدد المصالح الاقتصادية ويجسد الطبقات كمقولة واقعية وليست مقولة إسمية فقط. إن أهداف الايديولوجية البرجوازية يمكن ايجازها بخلود ملكية وسائل الانتاج وأدواته، والملكية الخاصة، وصرف الجماهير عن القضايا الاجتماعية الحادة، ونشر النزعة الفردية والعرقية والشوفينية، وتشويه الايديولوجيا العمالية «الماركسية - اللينية». وتشويه نضال الشعوب في سبيل استقلالها واتهام كافة الشعوب التي تعمل من أجل استقلالها بالارهاب. أما أهداف الايديولوجيا الاشتراكية فهي بناء الانسان الجديد المتحرر من التعصب العرقي والقومي وتحقيق المجتمع الاشتراكي الخالي من الجوع والمرض والفقير والامية، والحد من سباق التسلح، وتحقيق السلام والتعايش بين كل الانظمة المختلفة في العالم.

* * *

«النقد والنقد الذاتي»

هو أسلوب للعمل الثوري من أجل التقدم، وطاقة دفع لحركة تطوير المجتمع الاشتراكي وكذلك هي أساس يعزز السلوكية المثلى للأخلاق وتربية الناس النفسية والذاتية.

«إن الأساس الموضوعي للنقد والنقد الذاتي هو التناقضات الديالكتيكية الناشئة في سياق التطور التاريخي، والفوارق بين مصالح الطبقات والفئات الاجتماعية والنضال اللازم للتطور في جميع ميادين الحياة الاجتماعية بين الجديد والقديم، بين التقدمي

والمحافظ، في ظل الرأسمالية التي تلازمها التناحرات الطبقية والاجتماعية الحادة. اعتبر ماركس «سلاح النقد» وسيلة من وسائل نضال البروليتاريا الطبقي. كذلك أشار لينين إلى الأهمية الحيوية التي يرتديها النقد والنقد الذاتي لأجل القيام بالثورة الاشتراكية.

إن مضمون النقد وطابعه وأشكاله وطرائقه في المجتمع تعزى إلى العلاقات الاجتماعية ومبادئ الحياة الحزبية الداخلية وأهداف التطور الاجتماعي ومهامه، بما أن النقد هو عمل سياسي مسؤول، يمس بهذا القدر أو ذاك للمصالح الاجتماعية الواسعة، فإن الموقف منه رهن بالمواقع التي يجري منها، وبالغرض الذي يناضل من أجله وما يسفر عنه، إن النقد الحقيقي هو الذي يسهم في تطوير المجتمع في طريق التقدم، ويساعد على حل المهام التي تواجهه. إن تصفية الخلافات والتناقضات داخل الهيئات والمنظمات يجب أن يتم بواسطة النقد الرفاعي والأخوي الصبور، بواسطة الاقتناع وإن النقد يقبل ويأخذ بالحسبان بنحو أفضل حين يتسم بطابع ودي. (1) إن للملاحظات النقدية التي تعتمد على وقائع متحقق منها وعلى مقترحات معلة ولبقة من حيث الشكل تتجاوب مع المصالح الاجتماعية. إن تطور النقد والنقد الذاتي رهن بمجمل الظروف الموضوعية والذاتية - التوازن الاجتماعي وتبلور المصالح الطبقية - حالة البلاد على الصعيد الخارجي - وضع البلاد السياسي والاقتصادي - طبيعة المرحلة التي تمر بها البلاد - مستوى تطور الديمقراطية - درجة الوعي السياسي عند القوى الوطنية والديمقراطية وسائر فئات المجتمع إن الموقف من النقد والقدرة على قبوله وتفهمه بنحو صحيح، والتجاوب معه بروح علمية، كل هذا يشكل محكاً لتضوج وعي المناضل الثوري وجميع العاملين في الميدان السياسي. إن الحزب التقدمي

(1) بعض قضايا الثورة العربية الراهنة - ياسين الحافظ - ص 45.

الثوري وجميع العاملين في الميدان السياسي. يشجب قطعاً أولئك الذين يظهرون الصلف والفطرية وعدم التواضع ويأبون النقد لأنه لا يمكن أن يكون قائداً حرياً ذلك الذي يفقد القدرة على تقييم نشاطه بعين نقاده وينفصل عن الجماهير»⁽¹⁾

إن أهمية النقد والنقد الذاتي تصبح حليمة الأهمية في ظل ظروف تعقد المهام الوطنية في التحرر والبناء والتنمية والتقدم. لذا فـا النقد يصبح ليس حقاً فقط، بل واجباً وطنياً.⁽²⁾ في البلاد المتخلفة يتسم معظم النقد والنقد الذاتي بالتهجم والشتيمة والتجريح وتهميش الافراد والجماعات، والبعد عن الموضوعية مما يجعل النقد عملية بعيدة عن بناء موقف سليم. المطلوب من مثقف ما في بلد متخلف أن يتدرب على تنمية « عقلية نقدية » تتسم بتوازن موضوعي وذاتي ويتسلح بوعي علمي خلاق وثقافة ثورية مستوعبة الافاق التاريخية القومية والعالمية.

* * *

« الثقافة »

« الثقافة في قواميس اللغة العربية تعني صقل الشيء وتقويمه من الاعوجاج والانحراف. وفي كتب الأدب القديم تعني كلمة «أدب» الثقافة. ولكن معنى الثقافة تطور واتسع فلم تعد الثقافة مجرد نتاج فكري وفني وأدبي أو مجرد مقولات وصيغ تدون في الكتب. بمعزل عن الحياة والممارسة والتجربة العملية. فالثقافة هي نشاط الانسان وفاعليته ووعيه للذات والموضوع وعلاقته بالواقع الذي يعيش فيه ومدى قدرته

(1) - انظر معجم الشيوعية العلمية - دار التقدم - ص 436 - 438.

(2) - بعض قضايا الثورة العربية - مصدر سابق - ص 47.

على التأثير وانخضاعه لمصلحة الانسان وخدمة تطلعاته وطموحاته. فالثقافة ليست تكرار المقولات والكلمات الموسيقية ولا النقل الآلي للأفكار ولا تقليد الآخرين، ولكنها خلق وابداع وتطوير. إنها علاقة دينامية متبادلة وعاقلة، وموقف مع الحياة ومن الحياة، موقف من الآخر والعالم والاحداث وتطوراتها. ويعرف «ليف كوغات» الثقافة بأنها أحد المقومات التنظيمية للحياة الاجتماعية وبأنها حصيلة النشاط الانساني ابتداء بعملية الانتاج الآلي وانتهاء بتجليات الفكر الانساني الرفيعة الذي يتميز بحرية الخلق والابداع».

الثقافة تختلف باختلاف الطبقات والشرائح والافراد التي تتجهها. وإذن هناك ثقافة رجعية تسعى من أجل المحافظة على ما هو قائم تمسكاً مع مصالحها الاقتصادية والايديولوجية. وهناك ثقافة اصلاحية تسعى إلى ترقيع الواقع لان التغيير الجذري يغير مواقعها وامتيازاتها. وهناك ثقافة ثورية تستهدف هدم الواقع الفاسد واستبداله بواقع متقدم جديد، ويسعى لخلق انسان جديد في نظره للطبيعة والحياة. والثقافة جزء من حركة المجتمع ولا ثقافة بدون مجتمع، وان أحد أهداف الثقافة هو توعية الناس وتويرهم وتنشيط الحراك الاجتماعي من أجل خدمة سياسة الوعي المطلوب وانتشارها على المستويين الاقليمي والعمودي. وكما قال إ - ت - س إليوت ذات مرة «إن بالامكان وصف الثقافة ببساطة ذلك الشيء الذي يجعل الحياة جديدة بأن تعاش».

* * *

«النظرية»

النظرية بناء تصوري يبين الفكر ليربط بين مبادئ ونتائج معينة، وقد يكون هذا البناء التصوري صائباً أو خاطئاً، بحيث لا تصبح النظرية علمية إلا إذا أصبحت ثابتة بالتجربة.

وكل نظرية تأثرت بالواقع وأثرت فيه. وقد أثبت لينين 1870 - 1924 - لهذه العلاقة الضرورية بين النظرية والواقع وأكد أنه لا تكون ثورة بدون نظرية ثورية.

يعرف كلود برنار «1813 - 1878» النظرية «إن النظرية هي الافتراض الاختباري الذي خضع لرقابة العقل وللنقد التجريبي ولا تظل النظرية صحيحة إلا إذا تعدلت على ضوء التقدم العلمي ونقدت نقداً اختبارياً على هدى ما يظهر من وقائع جديدة. وأما إذا اعتبرت النظرية كاملة ووضعت فوق الاختبار العلمي فإنها تصبح حيثئذ مذهباً*.

النظرية لا تكون صحيحة إلا إذا ثبتت مطابقتها للواقع وما نعينه بالنظرية في مجال التصدي لمعالجة الواقع، هو مجموعة الافتراضات والحلول الفكرية للمشكلات والمعوقات التي يطرحها هذا الواقع الذي يعيشه البشر. فالنظرية في السياسة مثلاً هي حصيلة لتراكم التجارب المحلية والإقليمية والقومية والعالمية على ضوء الإدراك والوعي والمعرفة التفصيلية الدقيقة بكل الظروف المحيطة على الصعيدين العام والخاص

* - انظر المعجم السياسي - حسن صعب - ص 98 وما بعدها.

بواسطة التحليل العلمي الذي يكشف ميول حركة التاريخ واتجاهاتها، وصياغة بعض الاسس المبدئية التي تتناسب مع طبيعة الظروف التي تمر بها البلدان المعنية بتقديمها. ولا شك أن النظرية السليمة هي التي تستند إلى تجارب وخبرات كل الأمم والشعوب، وأن العمل الذي لا يستند إلى خطط نظري مفهوماً ومعروفاً سوف يضيع الاتجاه الصحيح. فالنظرية هي البوصلة والدليل الذي بواسطة تحدد المسافات الاستراتيجية والتاكيكية للعمل على هدي الأسلوب العلمي. إن العمل السياسي بلا نظرية يعتبر ثقافة مجردة وعقيمة، وأن الالتزام بنظرية استراتيجية دون خطط نظري لا يعدو أن يكون التزاماً مظهرية دون محتوى جوهري لا يمكن الركون إلى سلامته والتخلي عنه في أية لحظة. إن التفكير العلمي والأسلوب العلمي في مجال العمل السياسي يقوم على ثلاثة عناصر متداخلة هي «النظرية - الاستراتيجية - التاكيك». فالنظرية هي الإطار العام - بينما الاستراتيجية هي الخطة العامة للعمل بعيد المدى، والتاكيك هو همزة الوصل المتحركة التي تسعى إلى تطبيق الاستراتيجية على مراحل وتحويلها إلى مهمات عمل متواصلة. والنظرية السياسية العلمية سلاح حبار إذا وضعت هدفاً للعمل تصبح قوة لا تقهر.

* * *

«العلاقة بين النظرية والواقع»

النظرية عبارة عن تصور يبينه الفكر ليربط بين أسباب ونتائج معينة. وقد يكون هذا البناء النظري مصيباً أو خاطئاً وأن الامتحان الحقيقي لصواب النظرية هو المحك الواقعي المادي. إن عدم التطابق بين النظرية وبين الواقع الاجتماعي يعود إلى بعض

المسائل وأهمها.

1- عدم استخدام منهج تحليلي دقيق في الكشف عن الظواهر.

2- تحيز الباحث وعدم موضوعيته في التحليل.

3- عدم الادراك العميق لأبعاد الظاهرة موضوع البحث.

فبقدر ما تكون لدينا القدرة على التجريد والتحليل وعدم التحيز بقدر ما تضيق الهوة بين النظرية وبين الواقع، وندرك الأبعاد الأساسية للظاهرة المدروسة بما ينسجم مع حقيقة وجودها. ونعني بالتجريد الانقطاع عما هو جزئي إلى ما هو عام وشامل. ففي الإنسان مثلاً، ترتفع من عدد كبير من الجزئيات لنصل إلى صورة عامة وشاملة للإنسانية كلها، لكنها تفتقر إلى الصفات والأبعاد الجزئية.

ففي التجريد نرى أبعاداً جديدة وصورة مخالفة للرؤية الجزئية، فالجزئيات تعطي تفصيلاً دقيقاً مما قد يطمس الأبعاد الرئيسية لكنها بحاجة إلى التجريد من أجل الحصول على متركزات رئيسية تصور الأبعاد الحقيقية للنظرية الاجتماعية. فإذا كانت المعطيات غير دقيقة كان إدراكنا للواقع مشوهاً.

إن عدم الادراك الحقيقي للواقع يعود إلى عوامل عديدة منها:

- التحيز للمصلحة الطبقة - القدرة التحليلية. وهذه العوامل قد تشوه صورة الواقع بما لا يتفق مع عناصره الأساسية. فإذا لم يكن هناك نظرية تفصح عن أبعاد الواقع وتمكن الباحث من رؤية هذا الواقع بمنظار سليم، كان هناك انفصال بين النظرية والواقع. إن التفاعل الدائم ما بين النظرية والواقع يمكننا من امتحان صدق إدراكنا ووعينا المبنية على التجريد النظري في محك الواقع المادي.

فالعلاقة بين النظرية والواقع علاقة جدلية تؤدي إلى تقدم العلم. فالعلم يتقدم

بامتحان النظرية والاستفادة من معطيات الواقع في طرح أبعاد نظرية جديدة. (1)
* * *

«الحزب»

بسبب التطورات المعاصرة أصبحت الأحزاب ظاهرة عالمية. فلا حديث عن الحريات السياسية والديمقراطية والطبقات دون الحديث عن الأحزاب. فتعريف الحزب من حيث الرؤية القيمة كما يجب أن يكون عليه. فالحزب الثوري كما يقول لينين «هو طليعة الطبقة العاملة ويستوعب خير عناصرها، وأنه «الكتيبة المنظمة» في تلك الطبقة، وهو بتلك الخصائص أداة لديكتاتورية البروليتاريا، سواء لتحقيق هذه الديكتاتورية أو لتكريسها بعد تحقيقها. والحزب يعبر عن وحدة الإرادة العامة بين أعضائه، ويقوى دوماً بتطهير صفوفه من العناصر الانتهازية، وأخيراً فإنه بتلك السمات يضرب المثل الأعلى لكافة المنظمات العامة الأخرى».

الحزب هو اتحاد طوعي بين مجموعة من الأفراد على أسس فكرية، عريضة وتفصيلية، وهو الجزء الأرقى والأكثر تأثيراً وتنظيماً من طبقة أو شريحة ما. وغالباً ما يرتبط نشوء الأحزاب بالتبلور الطبقي وانقسام المجتمع إلى طبقات، ويعتبر الحزب من أهم الأدوات التي توظفها الطبقة أو الفئة السياسية للنضال في سبيل مصالحها الطبقية على المستويين المحلي والقومي.

(1) - الندوة الدولية حول السكان والتنمية. د. صفوح الاخرس - مطبوعات وزارة الثقافة السورية 1985

إن الحزب هو الجزء الفوقي من المجتمع، ويعمل عادة بأساليب الحوار والاقناع والدعاية لأفكاره وتنظيم وتوحيد المؤيدين لها. والحزب السياسي قوة مادية ملموسة تتجسد بالجسم التنظيمي والمالي ووسائل التعبير مثل الصحف، ومن أهم أهداف الحزب السياسي الانقلابي، الثوري تغيير البنى الاجتماعية القديمة على كل الصعد واستبدالها ببنى حديثة على المستويين الأفقي والعمودي وتحقيق النفوذ القيادي في الحياة السياسية، وتنظيم المجتمع والوصول إلى السلطة وممارستها لوضع أهدافه وبرنامجه موضع التطبيق العملي.

في الحياة السياسية هناك أحزاب رجعية وأحزاب اصلاحية وأحزاب ثورية. وهذه الأحزاب وتسمياتها تعكس الايديولوجية والافكار والمصالح التي ولدت من أجلها هذه الأحزاب. وينبغي الحكم على حقيقة أي حزب ليس من خلال - اسمه وشعاراته، وحتى ليس من خلال ما يعلن من برامج، بل من خلال ممارساته وتصرفاته وتجسيده العملية الواقعية. ولكي تكون صورة الحزب مكتملة ينبغي أن يقوم على أرضية تتكون من نظرية ثورية، وتنظيم ثوري، وخط سياسي واضح، وبرنامج عمل يستوعب كل مرحلة، ويمكن أن نضيف سبباً مهماً جداً، هو وجود القيادة التاريخية التي يمكن أن تقوم بتحويلات تاريخية حاسمة على الصعيد الوطني والعالمي كقيادة لينين للحزب الشيوعي الروسي، وقيادة ماوتسي تونغ للحزب الشيوعي الصيني، وقيادة هوشني مينه للحزب الشيوعي الفيتنامي.

* * *

«المنهج»

المنهج ترجمة الكلمة methodology ومثيلاتها في اللغات الاوربية الاخرى .
وأساس الكلمة يوناني ونرى افلاطون يستخدم كلمة منهج بمعنى البحث أو المعرفة ،
ونجده عند أرسطو بمعنى البحث . وكلمة منهج يقصدها السنن العامة لأي بناء
نظري . كما يقصد به مجموعة الأسس المعرفية التي توجه مسار البحث الاجتماعي .
وكلمة منهج لم تكتسب معناها المتعارف عليه اليوم أي بمعنى مجموعة الاسس والقواعد
العامة الموضوعية من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم إلا مع انطلاقة عصر النهضة
الاوروبية في النصف الثاني من القرن السادس عشر على يد راموس الذي قسم المنطق
إلى أربعة أقسام «التصور - الحكم - البرهان - المنهج»⁽¹⁾

وقد تمت الخطوة الحاسمة في سبيل تكوين المنهج عندما كتب بيكون
الارجانون الجديد 1620 فصاغ قواعد المنهج التجريبي بكل وضوح . وحاول
ديكارت الكشف عن المنهج المؤدي إلى حسن السير بالفعل والبحث عن الحقيقة في
العلوم في كتابه «مقال في التاريخ» وأتى أصحاب منطق بورويال فعنوا بتحديد
المنهج بكل وضوح وجعلوه القسم الرابع من منطقهم هذا . وقد حدد أصحاب هذا
المنطق المنهج بأنه فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الافكار العديدة، إما من أجل
الكشف عن الحقيقة حين نكون جاهلين بها أو البرهنة عليها للآخرين حين نكون

(1) - مناهج البحث العلمي - عيد الرحمن بدوي - دار النهضة - القاهرة - 1963 - ص 9

جاهلين بها أو البرهنة عليها للآخرين حين تكون عارفين بها. (1) المنهج منطلق
عمل وطريق تفكير وهو مقولة تبحث في العناصر الموضوعية ومكوناتها التي تستند
إليها طة عمل سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية.

المنهج أسلوب عمل ضمن قواعد عامة وقد يكون مضمونه عقلاني أو لا
عقلاني، وهو طريقة تحليل واستبطان أيضاً.
* * *

«منهج التجديد»

كلمة التجديد تعني خلق ظروف وشروط البقاء والاستمرار والتواصل، والتجديد
المبدئي هو تجديد الفكر والثقافة وملائمة هذا الفكر وهذه الثقافة لحركة صعود الفرد
والمجتمع وتطورهما. ومن هذا المبدأ يكون التجديد مسألة حياتية ملحة لأنه يمثل علاقة
جدلية وديالكتيكية بين الفكر الانساني وبين الواقع الموضوعي، فإن انقطعت خيوط
الارتباط والتواصل بينهما تراجع الفكر وتقهقر دوره في مجال الخلق والابداع.

إن التجديد هو الجسر الذي يحمل الفكرة ويعطيها بعدها الزمني عن طريق ربط
تلك الفكرة بالرؤية العلمية الواقعية التي تمنحها القدرة على البقاء والاستمرار ومواجهة
التطورات المستجدة التي يبرزها الواقع، فلا استمرار ومواجهة التطورات المستجدة التي
يبرزها الواقع، فلا استمرار ولا تواصل بلا حركة تجديد، فالعقل البشري من واجبه أن
يمارس مسؤولياته ويستوعب ويفهم مختلف الظواهر الانسانية ويفسرها ويحللها بما يراه

(1) - اشكالية المنهج في الفكر الوجودي - جورج المصري - مجلة الوحدة العدد 41 شباط 1988.

ويظنه أنه الطريق الصواب إلى التقدم»⁽¹⁾.

إن التجديد لا يعني الترقيع أو لصق قطع جديدة من القماش على ثوب خلق أو انتقد ماله بريق مؤقت من أفكار مستحدثة وقطعها عن سياقها التاريخي ورفضها إلى جانب ما يعتقد أنه تقليدي أصيل، فالفكر ينمو ويتعمق ويتوسع بالاستيعاب والتمثل والتفاعل مع الأفكار الانسانية الأخرى، ومنهج التجديد هو في الأساس منهج مركب من «الأنا والآخر» أي من الذاتي والموضوعي، وهو منهج إبداع وابتكار لأنه يقدم إضافات جديدة متميزة على ما سبق، لذا فإن منهج التجديد منهج عصري وعلمي يتصاقب مع آخر لحظات حركة التطور التي لا تعرف الدوران على محور التقليد الكلاسيكي أو التقليد الجديد. فالفكر لا ينمو إذا بقي حبيساً في قوقعة التقليد والماضوية وبقاء الفكر أسير منهج النقل والنسخ والمحاكاة المكرورة تعتبر ظاهرة واضحة على تخلف الأمة وعجزها وقصورها عن المساهمة الفعالة والعطاء الخلاق الذي يثري التجربة الانسانية ويرفدها بما هو حي. إن التجديد له طابع مزدوج يشمل الشكل والمضمون في عملية انسجام خلاق، فتجديد الشكل دون المضمون يعني النقل والابتذال والسطحية، وتجديد المضمون دون الشكل يعني أن هذا التجديد غير متوازن وإحادي البعد، لذا يكون التجديد في كلا الحالين هشاً لا يستند على خلفية ثقافية أصيلة تدفع عملية التقدم بكل الاتجاهات».

إن منهج التجديد يجب أن يستند على أرضية ثقافية ثورية أي نظرية علمية أثبتت التجربة التاريخية للشعوب نجاحها قادرة على تحديث البنى الأساسية، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، لأن منهج التجديد هو منطق وآلية علمية مبنية على حسابات دقيقة عقلانية لكل مرحلة من مراحل التحديث والعصرنة. وبما أن الماركسية

(1) - مجلة المعرفة الصادرة في تموز 1993.

اللينينية - المترجمة عربياً هي أعلى درجات العقلانية في حساباتها وتحليلاتها الواقعية والمطابقة، لذا نعتبر هي النظرية العتيدة لثورة التجديد وقهر التخلف لكل البنى الفوقية والتحتية، الافقية والعمودية، والدليل الأمين لبناء مجتمع موحد ديمقراطي اشتراكي.

* * *

«الديالكتيك»

مشتقة من لفظة يونانية تعني المحاوره، كما اعتبر الديالكتيك فن الاقناع والبرهان. ظهرت معالم الديالكتيك في الفلسفة اليونانية القديمة عند هيراقليطس، كما بدت عناصره في فلسفة ديكارت وسينوزا وليتنز وكانت، إلا أن الديالكتيك كمنطق ومنهج فلسفي لدراسة الظواهر عامة بدأ بجورج هيغل (1770 - 1838). والواقع أن الديالكتيك الهيجلي هو المنطق الذي كان يقتضي أن يحل محل المنطق الصوري والفلسفة الميتافيزيقية، القائم على نقي التناقض في الفكر والوجود والقائل بفقدان العلامة بين الأشياء، ذلك أن هناك الموضوع، ثم هناك نقيضه أو نفيه، وهناك نقيض النقيض أو نقي النفي. والامر الواقع يثبت التناقضات في كل شيء، ذلك أن كل شيء يحتوي في داخله على جانب ايجابي وآخر سلبي. فالتناقضات تفرض وجود منطق جديد غير المنطق الصوري هو منطق الديالكتيك، الذي يعتبر كل شيء في حالة تغير وحركة وسيرورة. وهكذا يبدأ الديالكتيك عند هيغل بالوجود ثم الماهية ثم بالمركب منهما ويطلق عليه هيغل «الفكرة الكلية». ويعتبر هيغل مؤسس الجدول الحديث وهو فيلسوف مثالي ألماني عاش في القرن (19م).

الفرق بين جدول ماركس وجدول هيغل: يقول ماركس: إنه أخذ من جدول هيغل

النواة العقلية وطرح الغلاف الصوفي. ويقول إن الجدل عند هيغل يسير على رأسه. بينما الجدل الجديد يسير على قدميه. ولكن ما هي الفوارق بين الجدلين؟ مسألة تثير نقاش الماركسيين. في الجدل للماركسي، التاريخ ليس جاهزاً بصورة مسبقة وليس معطى سلفاً. فالواقع - موضوع النظرية - واقع معقد والتاريخ هو تاريخ الممارسة الإنسانية. في المقدمة الثانية لكتاب رأس المال المنشور عام 1873 كتب ماركس «لا يختلف منهجي الديالكتيكي في الأساس عن منهج هيغل فحسب، بل هو تقيضه تماماً، ذلك أن هيغل يعتقد أن حركة الفكر يجسدها باسم الفكرة هي مبدعة الواقع الذي ليس إلا الصورة الظاهرية للفكرة. أما أنا فاعتقد على العكس أن حركة الفكرة ليست سوى إنعكاس حركة الواقع وقد انتقلت إلى ذهن الإنسان.

* * *

«المادية التاريخية»

هي صراع الإنسان ضد الطبيعة لتذليل تحدياتها التي تواجه الإنسان من أجل تثبيت وجوده واستمراره كجنس أرقى من الكائنات الأخرى. في كتابه «فلسفة التاريخ» عرف بليخانوف المادية التاريخية «أن الوضع الاقتصادي لشعب ما، هو الذي يحدد وضعه الاجتماعي، والوضع الاجتماعي لهذا الشعب يحدد بدوره الوضع السياسي والديني وهكذا.

أما سبب الوضع الاقتصادي فهو السبب الأساسي لمجموع التطور الاجتماعي وبالتالي لكل حركة تاريخية هو الصراع الذي يخوضه الإنسان مع الطبيعة في سبيل وجوده. ويوضح بولتيزر - ييس - كافين في «أصول الفلسفة الماركسية» هذا المفهوم

بتعريف المادة التاريخية بأنها النظرية العامة لطرق الانتاج وان الاقتصاد السياسي هو العلم الخاص بالقوانين الموضوعية التي تسيطر على علاقات الانتاج بين الناس وان موضوع علم التاريخ هو العلاقات التي تشمل فيها هذه العلاقات للانتاج ولا سيما علاقاتها السياسية.

* * *

«الحدأة»

الحدأة ثمة أوروية نمت وترعرت في ظل الثورة البرجوازية في الغرب، حيث حملت وفجرت البرجوازية الثائرة قيماً انسانية تقدمية وتحررية. فأحد سمات الرأسمالية الحديثة هو طابعها الثوري في رأي ماركس، وهو عقلانيته في رأي فيسر. فالحدأة تقوم على دعمتين، هما الثورة والعقل. فالثورة البرجوازية حسب رأي ماركس هي التي ولدت أكثر خصائص الحدأة ديناميكية وحيوية «الحركية - التغيير» فجعلت كل صلب يلين بل يتبخر.

عند فيرلا تكمن طاقة التغيير ف بالعلم الثوري، بل في العقلانية، أي العقل العلمي الذي يكون أقرب إلى الواقع، والذي يدرك العلاقة بين الاسباب والنتائج وبين الوسائل والغايات. هناك ثلاث خصائص تميز الحدأة استناداً إلى اطار التجربة الأوروية منذ القرن الخامس عشر إلى القرن العشرين، حيث يمكن صياغتها على النحو (1)

1 - الحدأة بنية كلية يقابلها مفهوم الحدأة.

(1) - اللاعقلانية في السياسة - ياسين الحافظ - دار الطليعة بيروت 1975 - ص 45.

2 - الحدثانة بوصفها سياقاً شاملاً ويقابلها مفهوم الحدثانة.

3 - الحدثانة بوصفها مفهوماً نوعياً ويقابلها مفهوم النزعة الحدثانية، لقد انبثق

التحديث في سياق التحولات الجذرية العميقة الاقتصادية والاجتماعية

والتقنولوجية وتكامل على مستوى الايديولوجيا والثقافة والعادات ونمط

المعيشة اليومية.

والحدثانة من الزاوية البنيوية، مجموعة من المقومات والعلاقات التي يتألف منها

الكيان الحضاري الموصوف حديثاً، ويتجلى ذلك في كافة الميادين: دولة حديثة - تقنية

حديثة - آداب وفنون حديثة - عادات وافكار حديثة. معنى هذا أن النزعة الحدثانية،

من حيث هي وعي الحدثانة، تمثل رؤية خاصة تتطوي على تغيير البنيات والعالم، وهي

رؤية تتعدى مقولتي «العقل والثورة» لتشمل الفلسفة والفن والأدب والقانون.... الخ

فالحدثانة نموذج حضاري ونمط حياة، تخلصت من الاحكام المسبقة والمطلقات

والغيبات، لأنها تتناقض مع التقليد الذي يتفوق في صدفة الماضي، وترنوا الى المستقبل

لأن الزمن الحديث ليس دوراناً تكرارياً كالعصور الوسطى، بل زمن محسوب

ومنضبط، وينبسط وفق خط ماضي - حاضر - مستقبل. وقد صاغ المجتمع الحديث

بنيتة صياغة مهمة وحاسمة وحسب مقولة الحدثانة: المعرفة تعني / الفكر / العقل -

الحقيقة - / علمية / نقدية. اللغة / تحليلية. النظام: / ديمقراطية / اشراكية، التركيب

الاجتماعي: / الطبقة. (1)

(1) - التجربة الفيتنامية - ياسين الحافظ - دار الطليعة - بيروت - 1979 ص - 18 - 20.

«التوليتارية أو الكليانية»

نظام سياسي استبدادي قمعي يركز على اخضاع الفرد للدولة وعلى السيطرة الصارمة على جميع مظاهر حياة الأمة وطاقاتها المنتجة وثرواتها، وتنحصر سلطة هذا النظام بيد فرد او مجموعة من الافراد. أهم السمات العامة لهذا النظام.

- 1 - نظام يرفض التعددية السياسية.
- 2 - نظام عقائدي متماسك مهيمن مثل النازية والفاشية.
- 3 - ممارسة القمع والارهاب كوسيلة لشييت الحكم وفرض النظام.
- 4 - السيطرة على الأمن والاعلام وكل قنوات الاتصال الشعبي.
- 5 - فرض حزب جماهيري وحيد يرأسه شخص واحد.
- 7 - السيطرة على كامل مفاصل الاقتصاد وتوجيهه مركزياً.
- 8 - مصادرة الحريات السياسية والديمقراطية وتعطيل حركة الصراع السياسي.
- 9 - قيام النظام السياسي على اساس التعبئة الشاملة للجماهير.
- 10 - عدم الثقة بوعي الجماهير الشعبية والخوف منها في آن واحد.

«الاولوقراطية»

هي الحكم المطلق لرجل واحد. وهي تطلق في الأصل على الحكومات الملكية التي يصبح فيها الملك مصدر السلطات كلها. وتعتبر عبارة لويس الرابع عشر ملك فرنسا «أنا الدولة» خير مثال لهذا النوع من الحكم، ومن خصائص النظم الاولوقراطية المعاصرة.

1 - احتكار السلطة السياسية وحصرها في النخبة المعاصرة وغالباً ماتكون هذه النخبة عسكرية؟.

2 - انغلاق الحياة السياسية وضيق حدود المناقشة والتعددية السياسية .

3 - معظم النظم الاولوقراطية تستند على ايديولوجية قومية.

4 - اعتماد القوة كطريق وحيد للاعضاع السياسي.

5 - السيطرة على كل وسائل الاعلام ووسائل الاتصال بالشعب.

* * *

«الفدرالية - الكونفدرالية»

كلمتان للدلالة على شكل من أشكال الوحدة الكاملة. فالولايات المتحدة الامريكية جمهورية فدرالية اتحادية تضم عدة ولايات. وقد كانت الامبراطورية الألمانية «غليوم الأول والثاني» امبراطورية اتحادية تضم ولايات (دول). والاتحاد السوفيتي قبل انقراطه في بداية التسعينات من هذا القرن كان دولة اتحادية تضم خمسة عشر جمهورية

متحدة على أساس الحقوق والمساواة.

والمائنة الغريبة تسمى اليوم جمهورية المانيا الفدرالية، أي الاتحادية. والكونفدراسون «وتسمى أحياناً فيدراسيون».

بالطبع يوجد في كل هذه الحالات رئاسة مركزية واحدة، وحكومة مركزية واحدة، ومجلس نواب واحد. ولكن توجد أيضاً حكومات ومجالس في الولايات والجمهوريات أو الدول المكونة للاتحاد والمجلس النيابي المركزي الواحد يتألف من مجلسين تراعى في أحدهما الاجزاء المكونة بصرف النظر عن حجمها وعدد سكانها. ويتنخب الآخر في نطاق الاتحاد على أساس الدوائر الانتخابية المتساوية. وقد هاجم ماركس وإنجلز ولينين النزعة الفدرالية، واعتبروها نزعة برجوازية صغيرة. فالاقتصاد الحديث يتطلب حيزاً جغرافياً كبيراً ويتطلب مركزية «المركزية لا تعني الاستبعاد والديمقراطية ليست الفدرالية». ولكن روسيا السوفيتية المتعددة القوميات اتجهت بقيادة لينين نحو الفدرالية وتأسس اتحاد الجمهوريات المتساوية في الحقوق بناء على اقتراح لينين. أما الفرق بين الفدرالية والكونفدرالية. في الفدرالية تذوب الشخصية السياسية للأقليم أو القطر ولكن تترك له بعض الصلاحيات الملائمة لظروفه الادارية والاجتماعية.

أما في الكونفدرالية فتبقى الشخصية السياسية كما هي، مع وجود قيادة سياسية مشتركة لتحقيق بعض الاغراض التي غالباً ما تكون مؤقتة ومرهونة بظروف معينة.

«التاريخ»

التاريخ ذاكرة البشرية كما عرفه «هيرودوت» المسمى أبو التاريخ كما يعرفه ابن خلدون هو خبر عن حديث. فالحدث الأكبر هو الكون ذاته بما في ذلك نشوء وتكون المجتمع الانساني. وكل حديث عن تكون هذا الكون هو صياغة لخبر، أي تاريخ وتنظيم للتاريخ. التاريخ علم لكنه ليس علم الماضي فقط، وإنما هو علم المستقبل. التاريخ زمن والزمن الماضي لا يعود وهذا ما يجعلنا نردد أن التاريخ لا يعيد نفسه. التاريخ هو التطور والتقدم وهو عطاء مستمر كل يوم ويغير حدود، وتدفق لا يعرف التوقف.

التاريخ يتحدث عن المستقبل بآلية متحركة وهو استمرارية وفعل، وهو تراكم وعمق. التاريخ أبو المعارف الانسانية والبشرية، لذلك كان الاهتمام به كبيراً. فهو يكتب كتابات عديدة ويقوم حوله الخلاف. فتستطيع أن تقول انه في كل منطقة من العالم ثمة تاريخ «رسمي» يكتبه مؤرخو السلطة السائدة.

كما أنه هناك تاريخ آخر تكتبه المعارضة السياسية للسلطة. من هنا كتابة التاريخ دائماً مطرحة للنظر وإعادة النظر، وعرضة للاحتتمالات. فالحقيقة التاريخية حقيقة صعبة جداً وتكاد تكون مستحيلة، فهل ثمة بالفعل حقيقة تاريخية، أم أن كتابة التاريخ هي كتابة افتراضات واحتمالات وانحيازات إلى هذا الموقع أو ذاك من مواقع الرؤية والمصلحة والايديولوجيا «الأكراه - التحوير - التزوير... الخ» الحقيقة التاريخية دائماً بنت الشك، فالشك جسر المعرفة الحقيقية، وإذا كان الشك والتحميص والاستقراء أساساً في المعرفة

التاريخية الحديثة التي تتوافر لها وسائل أتاحها التقدم العلمي والتكنولوجي للباحثين، فكيف بنا في المعرفة التاريخية للتاريخ القديم الذي كان وثيقة الحفر على الحجر أو الآجر أو على بعض جذوع الشجر. إن شك المؤرخ في كل شيء يجب أن يكون أكبر، والاستنتاجات يجب أن تكون محمولة على محمل الاحتمال أكثر مما هي على محمل اليقين. فإذا كان من الصعب الاحاطة بملايسات حدث يحدث في هذه الأيام في أقرب مكان لنا فيستقل على أكثر من وجه ويحمل من تفسير فكيف يكون الامر مع أحداث وقعت من آلاف السنين.

* * *

«التاريخانية»

التاريخانية اتجاه يؤكد على موضوعية تطور المجتمعات وعلى وجود قانون يحكم تطورها الطبيعي. (1) الفكر التاريخاني يعلم أن الاشتراكية لا يمكن أن تبنى على أرضية ومفاهيم ومناهج تقليدية، بل فقط على أرضية ليبرالية. كما أن هذا الفكر التاريخاني يهيء الفكر الثوري في سياق تاريخي انعدمت فيه فرص تكون برجوازية حققة، استيعاب الثقافة والفتوح الليبرالية قبل / وبدون أن يعيش مرحلة / برجوازية. (2)

النزعة التاريخانية هي نزعة مادية جدلية «ديالكتيكية» ترى التاريخ كمحصلة لمجموع الصراعات الاجتماعية والاقتصادية ضمن قوانين علمية قابلة للدراسة والكشف، تعمل باستقلال عن إرادة البشر، هذه القوانين يمكن فهمها وتحويلها بحيث تلعب دوراً في صنع التاريخ. والحتمية التاريخية بهذا المعنى لا تعمل خارج إرادة البشر

(1) - أزمة المثقفين العرب - عبد الله العروي - ص 110.

(2) - التجربة الفيتنامية - ياسين الحافظ - دار الطليعة بيروت ص 17 - 18 1979.

وخارج وجودهم وإنما ضمن البشر المتعجين، وضمن دائرة قواهم وعلاقاتهم الانتاجية. التاريخانية هي جعل التاريخ حاضراً في العقل يلهمه الدروس والعبر ويحمله من حين إلى آخر على مراجعة تصوراتهِ وفحص مبادئه وطريقة انتاجه. التاريخانية الثورية خط صاعد لا مجال فيه للاقبال والادبار. كما أن هذه التاريخانية الثورية هي التي تقدم التفسير الذي يضيف أكبر قدر من المعقولة على مسيرة التاريخ وتعني أن للتاريخ معنى وغاية، وترفض كل أنواع الركود التي تبرر الخنوع لأنها تبرز الحركة والفعل. هذه التاريخانية تشكل مع العقلانية الدعامة الأساسية للفكر الأوروبي الحديث والمعاصر.

* * *

«الانتلجنسيا»

مصطلح من أصل روسي يعني فئة المثقفين، في بلد يعاني مشكلة تأخر، تلعب ككلة المثقفين، باستقلالها النسبي، دوراً حاسماً في نقل الوعي الكوني إلى شعبيها، وتتضح بالتالي، المقدمات الثقافية للثورة السياسية. وفي حالات قد تلعب دوراً محافظاً. والانتلجنسيا كقوة اجتماعية ومفهوم ولدت في العصور الحديثة، فهي ظاهرة حديثة وتناج مميز للعصر الصناعي مثلها مثل البروليتارية لأنه بظهور المجتمع الصناعي فحسب تولد لدى الإنسان الاقتناع بقدرته على صنع تاريخه بنفسه، وبالتالي الثورة على المجتمع وتغييره نحو الأفضل. إن أهم وظيفة للمثقف الذي ينتمي إلى الانتلجنسيا هو ممارسة النقد الجذري الشمولي للأوضاع القائمة. إن غياب هذه الانتلجنسيا المتورة في الوطن العربي قد أدى إلى نتائج وخيمة على الصعد الاجتماعية - السياسية - القومية - وبالتالي

حال دون نهوض مشروع شمولي ثوري وحديث.»(1)
* * *

«الوعي والوعي التاريخي»

الوعي أحد ميزات الانسان. ويتمثل هذا في معرفته للأشياء وتسميتها باسمائها ومن ثم السيطرة عليها. للوعي جانبان: التفكير والاحساس، وهما جانبان متصلان كوجهي عملة واحدة كما يقولون وعملها مترابط ومتداخل ولا غنى لأحدهما عن الآخر. وتتفاوت الوعي في اتساقه وعمقه تبعاً للثقافة والمجتمع الذي ينشأ فيه فضلاً عن الملكية الشخصية.(2)

أما الوعي التاريخي: هو أن يدرك الانسان ويشعر بعمق وقوة اللحظة الزمانية التي يعيشها، وأن يحس أن الزمان ليس جزراً معزولة منفصلة عن بعضها، أو أن الزمن يمكن تقسيمه قسراً، بل أن الزمن سلسلة مترابطة الحلقات والدوائر تنبثق الواحدة من جوف الاخرى - ماض - حاضر - مستقبل.

وان الانسان نفسه هو القوة التي تسير التاريخ وتدفعه وتكيفه وتصنّفه وفق مناهج ومقاييس اختيارية، وعلى الانسان أن يندمج في واقعه الراهن حتى يستطيع أن يعبر عن ذاته. الوعي التاريخي هو وعي نقدي شمولي، أي قومي وعالمي.

(1) - الهزيمة والايديولوجيا المهزومة - ياسين الحافظ - دار الطليعة بيروت - ص 320 - 325.

(2) - انظر دراسة - د/سالم الحن - مجلة العربي عدد 317 - نيسان 1985.

«علم الاجتماع»

علم الاجتماع هو السعي الدؤوب الصبور لمعرفة المجتمع وفهم معضلاته بعمق، وإدراك ورصد كل ظواهره المختلفة، والأداة الفعالة لمعرفة موضوعية اجتماعية هو التسليح بمنهج علمي يعد الباحث والعالم الاجتماعي من الوقوع في مطبات التحليلات والاستنتاجات اللاواقعية والرومانسية، ومهمة هذا العلم هو معرفة الذات الاجتماعية بصورة كلية شاملة.

«إن علم الاجتماع في أبسط تعريفاته هو السعي المنهجي العلمي الدائم لفهم المجتمع بكل ظواهره ومؤسساته. ولأن المجتمع لا يكف عن التغيير فإن السعي المنهجي لا يتوقف. وفهم المجتمع لذاته هو تعبير آخر لوعي المجتمع بذاته، فالمجتمع يمكن أن يوجد وأن يستمر دون فهمه لذاته، أي دون وعيه بذاته. وقد عاشت المجتمعات الانسانية آلاف السنين قبل ظهور علم الاجتماع كما عاش الافراد قبل علم النفس، وكما وجدت السلطة والحكومة والدولة سابقة لعلم السياسة، والانتاج والتوزيع والاستهلاك قبل علم الاقتصاد. ويصدق ذلك على وجود الظواهر الطبيعية قبل ظهور العلوم الطبيعية. وعلم الاجتماع مثل كل العلوم الاخرى - اجتماعية كانت أم طبيعية - يقدم فهماً منضبطاً لمجموعة الظواهر التي تشكل في مجموعها ما نسميه «المجتمع الانساني» أو العمران البشري، لكنه يختلف عن العلوم الطبيعية في جانب أساسي، هو أن الدارس يمثل جزءاً من الظواهر المدروسة، من هنا أهميته في خلق الوعي الموضوعي بالذات، وليس مجرد الوعي الذاتي فهذا الأخير - الوعي الذاتي - يمكن أن يقوم به كل انسان

عاقِل مفكر ، دون حاجة إلى لترسانة المنهجية لعلم الاجتماع، أما الفهم الموضوعي للذات المجتمعية، أي للمجتمع ككل، فتلك مهمة هذا العلم وريادته، وإن لم يكن له فيه حق الاحتكار.

* * *

«الزمن»

الزمن في عصرنا يسير وفق ايقاع له مغزى، له هدف. وهو ينساب في وجوه عديدة، ربما طارئة ولكن ذات دلالة، هذه اللحظات تفعل سلباً أو إيجاباً لتصبح جزء من التاريخ. الزمن عند الشعوب المتقدمة ذو مضمون وقيمة اجتماعية مقياسها العمل المنتج واحترام الوقت واعتبار الشغل قيمة سامية سواء كان هذا الشغل نظرياً أو تطبيقياً. والزمن له قيمة انسانية، فالحياة التي يقضيها الانسان ويعيشها على الارض لا تقاس بطول الوقت أو العمر المديد، إذ لا معنى للوقت إذا لم يستثمر في المجتمعات المتقدمة لا يقاس وجود الانسان بعدد السنين التي يعيشها، بل يقاس بما يقدمه للآخرين من عمل خلاق. من في المنطق الحديث له مسار لولبي صاعد نسبياً ذو طابع تراكمي ولا يعود إلى الوراء. والوقت لا يتجمد، لذا فإن الانسان الحديث يعيش بدلالة الحاضر والمستقبل ولا يستحضر الماضي إلا بقدر ما يكون حافزاً. لأن تجارب الانسان الماضية لا يمكن أن تتكرر، لأن الزمن لا يتكرر ولا يعيد نفسه. وإذا حاولنا قسر الزمن الذي مضى على الحاضر فسوف تكون تجاربنا مخففة، وليست أكثر من اسقاطات زمنية متخلفة على وضع معاصر مخلقة فوق الزمان والمكان، ومختلف المعطيات الواقعية.

الزمن المؤلف من دهور وعصور وحقب وعقود وسنين وشهور وأيام وساعات ودقائق وثواني، لا يعني أنه بإمكاننا تقطيعه أو تجزئته، بل هو سلسلة مترابطة لا تقبل التقسيم لأن كل مرحلة تولد من جوف الأخرى، وهذا يعني وحدة الزمان، إنه أشبه بدوائر الماء تنبثق الواحدة من بطن الأخرى. في البلدان المتخلفة ينساب الزمن على عراهنة دون احساس بوقعه أو اكتراث، فهو زمن بلا محتوى، بلا غن، وبالتالي هو زمن ثقيل ينقضي بالعطالة فلا سباق مع الزمن حيث المتسابق الأول الانسان، لا يعدو اكثر من كم حسابي بلا هدف، بلا تطلعات، عبد تسوقه عصا راع مستبد يفرض عليه الجهالة ويقتل لديه ملكة تلمس الوقت، فيتحول الوقت إلى تاريخ ميت، فالיום مثل الأمس ولا جديد. وإذا كان الوقت عند المتقدمين من ذهب فإن الوقت من تسك عند المتخلفين. فالوقت عند المتقدمين يعني - تنظيم - دقة - احترام المواعيد - انجاز - مسؤولية - أما عند المتخلفين يعني - فوضى - عدم اتقان - لا مبالاة - هدر - تسريف وتأجيل. الوقت من ذهب ينطوي في الواقع هذا المثل على معنيين مختلفين. الوقت كمعيار للعمل المنجز من قبل الانسان، وهو المعنى الأكثر بساطة. والوقت كمعيار للتقييم الذاتي لرأس المال، وهو المعنى الخاص الذي لا يرتبط بالعمل إلا من حيث هو وسيلة لتقييم رأس المال له الذي يخضع فيه الانسان لعامل الوقت. في معظم البلدان المتخلفة يسير الزمن في دائرة مغلقة وليس له أسس، لذا هو زمن مكرور لا يحمل في ثناياه جديداً، فهو زمن ماضي وشبه مطلق وعديم القيمة والوزن وغير تراكمي. في البلدان المتقدمة يسير الزمن باتجاه صاعداً قاعدته الحاضر وآفاقه المستقبل الرحب، وله قيمة مادية ومعنوية، وبعض هذه القيمة تتمثل باستثمار الفرص، فقد يكون عامل الوقت أحياناً غير فعال إذا لم تختز اللحظة المناسبة والتوقيت الدقيق من أجل عمل مهم وراهن. الانسان العصري لا يتحدث بلغة الماضي إذا كان الحديث عن التقدم أو التطور. فكان وكنت وكنا شيء

من الماضي ولا مجالاً جدياً للحديث عنها، وإنما الحديث يكون عن اليوم والغد ديدنه، أي الحديث عن الحاضر والمستقبل هو شاغل الانسان التقدمي. فتقديس الماضي والتشبهت به في بلد غارق بالهزيمة، هو أحد عوامل الهروب أو التعريض عن النقص وعقدة القصور ازاء الغالب - المتفوق - المتقدم - حين يكون الانسان عاجزاً عن الفعل في الحاضر واقتحام ابواب المستقبل.

الزمن عنصر محايد ليس في صالح أحد، إنه عنصر محايد يكون في صالح الطرف الذي يحسن استغلاله أكثر من سواه.

«نحن العرب لم نفقه بعد وحدة الزمان، أي ترابط وتواصل وحداته أو لحظاته، كما أننا لم نفقه بعد أن هذا الرابط ذو طابع نسبي وتراكمي.

فقط عندما نرى أن الزمان مؤلفاً من وحدات تنبثق كل واحدة من حرف الأخرى، وحدات مترابطة ترابطاً ذا طابع نسبي وتراكمي، يمكننا من جهة أن نكتشف عقلانية التاريخ وبالتالي استحقاقنا الجزء الذي فرض علينا، ونعني الهزيمة أمام الصهيونية، ونعي أن فلسطين لم تسقط في أيام أو في شهر، بل إنها كانت كل يوم تسقط كسرة بعد كسرة وحجر بعد حجر، منذ وعد بلفور حتى إعلان دولة إسرائيل. ولأننا لم ندرك وحدة الزمان بدت كارثة فلسطين في كتب التاريخ العربية حدثاً لا عقلانياً، صدمة ما جاءت من الغيب، لا نتيجة متوقعة لعودتنا التاريخي الطويل حصيلة عقلانية لمواجهة استمرت نصف قرن تقريباً بين جماعة ومجتمع، بين جماعة مغرقة ومجتمع حديث، بين جماعة ما قبل برجوازية، ومجتمع برجوازي» (1).

(1) - النظر الهزيمة والايديولوجيا للهزيمة - ياسين الحافظ - دار الطليعة بيروت ص 76.

«الأتمتة»

«من اليونانية: automatos وتعني المتحرك تلقائياً».

تجهيز الانتاج الآلي بأدوات وأجهزة تحرر الانسان من إدارة الآلات وتتيح اجراء عمليات الانتاج بدون مشاركة الشغل المباشرة، ولكن تحت رقابته فقط. وقد كتب كارل ماركس عن التجهيزات الأوتوماتيكية «حين تقوم الآلة العاملة بجميع الحركات الضرورية لأجل معالجة المواد الخام بدون مساهمة الانسان، ولا تحتاج إلا إلى الرقابة من جانب العامل، قوامه منظومة أوتوماتيكية من الآلات قابلة، مع ذلك، لأن تترقى باستمرار في مقوماتها». (1)

والأتمتة ليست مرحلة من مراحل التطور الصناعي أو جزء من سيرورة طويلة لمكنة العمل بواسطة الانسان فقط، وإنما هي منعطف في بنية القوى المنتجة، وتغيير أساسي في فلسفة الانتاج وادخال نظام انتاجي من طراز جديد ينظم نفسه بنفسه. وهي ليست مجرد امتداد للمكنة، بل هي ظاهرة عصرية ذات وجه ثوري. وهي كأداة تقنية للانعطاف من الكمية نحو النوعية، لأن سيرورة الأتمتة الاجتماعية تعبر عن تغيير أدق عن تحول قوة العمل التي تصبح خلال الفترة المذكورة، المنفصلة عن الفرد، موضوعاً مستقلاً.. وهنا سيكون السمر التاريخي نحو حضارة جديدة. (2)

(1) - المؤلفات الكاملة - ماركس - المجلد 23 ص 392.

(2) - معجم الشيوعية العلمية - دار التقدم - ص 3.

«التقنولوجيا»

علم التكنيك، أي بالدرجة الأولى أدوات الانتاج من الفأس الحجري إلى الآلة البخارية إلى الحاسبة الألكترونية إلى «الروبوت» الرجل الآلي. والتقنولوجيا علم الصناعة واحد فروع المعرفة التطبيقية، والقدرة على استخدامها بشكل مناسب تتوقف على درجة حداثة الايديولوجيا السائدة في الطبقة السياسية بوجه عام، وفي الانتلجنسيا بوجه أعم. (1)

والتقنولوجيا في أحد تعريفاتها القرينة من الشمول، هي مخزون المعرفة المتاحة لمجتمع ما في زمن تاريخي معين في مجال التصنيع والتنظيم الاجتماعي. إن علم التصنيع مهم حيث أن التصنيع هو عملية تطوير شاملة لقوى البلد المنتجة التي يجري التصنيع في سياقها بناء الصناعة الكبيرة القادرة على تزويد الاقتصاد الوطني بالمعدات الآلية والاورتوماتيكية.

«إن التصنيع هو من أهم شروط التقدم الاجتماعي والتكنيكي والاقتصادي. وطابعه وطرائق ووتائر تحقيقه، وكذلك عواقبه الاجتماعية والاقتصادية. كل هذا رهن بمجمل الظروف الداخلية والخارجية لحياة البلد، وفي المقام الأول بأسلوب الانتاج وقوانينه الاقتصادية».

إن أدوات الانتاج هي العنصر الأول والاكثر حيوية في الانتاج «نظام الملكية

(1) - المؤلفات الكاملة - ماركس انجلز - المجلد 23 - ص 275 وما بعدها.

والطبقات» والبنية الفوقية والافكار السياسية والمؤسسات الدينية والاجتماعية
الاعرى». (١)

* * *

«التخلف»

هو عدم مقدرة شعب أو أمة على استثمار طاقاتها الطبيعية والبشرية بشكل
أمثل، وتوظيفها من أجل التنمية النوعية والكمية التي يصيها الانتاج والمجتمع على طريق
الارتقاء بوعي الانسان ومقدرته في تجاوز أسوار التخلف. والتخلف له أسباب
ومظاهر، وقد تكون الأسباب نفسها مظاهر. وقد اقترن إسم التخلف بدول العالم
الثالث التي تبلغ حوالي مائة دولة، وأول من أطلق تسمية العالم الثالث «الفريد سوفي»
الذي ابتكر هذا الاصطلاح عام 1952 أثناء الحرب الباردة للإشارة إلى البلاد المتخلفة
التي كان نظامها مؤسساً على اقتصاد السوق. من أسباب التخلف:

1- الخصوبة الزائدة: تتميز بلدان العالم الثالث بارتفاع نسبة الولادة 6.4٪ سنوياً ويعود
كثرة التوالد لأسباب ايديولوجية دينية، كما يعزى ذلك لعدم المبالاة أو التواكل أو
التفاخر بكثرة الأولاد.

2- نقص التغذية: تعاني 75٪ من سكان العالم من نقص التغذية إذ لا يتجاوز عدد
السعرات التي يتناولها الفرد في شبه القارة الهندية إلى 2100 - ولا يتجاوز 2700 في
أقطار المغرب العربي - في حين يرتفع هذا الرقم إلى 3600 - في الدول المتقدمة على

(١) - معجم الشيوعية العلمية - دار التقدم.

أن عدد السعرات يجب ألا يقل عن 3000 للفرد باليوم حسب تقديرات المختصين بعلم التغذية. كما تعاني هذه البلدان من سوء التغذية ويتجلى ذلك في نقص البروتينات والفيتامينات.

3- قلة الاطباء وأسرة المشافي: حيث لا تزال دول العالم الثالث تتصف بضعف نسبة عدد أطبائها لعدد السكان الاجمالي فإذا كان يضيي كل (50) مواطناً طبيباً واحداً في الدول المتقدمة فإن نسبة الأطباء في بعض دول افريقيا «تشاد مثلاً» تبلغ طبيباً واحداً لكل (15 ألف نسمة). وفي أندونيسيا طبيباً واحداً لكل «80 ألف نسمة».

4- ضعف الانتاجية : رغم أن عدد العاملين في الزراعة في البلدان المتخلفة تشمل نسبة كبيرة 45% في مصر — 70% في الصين وأكثر من 80% في السودان إلا أن الانتاج الزراعي في هذه البلدان وغيرها من بلدان العالم الثالث يقترن بانخفاض الانتاجية وهذا الانخفاض ناجم عن عوامل متعددة تقنية وثقافية وصحية واستعمال الأسمدة وتصحير البيئة وتخريبها. بينما في أمريكا تنخفض نسبة العاملين في الزراعة إلى 2% ولا تزيد عن 12% في معظم الدول المتقدمة، غير أن انتاجية المزارع الأمريكي الذي يعمل في زراعة القمح تصل إلى 75 — 80 طن، في حين لا تزيد انتاجية مثيله في الاقطار المتخلفة عن تأمين حاجات أسرته، أو بيع القليل كي يشتري بعض مستلزماته الحياتية.

5- ضعف القطاع الصناعي: إن الصناعة لا توفر العمل في البلدان المتخلفة إلا ل 10% من القوى العاملة - بينما في البلدان الرأسمالية والاشتراكية توفر العمل إلى 40% من العمال في كل من بلجيكا وبريطانيا - و32% من العمال في الاتحاد السوفيتي سابقاً، فضلاً عن تعثر عملية التصنيع وفشلها لأسباب معقدة فضلاً عن ضعف انتاجيتها من حيث الكم والكيف وعجزها عن المنافسة.

ومن أسباب التخلف استفحال الأمية في بلدان العالم الثالث، فهي تتراوح بين 40 - 60٪ في الدول المتخلفة، وتضخم قطاع الخلفيات في مختلف المجالات وانتشار ظاهرة البطالة المقنعة من غير المتجنين، وضعف الدخل القومي. فإذا كان دخل الفرد في العالم المتقدم عن - 3 آلاف دولار وسطياً في السنة، فإن الدخل في بلدان العالم الثالث باستثناء دول الخليج العربي بلغ أعلاه في الدخل من «2000 - 500» دولاراً في تركيا ومصر وسورية والعراق وقطر المغرب ومعظم دول أمريكا اللاتينية ليصل بين «250 - 150» دولاراً في شبه القارة الهندية - الهند - الباكستان - إضافة إلى استفحال الأمية في بلدان العالم الثالث فهي تتراوح بين 40 - 90٪ في معظم هذه الدول.*

ومن مظاهر التخلف، ازدحام الشوارع العامة، كثافة الركاب في حافلات النقل الداخلي - طوابير البشر على أبواب المجمعات الاستهلاكية وعلى أبواب الأفران - عدم نظافة الشوارع العامة - انتشار آلاف الباعة على قارعة الطرق وفي الساحات العامة... الخ وبرأينا أن هناك سبباً يعتبر أحد أعمدة التخلف، هو غياب الحريات السياسية والديمقراطية وهيمنة أنظمة استبدادية لا تعترف بالإنسان كقيمة وهدف وأداة يصعب التقلص، بل يستحيل باحتجازها وتجميدها.

فالتخلف لم يعد مقولة اقتصادية فقط، بل مؤشراً على التطور العام للمجتمع ما ومكانة هذا المجتمع في سلم التطور البشري. وهذا يعني أن التخلف أصبح تأخراً في مثل أوضاعنا العربية الراهنة.

* * *

* - انظر مجلة الجيل - د/ عبد الرحمن حميدة العدد 7 - 1988.

«التقدم»

التقدم هو عملية تراكم تاريخية تدفع باتجاه نقلة نوعية إلى الأمام تصنعه قوى اجتماعية ضمن شروط محددة ترسم ملامحه فالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي يعلم أن التقدم يتعذر إذا أريد له أن يتجاوز المجتمع والتاريخ. هنا تبرز حقيقة تؤكد أن التقدم الحقيقي يبدأ بالإنسان عبر توفيره شروط الحرية ومناخها وإمكانية الابتكار والخلق والابداع. إن شرط التقدم الأساسي، وعي التخلف وتحدياته والإرادة والتصميم على تجاوزه.

«التقدم بالنسبة إلى الغرب في الماضي والحاضر يعني تقدماً في امتلاك الطبيعة والسيطرة عليها. ومنذ أن ظهر مفهوم التقدم وخاصة في عصر الأنوار، كان الهدف منه قدرة الإنسان على إخضاع الطبيعة والسيطرة عليها. التقدم يتماشى طردياً مع تعاظم قدرة البشر على هذه السيطرة. ومن هنا كان التقدم قطيعة انفصالية متواترة وتجاوزاً له بكل ما يحمل الماضي من إرث وتقاليد تعرقل سيروية التقدم، وذلك بقدر ما يمثل الحاضر والمستقبل تنامياً في تلك القدرة على السيطرة. بالمقابل نحن العرب فهمنا قضية التقدم من زاوية انثربولوجية فلم ننظر إلى التقدم بشكل موضوعي بل نظرنا إليه من زاوية تقدم أو تأخر بالنسبة إلى الآخر الذي هو الغرب. ومن هنا لم يأخذ شكل قطيعة مع الماضي، بل بالعكس فقد أخذ أحياناً شكل دفاع عن الماضي وحتى ارتداد نحو الماضي. نحن نريد أن نغير علاقتنا مع هذا الآخر ولا تعبر نمط العلاقة القديمة مع الطبيعة. بعبارة إن الغرب يتقدم على الأرض ونحن نحلم في الذهنية أن نتقدم ميدانياً. التقدم في الغرب ما يزال معطى واقعياً، بينما عندنا ما يزال معطى ذهنياً ووجدانياً،

لذلك نحن نطلب تغيير الأحكام لا تغيير الواقع، لذا فإن اشكالية التقدم والتأخر ستبقى بكل الاشكاليات المراوحة في المكان بطرح نفس الحدود والرموز ونفس الأجوبة التي طرحت بها لأول مرة من قبل مئة سنة أو متين سنة. (1)

نحن لم نطرح مفهوم التقدم انطلاقاً من معطيات واقعة، بل طرحناه بشكل استطلاعية ذهنية للغرب. ومن هنا فإن مفهوم التقدم أخذ عندنا مدلولاً احتزالياً ولم يشمل كل الاشكاليات التي ارتبطت به تاريخياً وفلسفياً وايدولوجياً. في الغرب طرح مفهوم التقدم منذ البداية، بالارتباط مع مسألة الدين مثلاً، والموقف من الطبيعة والموقف من الانسان، أي طرح بشكل شمولي وواقعي، لا بشكل أحادي ووجداني وذهني وفقهي كما فعلنا نحن العرب. ويجب أن لا نخلط بين التقدم ومقولة التغير. فالتقدم دائماً حركة صاعدة على الصعيدين الكمي والنوعي، بينما قد يكون التغير حركة تراجع إلى الخلف على كل الصعد وخاصة السياسية فضلاً عن الحركة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ما هو معيار التقدم؟ التقدم هو أولاً وفوق كل شيء تقدم الانتاجية مردود الشغل والانتاج «والتوابع» «مع المزدوجين» وكنخلاصة بارزة — نحو حجم النوع بخلاف الأنواع الطبيعية العادية، أي نمو أعداد البشر في «أرض البشر». الانسان كائن الشغل، الانتاج، الحضارة، الاجتماع، الوعي والوجدان... الخ والتقدم هو تقدم هذه الجملة. (2)

* * *

(1) - اشكالية التقدم والتخلف - جرج طرايشي - مجلة الوحدة العدد 22 - 23 تموز 1986

(2) - اشكالية التقدم والتخلف - الياس مرقص المصدر السابق.

«فوات»

مصطلح الماني معناه اللغوي : خارج تسلسل وتاريخ الاحداث. والشعوب
المفوتة هي شعوب متأخرة آتست التلاؤم مع الماضي وانقطعت عن العصر لذلك تعيش
بدلالة قيم بائدة.

والشعوب التي تعيش حالة فوات هي التي يشكل وجودها في عصر معين ضرباً
من غلطة تاريخية أو مفارقة تاريخية باعتبار أنها ما تزال تعيش مرحلة تخطيطها شعوب
أخرى صاغت العصر وفرضت نفسها عليه. الشعوب المفوتة هي الماضي ملقى على
هامش الراهن أو الحاضر، هي التي تعيش في غير عصرها.

* * *

«التقليد»

التقليد مجموعة تراكمات يشمل مجالات عديدة على الصعيدين النظري والعملي.
وهو كثيراً ما يكون راسخاً على صعيد السلوك والقيم الاخلاقية والعادات، ويجعل منها
تعاقب الزمن أشبه بالأقانيم والطقوس. «التقليد إرث وتركبة تنتقل من جيل إلى آخر
عن طريق التواتر، وتصبح معترفاً بها، وتقر وتؤطر في ايديولوجيا وعادات واخلاق

* - التجربة الفيتامية - ياسين الحافظ - دار الطليعة - بيروت ص 14 - 24.

وسلوك وتفكير هذه الاجيال المتعاقبة، فتستوحيه أو تعمل به». (1)

* * *

«الرموز»

الرموز تعني ما هو جليل ومهيب في حياة الناس. «وقد تشمل الرموز العقيدة والايديولوجية وما قد يعطيه المجتمع من أهمية لأشياء ذات قيمة خاصة للأفراد كالعلم والمناسبات القومية الخاصة والصورة القومية للمواطن المثالي. وهذه الرموز قد تفيد في تفجير طاقات الأمة أيام المحن والازمات. وقد تستخدم الرموز كسلاح دعائي ضد مجتمع ما في صورة قبيحة «كناجر البندقية شيلوك» كدليل على عبادة اليهود للمال، أو سخرية من مجتمع، كالمجتمع الأمريكي «العم سام مثلاً» (2)

ويندر أن يوجد مجتمع في هذا الكون بلا رموز معنوية يستثمرها في شحذ العزائم والهمم زمن الحرب أو السلم. والرموز هي نتيجة تراكمات نوعية لأعمال عظيمة وحاسمة في تاريخ المجتمعات الانسانية يتفق عليها أكثر من جيل ويعطيها الشرعية وتصبح منارة لا تضيء الماضي فقط، بل يسطع نورها على الحاضر والمستقبل.

* * *

(1) - التجربة التاريخية الفيتامية - ياسين الحافظ - مصدر سابق ص 14 - 24.

(2) - دراسة في العلوم السياسية/ د محمود اسماعيل محمد - مكتبة الامارات 1984 - ص 20.

«الابداع»

الابداع هو العمل الاستثنائي أو غير العادي الذي يمكن أن يعطي طابعاً جديداً للحياة. ويتناول أسس الأشياء ويعمق الفكر فيها ويطرق بمحالات لم تكن معروفة من قبل. «هنا فقط تصبح الأشياء والحياة نفسها غير عادية، وينشق ما يمكن أن يسمى بالابداع».

أما المبدعون هم من ينظرون إلى الأشياء بعيون وفكر غير عاديين ويكون وقع الاحساس بالأشياء بصورة تختلف عنه عند الأشخاص العاديين والمبدعون بذلك يعيدون معاني الأشياء وترتيبها بصورة جديدة تفتح آفاقاً جديدة تغير واقع الحياة وصورتها المعتادة أمام واقع جديد. (1) الابداع اضافة غير عادية وغير متعارف عليها من قبل تغني الحياة الانسانية وتجعلها جديدة بان تعاش.

* * *

«الحقيقة»

تتردد مقولة «الحقيقة» كثيراً على ألسنة المتحاورين فما هو تعريفها؟ «إن الحقيقة هي الشكل الأكمل لانعكاس الواقع الموضوعي في وعي الناس انعكاساً ذاتياً». الحقيقة مقولة نسبية ونسبيتها نابعة من مقولة مفادها أن كل حقيقة تتألف من

(1) - انظر /د. ادريس سالم الحن- مجلة العربي عدد 317 نيسان 1985

مجموعة من الحقائق مركبة تنتهي بنا إلى الحقيقة موضوع البحث المراد الوصول إليه. إن نظرية النسبية ونظرية الاحتمالات جعلت العلماء يتواضعون بالجزم في يقينية الأشياء ولم تعد الحقيقة حقيقة القطع، بل هي صور وأشكال متبدلة في استمرارية تجعل إدراكها كلية في عداد المستحيلات «لكن الحقيقة عند الماركسي لها وجهان: أحدهما نسبي والآخر مطلق».

ذلك أن الحقيقة في مجرى التاريخ العام والمتدفق هي حقيقة نسبية، ولكنها في اللحظة الزمنية التي تصدر عنها وفي مزاملة قانونها العلمي هي حقيقة مطلقة، غير أن العلاقة - الوجهين، المطلق والنسبي للحقيقة الواحدة ولجبرى الحقائق، هي علاقة عملية دينامية وليست ثابتة «ستاتيكية» وهي العلاقة التي تفسر لنا صلة الفكر بالواقع. ولعله التركيز المطلق للحقائق هو الذي حوّل الماركسية على أيدي ستالين وشراحه من كونها فلسفة نقدية إلى أيديولوجيا تبريرية لسياسة معينة «والميتافيزيقيا المادية ليست أفضل من الميتافيزيقيا المثالية».(1)

* * *

«الرأي العام»

لا يقصد بالرأي العام رأي غالبية الأفراد في المجتمع، إزاء مشكلة معينة، إذا كان كل منهم أو بعضهم يبدى رأيه بمعزل عن غيره من الأفراد، إذ أن الفردية - مهما كانت ضخامة عددها - لا يمكن أن يكون لها أثر سياسي ذا وزن في حياة أي مجتمع،

(1) - انظر الماركسية والأدب /د. غالي شكري / ص 74 - 75.

إنما يقصد بالرأي العام الاتجاه النسبي المتقارب أو الغالب أو المتطابق للقوى المؤطرة بشكل عام في شأن قضية أو مسألة معينة، إذا حاز هذا الاتجاه تأييد معظم المواطنين، ويؤدي الرأي العام دوراً هاماً في تحقيق الاستقرار السياسي في المجتمع، ذلك أنه بتعرف الأجهزة العامة الحاكمة على ميول الرأي العام واتجاهاته، تحاول ما وسعها تعديل سياستها بما يتفق أو يقترب من مؤشرات، الأمر الذي يحمي النظام السياسي مما يمكن أن يعثره من مفاجآت أو هزات بفعل نتيجة انتخاب أو استفتاء مثلاً، لم يكن من الممكن توقعها لعدم إدراك سلطات الحكم لاتجاهات الرأي العام، الذي لم تنح له فرصة التعبير عن نفسه سلفاً. وإذا كانت الجماعات المنظمة هي التي تحرك الرأي العام في المجتمعات التي تتيح حرية تكوين الجمعيات السياسية هي الأحزاب، فإنه في مجتمع تنعدم فيه التعددية وحرية الرأي الآخر وحظر الأحزاب تنعدم فرص ظهور رأي عام فاعل وقوي من خلال تنظيم واحد وحيد. في المجتمعات التي تغيب فيها ديمقراطية العمل السياسي ويكبح فيها تصارع الاتجاهات السياسية يتغلب الرأي العام فيها ويغيب تأثيره في اتخاذ القرارات وصنعها وتصبح الحكومة وحزبها السلطوي أقوى من الرأي العام، أي أقوى من إرادة الشعب، بينما في المجتمعات المتقدمة ذات المناخ الديمقراطي واختلاف الارادات السياسية يصبح الرأي العام في المشاكل التي تقاطع فيها مصالح الأمة أقوى من هوى الحكومة وتوجهاتها حيث وزن الرأي العام وتأثيره وفاعليته تقيد وتحدد من الاتجاهات المخالفة المتناقضة مع المصلحة العامة.

يعود اصطلاح «الرأي العام» في تكوينه إلى ظهور أول مجتمع حضاري في التاريخ حيث تطور مفهومه مع تطور المجتمعات اقتصادياً واجتماعياً، ومن أهم العوامل التي ساهمت في نمو الرأي العام واتساعه تقدم وسائل الاتصال الحديثة «الاذاعات - الصحف - الخ...» وانبعاث الأفكار السياسية الحديثة. وهناك ثلاث اتجاهات حول

مفهوم الرأي العام:

الاتجاه الأول يقول : إن الرأي العام هو الحكم الذي تصل إليه الجماعة في مسألة ذات شأن، وذلك بعد حوار ومناقشات صريحة وعلنية.

الاتجاه الثاني: يذهب إلى أن الرأي العام عبارة عن تعبير حول موضوع معين يكون مشار مناقشات إحدى الكتل الشعبية أو بعض الجماعات .

الاتجاه الثالث: يرى أنه اتجاه جماعة من الناس نحو مسألة محددة أو قضية معينة.

من مزايا الرأي العام أنه شديد الحرص فيما يتعلق بحماية المثل والقيم الاخلاقية والروحية والعقائد الدينية والاجتماعية.

أما الرأي العام العالمي فقد تطور مفهومه في أعقاب الحرب العالمية الاولى حيث تم تأسيس عصبة الأمم المتحدة كمنظمة دولية تمثل الرأي العام العالمي، وبعدها تشكلت هيئة الأمم المتحدة.. منظمة تجسد ضمير الانسانية في العالم المعاصر. وقد وقفت الرأي العام العالمي ضد النازية والفاشية وضد الولايات المتحدة الامريكية صاحبة شعاري «حقوق الانسان - والعالم الحر» في حربيها الظالمة ضد الشعب الفيتنامي وتدخلها في الشؤون الداخلية لمعظم دول المعمورة. - وها هو الرأي العام يقف بحزم ضد الصهيونية وضد نظام الفصل العنصري الذي مارسته سابقاً حكومة جنوب افريقيا.(1)

هل هناك رأي عام عربي؟ باعتقادي أنه لا يوجد رأي عام عربي فعال طالما بقي سيف الاستبداد مسلطاً على الهيئات العامة من أحزاب وتنظيمات ومؤسسات وتجمعات لانها لا تمتلك أي قنوات عامة للتأثير الجمعي.

(1) - في دراسة الرأي العام استخدمنا «آ. مجلة الطلبة المصرية /نور 1970/ ب. مجلة الكاتب المصرية /أيار 1971/»

«الوطن»

ليس الوطن هو الأرض الصماء التي يعيش فوقها الناس، بل أكثر من ذلك، إنه الأرض النابضة بالحياة في وسط اجتماعي ثقافي - سياسي معين.

«الوطن هو البيئة السياسية والاجتماعية والثقافية التي يحيا ويعمل فيها الشعب.. وهو ظاهرة اجتماعية معقدة مقولة تشمل محصلة جوانب متنوعة من حياة المجتمع ونشاطه - العلاقات الاجتماعية ومنظومة العلاقات والمنظمات السياسية، وأشكال وأنماط الثقافة الشائعة في المجتمع، والقيم الروحية التي اعتادت عليها الجماهير الشعبية. ومن مواصفات الوطن أيضاً الأرض ولغة الشعب»⁽¹⁾

الوطن ليس حدوداً جغرافية فقط، وإنما له حدود نفسية وحضارية. إن الطبيعة الاجتماعية والسياسية للوطن تتحدد، إلى درجة كبيرة، بماهية العلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع وماهية الطبقة الحاملة لهذه العلاقات وتبعاً لذلك يمكن الحديث عن وطن زائغ أو وطن اشتراكي.

إن للوطن جذوراً موعلة في القدم، تضرب بعيداً في أعماق التاريخ، وتمتد إلى نظام المشاعة البدائية القائمة على أساس الملكية المشاعية لوسائل الانتاج والروابط البيولوجية. ولقد تبلورت مقولة الوطن بشكلها النهائي عندما ظهرت الطبقات بعد تقسيم العمل، ونشأت الدولة وغدا مفهوم الوطن مرتبطاً بشدة بمفهوم كيان الدولة ثم

(1) - المؤلفات الكاملة - لينين - المجلد 26 - ص 365.

يعفهوم الأمة.

إن ما يربط الانسان بوطنه هو امتلاكه لحرية وشعوره بالعزة القومية المتمثلة باللغة والتاريخ والمشاعر المشتركة والمصير الواحد.. الخ ثمة علاقة جدلية بين الوطن وبين الانسان، وعلاقة الانسان بالانسان الذي يعيش فوق الأرض. إن من لا يحب شعبه لا يحب وطنه، وعلى الذين يعيشون فوق أرض واحدة واجبات، أن يحافظوا على وحدة أرضه، وعلى وحدته الوطنية، وأن يكونوا يداً واحدة وقلباً واحداً.

* * *

«الحرب»

الحرب هي القبان الذي يزن ثقل أمة من الأمم على المستوى الحضاري، لأن الحرب هي المحك الحقيقي لمستوى التطور الذي تصل إليه الامم والشعوب في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية... الخ إنها الاختبار الفعلي والعملي للقدرات والطاقات والامكانيات الذاتية الكامنة والظاهرة التي يمتلكها شعب من أجل الدفاع عن وجوده واستقلاله. هناك فرق بين القتال في معركة محدودة وبين الحرب. القتال بين عساكر ونيران مدفعية ودبابات وطائرات وصواريخ وجميع صنوف الأسلحة البرية والبحرية والجوية. أما الحرب فهي شيء آخر مختلف.. الحرب عبارة عن صراع إرادات.. تستخدم فيها كل الطاقات والموازن ومن ضمنها الميزان العسكري من أجل الوصول إلى محصلة سياسية. لقد لخص كلاوزفيتس قبل قرنين من الزمن في «عن الحرب» حين قال «إن الحرب هي مواصلة السياسة بطريقة أخرى». وهكذا فإن الحرب عمل سياسي.. تمهد له السياسة وتوجه نتائجه السياسية، وأخطر فسترة بالحرب

ليس هي فترة المعارك وإنما هي فترة ما بعد المعارك، فذلك هي الفترة التي يكون فيها على صاحب القرار أن يمسك بيد حازمة كل العناصر بما فيها معارك القتال لكي يصل إلى النتائج السياسية التي يريدتها.

ورغم أن الحروب لا تحمل إلا الموت والدمار إلا أنها أحد الصفات التي لازمت الانساق على مدى التاريخ دون غيره من الكائنات. فالحروب هي أحد أدوات التراكم التاريخي وتشكله وهي تصنع التاريخ في مكان ما من العالم، وتدمره في مكان آخر، وأمثلة ذلك في التاريخ القديم صريحة، حيث قضت حضارات على حضارات وإمبراطوريات على أخرى ودول على دول واندثرت شعوب وعاشت شعوب. والحروب قد تكون تكتيكية مؤقتة عارضة. وقد تكون استراتيجية وتاريخية. فالحرب المؤقتة تستهدف مصالح وتطويع إرادة وتدمير جزئي لقوى الخصم. أما الحرب البنيانية والمصرية والوجودية والتاريخية فتستهدف جذور الخصم وهويته وتدمير إرادته، وتتسم هذه الحرب بطول النفس أو التدمير الشامل. وبالنسبة لأشكال الحروب، هناك الحرب الشاملة، والحرب المحدودة، والحرب الطويلة الأمد، والحرب الصاعقة. ولكل دولة استراتيجية وعقيدتها في الحرب. إن الوضع الطبيعي بين الدول هو السلام، وهذا السلام قد يأخذ أشكالاً مختلفة، فقد يكون على هيئة وقف إطلاق النار، أو هدنة، أو مقنناً في معاهدة سلام أو اتفاقية تنظم العلاقات بين الدول. لكن الشذوذ في العلاقات بين الدول هو الحرب التي تعني استخدام العنف بكل أشكاله المادي والمعنوي، كما عبر كلاوزفيتس في كتابه «إله الحرب».

«شوفونية»

الشوفونية كلمة مشتقة من اسم أحد جنود نابليون بونابرت «تيتولا شافون» الذي يضرب به المثل في انخيازه وتعصبه لوطنه بصورة عمياء والعداء لكل ما هو أجنبي. وشاع استخدام المصطلح في وصف الأفكار النازية والفاشية والعنصرية في أوروبا، ومنها انتقل إلى العالم للدلالة على ذلت المعنى.

وابتكر السوفييت (الاتحاد السوفيتي سابقاً) في مرحلة لاحقة، وعلى وجه التحديد أثناء الحرب العالمية الأولى صيغة شوفونية اجتماعية وهو تعبير سياسي يقصد به وصف التيارات الاشتراكية الديمقراطية التي تعطي الأهمية الأولى للصراع القومي ومصالح الوطن قبل الصراع الطبقي.⁽¹⁾

وقد جاء استعمال السوفييت لهذا التعبير وهذه الصيغة عندما إنحاز قادة الأحزاب الاشتراكية والعمالية الأوروبية إلى جانب حكوماتهم أثناء الحرب العالمية الأولى، وتصويتهم في البرلمان لصالح مزيد من رصد الاعتمادات العسكرية ودعم المجهود الحربي ودعوتهم إلى الشعب بكل طبقاته للدفاع عن الوطن قبل الدفاع عن مصالح طبقة واحدة.⁽²⁾

وبذلك يكونوا قد تخلوا عن واجبهم الأممي في الوقوف إلى جانب الشعوب التي سحقتها، وإنحازوا إلى جانب الأمبرياليين في حربهم الظالمة من أجل اقتسام مناطق النفوذ في العالم.

(1) - انظر قاموس العربي - مجلة العربي - العدد 316 - مارس 1985.

(2) - الماركسية - لينين - ماركس - إنجلز - دار القلم ص 619.

«الشعوية»

الشعوية تعني في مفهومها القديم الحركة أو الحركات المعادية للعرب كأمة ووطن وحضارة. ويعود تاريخ الشعوية إلى بداية تاريخ قيام الدولة العربية - الإسلامية. «لقد ظهرت العصية القبلية في الدولة العربية - الإسلامية إبان حكم الأمويين. فقد كان ينظر إلى الدولة الأموية في بدء نشأتها على أنها دولة قبلية استبدت على قبائل أخرى. فقد كانت المعارضة في أول الأمر داخل التحالف العربي لا خارج العرب.⁽¹⁾ فوجدت ضالتها في الموالي «المعارضة الضامنة» الذين كانوا على هامش الدائرة العربية، وجدت متفساً بل مجالاً للحركة. من هنا أخذت تبلور فكرة الدولة الإسلامية - فكرة تريد من الدولة أن تكون دولة جميع المسلمين، لا دولة العرب وحدهم، فبالأحرى جماعة منهم. ولما كان غير العرب يشكلون الاكثية في المجتمع الإسلامي الجديد ويتمون إلى شعوب مختلفة في مقدمتهم الفرس، ثم ضمت فيما بعد العنصر التركي، ثم شملت الأقوام والعناصر غير العربية، لذا اتخذت لمعارضة شكل «شعوية» أي حركة شعوب إسلامية غير عربية تطالب بالمساواة. وقد يطلق عليهم أول الأمر اسم أهل «التسوية» أي المطالبون بالمساواة. وقد ركبت الشيعة هذه الحركة أو على الأقل استغللت هذه الحركة براية التشيع وتحولت إلى حركة سياسية دينية تزداد اتساعاً وتحدراً وتأسيس الدولة العباسية، الشيء الذي مكنتها من القيام بالدور الحاسم في الاطاحة

(1) - في الشعوية - اسماعيل العربي - دار الفكر - دمشق - ص 22.

بالدولة الأموية. وبما أن الدولة الجديدة قد تسلم القيادة فيها العنصر العربي مرة أخرى...

وبما أن المعارضة العسكرية قد استنفذت قواها حين قامت الثورة على الأمويين ثم صفى ما تبقى منها في أوائل الدولة العباسية، فإت الحركة الشعبية ستكتسي شكل صراع ثقافي يحاول اخفاء مضمونه السياسي والطبقي في نفس القوالب التي صب فيها مضمون الصراع الذي نشب داخل العنصر العربي عند قيام الدولة الأموية. وهكذا فبدلاً من الكلام، في قضايا الآخر وتوظيفها في السباق نحو المستقبل، اتجهت الحركة الشعبية إلى مهاجمة الماضي العربي والطعن فيه كفكرة وثقافة وحضارة. وكان من الطبيعي أن يكون رد الفعل العربي هو الدفاع : الدفاع عن الماضي العربي، وعن العصر الجاهلي بالذات، أصبح يكتسي شكل الدفاع عن الهوية القومية لا بل الدفاع عن الوجود وأسباب الوجود. لقد أدرك الخلفاء العباسيون هذه الحقيقة وعملوا بوحيتها - إن البناء الثقافي الشامل الذي أصبح يطرح نفسه كضرورة تاريخية.(1)

* * *

«النازية»

أصل الكلمة مشتق من اختصار لصيغة الوطنية الاشتراكية التي كان يمثلها «حزب العمال الاشتراكي الوطني» والنازية حركة اجتماعية قومية متعصبة. ولدت النازية نتيجة ظروف أهمها هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918 - وشروط

(1) - انظر - تكوين العقل العربي / د محمد عابد الجابري - مركز دراسات الوحدة العربية - ص 59 - 60.

الصليح القاسية التي فرضها الحلفاء، ففي مؤتمر فرساي الذي عقد في فرنسا في عام 1919 فرض الحلفاء على ألمانيا دفع تعويضات تناهز /120/ مليار من الماركات الذهبية، والنفقات اللازمة للشروع بعمل اقتاحي يعيد الحياة إلى الاقتصاد المدمر، وحتى رواتب ضحايا الحرب حملها الحلفاء لألمانيا. وبعد عام 1919 بدأت الأزمة الاقتصادية في ألمانيا تشتد، وبمرافقة هذه الأزمة نشط أعضاء حزب العمال الألماني وقدم برنامجاً تضمن عشرات النقاط عام 1920 في وقت لاحق عاد هتلر وشرح نقاطه في كتابه «كفاحي» الذي كتبه وهو في السجن «1923 - 1924» وأهم هذه الأفكار تفوق الجنس الآري ونقاوة العرق الألماني «ألمانيا فوق الجميع» والغاء معاهدة فرساي - وإعادة تقسيم المستعمرات عن طريق الحرب.. الخ فالنازية حركة سياسية قومية عنصرية أرست أسسها الفكرية على أرضية انتقائية من النظريات والفلسفات وبعض الأفكار الأخرى - فقد أخذت النازية فكرة التفوق من جو بنير التي كتبها - 1853 - 1855 - في مؤلفه «مقال حول عدم تساوي الاجناس البشرية» وفكرة منطق العنف والسوبرمان من أفكار «نيتشه» وتمجيد الدولة والحرب والقوة هي ابنة أفكار هيجل. فالفكرة المحورية في النازية «هي نقاوة الجنس الآري وتفوقه» وهي فكرة عصبية ليس لها أي سند علمي. وتآلق نجم النازية بعد أن وظف حزب العمال الألماني بذكاء الأزمة الاقتصادية التي تعصف بالبلاد، واستقطب إلى جانبه جماهير الطبقة المتوسطة وبوصول هتلر إلى الحكم بدأت الأفكار النازية تأخذ طريقها إلى واقع العمل والتطبيق، وبهزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية «1939 - 1945» سحق النظام النازي الذي حاول أن يخضع العالم ويحتله.

«الفاشية»

من الكلمة الايطالية «fascio» التي تعني الجمع أو الحزمة» ديكتاتورية ارهابية ديمورية لاكثر فصائل الطبقات الاستغلالية رجعية وشوقونية وعدوانية ولدتها الأزمة العامة للرأسمالية. وتتكون ايدولوجية الفاشية من مزيج من الأفكار الأكثر رجعية المقتبسة من الحركات المحافظة في الماضي. ومن المميز لهذه الايدولوجية العداء المتطرف للشيوعية، والتكرار للانسانية، والمتافحة عن الضبط الشامل للحياة الاجتماعية ووصاية الدولة. وتتميز ايدولوجيا الفاشية بوصفها الأكثر تطرفاً لايدولوجيا العرقية. لقد نشأت الفاشية في العشرينات من القرن العشرين كرد فعل على الازمة الاقتصادية والسياسية العالمية، التي كانت ثورة اكتوبر الروسية 1917 كأهم نتائجها. وهي عدو شرس وخطر على البشرية التقدمية بأجمعها. تشكل الدعامة الاجتماعية للفاشية من البرجوازية الصغيرة في المدن والريف التي تقوض للفاشية وجودها المادي من جراء تطور الرأسمالية، وكذلك فئات المجتمع المنفصلة عن طبقاتها.(1)

* * *

(1) - للتوسع انظر - قاموس الشيوعية العلمية - دار التقدم - ص 328 - 329 .

«نظام الأبارتيد»

يعني سياسة الفصل العنصري التي كانت تنتهجها حكومة الأقلية البيضاء في بريتوريا في جنوب أفريقيا ضد المواطنين الأصليين الأفارقة «قبل أن يصبح نيلسون مانديلا ابن البلد الأصلي رئيساً لجمهورية جنوب أفريقيا في التسعينات». ويختلف الفصل العنصري أو «الأبارتيد» عن التمييز العنصري في أن الأبارتيد يتسم بالمنهجية الوحشية واقتراف أعمال غير إنسانية، يكون الهدف منها إقامة وتسلط فئة عنصرية من البشر على فئة عنصرية أخرى واضطهادها. ومظاهر الفصل العنصري عديدة منها ما يتعلق بالملكية الزراعية، والتعليم والاحور، والممتلكات والحوافز اللونية، وتصاريح المرور، وشهادات التسجيل.

وبقوم الفصل العنصري الأبارتيد في جنوب أفريقيا على ثلاثة أركان قانونية:

الأول: قانون الأرض الذي يعطي 87٪ من أجود الأراضي وأخصبها للبيض.

الثاني: قانون العزل الإقليمي الذي يوزع السكان البيض في مناطق معزولة عن المناطق المخصصة للملونين.

الثالث: قانون التسجيل الذي يلزم كل مواطن بتحديد العرق الذي ينتمي إليه، أما ما إذا كان أبيض أم ملوناً.

وقد صدرت عن الأمم المتحدة عدة إعلانات ومواثيق للقضاء على جميع أشكال

التمييز العنصري. منها في 20 نوفمبر سنة 1963، ثم في 21 ديسمبر سنة 1965 ثم سنة 1967.

غير أن نظرة القانون الدولي «لالأبارتيد» أو الفصل العنصري تختلف عن نظريته

للتمييز لكل أشكاله. فقد توصلت الأمم المتحدة إلى صياغة نظرية المجتمع الانساني للفصل العنصري في الاتفاقية الدولية لقمع الفصل العنصري والمعاقبة عليها باعتبارها جريمة ضد الانسانية، والتي اعتمدها الجمعية العامة في 30 نوفمبر 1973، ودخلت حيز التنفيذ في 18 تموز 1976 بانضمام 20 دولة إليها. وتعلن هذه الاتفاقية تجريم المنظمات والمؤسسات والأشخاص الذين يرتكبون جريمة الفصل العنصري.*

* * *

«العنصرية»

نظرية وايدولوجيا رجعتين موعلة في القلم. نشأت منذ نشوء الملكية الخاصة، حين أصبحت فئة قليلة العدد تسيطر على سائر أدوات الانتاج ووسائله. فهي تحاول تبرير الظلم الاجتماعي، وطمس التعصب القومي وتصوير العنف الاجتماعي والانقسام الطبقي على أنه انقسام طبيعي أفرزته عوامل ذات طابع بيولوجي «عرقية ودموية» لذا فان الناس منقسمون إلى عروق - راقية - ذكية - ماهرة - متقدمة، وعروق بدائية - منحطة - غبية - متأخرة. وكذلك العنصرية. بمعنى آخر، هي تعبير عن طبيعة العلاقات اللاانسانية للرأسمالية والامبريالية، إذ هي تبرير فاسد للايديولوجيا من أجل السيطرة على القبائل والشعوب المغلوبة، وهي نتيجة من نتائج نظام الرق انتشرت في العصر الحديث نتيجة للفتوحات الاستعمارية والاستيطانية. العنصرية مناقية للعلم في كل مظاهرها. أثبت علم الانثروبولوجيا الحديث أن جميع الاجناس البشرية هي عبارة عن فئات من نوع بشري

* - للتوسع انظر مقال - حكومة جنوب افريقيا - د/ ساد الشراوي - مجلة العربي - العدد 370 - ايلول 1989.

واحد هو الانسان، وهذا الاستتاج لا يتعارض لا مع الفرضية الأحادية ولا مع الفرضية التعددية الأصل. من الانظمة العنصرية في العالم دولة الاقلية البيضاء في جنوب افريقيا، و«دولة اسرائيل» في فلسطين العربية.

«الصهيونية»

الصهيونية هي الحركة القومية الجديدة لاعادة اليهود من «الشتات» واسكانهم في فلسطين الأرض التاريخية للعرب. وتعتبر الصهيونية أحد نتائج العنصرية والرجعية الاستعمارية الأوروبية التي انبثقت عن المجتمع الرأسمالي الأوروبي، بعد انكفاء ثوراته البرجوازية الديمقراطية في نهاية القرن «19م» ومطلع القرن العشرين، كما أن الصهيونية تعتبر أحد نتائج واقع المجتمعات اليهودية المغلقة والمتعصبة التي تأبى التمازج أو الانصهار مع بقية المجتمعات التي تعيش في ظهرايتها. تستند الصهيونية على مقولة التفوق العرقي «إن جنساً ما متفوقاً بشكل طبيعي على غيره من الاجناس وبالتالي يجب على الجنس المتفوق أن يسيطر على العالم». وبهذا تكون الصهيونية ايديولوجياً عنصرية، شديدة الارتباط باللاسامية والنازية والفاشية، لقد تحدد تطور الايديولوجيا الصهيونية، بعد الحرب العالمية الاولى، وخاصة بعد سحق ألمانيا النازية وحلفائها، بالتغيرات الاجتماعية والسياسية المتصلة بالقوانين العامة لتطور الامبريالية في القرن العشرين، وبالأزمة الشاملة للرأسمالية فأصبح الفريق الأكثر جشعاً والأوسع ثراء من البرجوازية اليهودية. ويعتبر تيودور هرتزل المؤسس في القرن «19م» مؤسساً فعلياً للحركة الصهيونية التي جسدت أهدافها عملياً بإقامة دولة «اسرائيل» في فلسطين العربية.

«الغيتو»

يعتبر «الغيتو أو الجيتو» أحد أشهر الأشكال الانعزالية اليهودية في العالم، بحيث أصبح يطلق على سبيل التعميم على كل شكل من أشكال الحياة اليهودية الانعزالية وسط الشعوب التي عاشوا بينها. والغيتو عبارة عن حارة أو حي أو عدد من الأحياء المخصصة لإقامة اليهود⁽¹⁾ أما بالنسبة لأصل كلمة «غيتو» فانه محاط بكثير من الشكوك. ومن المحتمل أن تكون الكلمة قد استخدمت للمرة الأولى لوصف حي من أحياء البندقية والذي يقع بالقرب من مصهر للمعادن يسمى «جيتو» كان محاطاً بأسوار وبوابات عام 1516 وخصص كمكان لإقامة الطائفة اليهودية. وهناك من وجدوا أصلاً للتسمية في العبرية من الفعل «جت» بمعنى الانفصال أو الطلاق» وفي البديشية وفي اللاتينية وفي اليونانية، وفي الجوتيه. ولكن ليس هناك شك أن مصدرها هو كلمة «الجيتونوفو» معمل سبك المعادن، وهو مكان الحي اليهودي المنعزل الأول في البندقية عام 1516. وحسباً للشكوك اصطلاح على أن التسمية تستخدم لا لتعبير عن الجيتوهات الاجبارية فقط، وإنما عن المجتمع الانعزالي الاختياري لليهود. وتعبير الكلمة كذلك عن الشكل المتشابه للجيتوهات الأخرى مثل أحياء المهاجرين وأحياء الزنوج في الولايات المتحدة الأمريكية، وأحياء الوطنيين في جنوب أفريقيا⁽²⁾.

(1) - الموسوعة اليهودية «جودايتكا» المجلد السابع - ص 542.

(2) - نفس المصدر السابق - ص 562.

«المعراج أو التجمع»

المعراج كلمة عبرية معناها «التجمع» وهو تجمع سياسي يتألف من اتحاد حزبين كبيرين - حزب العمل الموحد «مابام» وحزب العمال «ماباي» فضلاً عن بعض الأحزاب «المعتدلة» كالجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة. وهو يمثل «اليسار» في الحياة السياسية في إسرائيل. باستثناء اجتياح لبنان وغزو عام 1982 الذي تم في حكم «الليكود» فإن الحروب الاسرائيلية - العربية واحتلالات الارض العربية تمت بقيادة حزب العمل الذي يترعّمه اشكول - غلديا مائير - فقد ساهموا بالعدوان الثلاثي على مصر إلى جانب انكلترا وفرنسا عام 1956. وبقيادة حزب العمل شنت اسرائيل حرب عام 1967 على مصر وسوريا والاردن واحتلت غزة وسيناء من مصر والجولان من سوريا والضفة الغربية والقدس الشرقية من الاردن.

وبقيادة نفس الحزب خاضت اسرائيل حرب 1973. وهذا التجمع بقيادة حزب العمل يعادي الأمة العربية ويرفض الاعتراف بحقوق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم واقامة دولتهم المستقلة، كما أنه يطمح إلى التوسع خارج فلسطين واقامة دولة اسرائيل الكبرى، وليست دعوته إلى السلام تنطوي على جدية بل تنطوي على ديناميكية وتاكيد مرنين بقصد كسب الوقت لتهود الاراضي وبالتالي ابتلاعها بفعل ميزان القوى والحقائق القائمة على الارض بفعل الزمن. تلخص أفكار قادة حزب العمل - اسحق رابين - وشمعون بيريز وغيرهم بالحاق المسألة الفلسطينية ومصير الاراضي الفلسطينية بالطرف الاردني والتخلص من عبء السكان الفلسطينيين في الاراضي المحتلة مع الاحتفاظ بالسيطرة الاسرائيلية الامنية ولاستراتيجية عليها..

والارض مقابل السلام معناها استعادة أجزاء من الاراضي المحتلة للسيادة الاردنية من الناحية العملية. وفي هذا الاطار طرح ما يسمى بالخيار الاردني، الذي يعني اقامة دولة الفلسطينيين في شرق الاردن، أو دمج السكان الفلسطينيين في حكم ذاتي مع النظام الاردني.

لأن الملك حسين قادر على لجم الفلسطينيين من جهة، ولكي لا تتشوه صورة اسرائيل «الديمقراطية» أمام العالم من جهة أخرى.

* * *

«الليكود أو التكتل»

«الليكود» كلمة عبرية تعني «التكتل» يتألف جسمه السياسي من ثلاثة أحزاب رئيسية - حيروت - الاحرار - حركة لاعام.

اضافة إلى بعض الاحزاب الدينية الصغيرة. والليكود في تضاريس الخارطة السياسية يمثل اليمين في اسرائيل. هذا التكتل يرى أن فلسطين يجب أن تكون لليهود فقط ويزعم أن العرب شوائب على الجسم الاسرائيلي لا بد التخلص منهم وأفضل طريقة إما إبادتهم أو طردهم، وأن دولة اسرائيل الراهنة ليست أكثر من قاعدة للوثوب إلى تشكيل الدولة الكبرى الممتدة من الفرات إلى النيل، وأن اسرائيل دولة غير معتدية واحتلالها لاراضي العرب لا يعد احتلالاً أو غزواً، وإنما هو تحرير لأرض اسرائيلية توراتية التي فقدوها منذ قرون. وكل مشاريع الحلول السلمية التي طرحها ويطرحها الليكود بقيادة مناحيم بيغن سابقاً واسحق شامير ونيياهو لاحقاً ومن سيأتي بعدهم في المستقبل ليست مشاريع وإنما عقبات في وجه أي حل يمكن أن يستفيد منه الفلسطينيون. فالليكود كما هو المعراخ لا يعترف بشعب فلسطين ولا يعترف بأرض

عربية في فلسطين ولا باقامة دولة فلسطينية ولا بقرارات الأمم المتحدة. إن مشاريع الحلول السلمية التي تطرح ليست أكثر من أوهام غرضها تعفين الوضع العربي ومواصلة تفتيته وتعمق الانقسامات بين من يرفض وبين من يقبل من الرسميين العرب. ليس هناك خلافات مبدئية بين الليكود والمعراخ، بل هناك تباين في الاجتهادات والطرق الناجمة لقيام دولة اسرائيل الكبرى وتنقيتها من العنصر العربي. فالليكود يرى إيادة العرب أفضل الطرق المؤدية للغرض واقصرها بينما المعراخ أكثر مرونة، يرى أن الطرد والتهميم والارهاب والترغيب واحياناً الإبادة أنجع ولا يشوه صورة اسرائيل «الديمقراطية» أمام العالم. تحت راية الليكود ينضوي معظم المتدينين اليهود من الشرق والغرب وكل المثقفين وذوي الهوى العنصري للعرب. اليسار واليمين في اسرائيل متفقان على أن بقاء اسرائيل مرتبط باستمرارها قوية متفوقة على مجموع الأنظمة العربية وإن ابقاء العرب ضعفاء منقسمين إلى طوائف وعشائر هو عامل حاسم في قوة اسرائيل. كما أن هذه القوة هي الضمانة للحفاظ على مصالح الدول الامبريالية الذي يشكل سيل مساعداتها أحد عوامل بقاء اسرائيل.

* * *

«الكيبوتزات»

هي أحد أساليب التنشئة الاجتماعية في اسرائيل. والمقصود تجمعات من الاطفال الصغار يعيشون معاً تحت اشراف مجموعة من المربين في مناطق محددة شبه معزولة عن المجتمع. فهي بمثابة نظام تربوي تقوم به اسرائيل لتربية الاطفال الصغار على أسس الفكر الصهيوني. فأبناء الكيبوتزات هم النماذج والمثل التي تقدمها الصهيونية لابتناء اسرائيل

لكي يقتدوا بهم. يطلق على هؤلاء الاطفال جيل «الصائرا» إن هذا الجيل بالتحديد هو الذي تيزل الصهيونية كل جهدها لكي يصبح النموذج الذي تلتف حوله الشخصية الاسرائيلية الجديدة. وهي فضلاً عن ذلك جزء من الجيل الذي تعده اسرائيل لاستيعاب الفكر الصهيوني من أجل مواجهتها استراتيجياً بحكم السن على الأقل.

وتبين الدراسات السيكولوجية وأهمها الدراسة التي أجراها «سيبرو» أهم الخصائص لجيل الكيبوتزات بما يلي:

العدوان - كراهية الغرباء - الانطوائية - البرود الانفعالي - الحقد - مشاعر الدونية.

* * *

«الاشكنازيم»

الاشكنازيم كلمة تعني اليهود الغربيين، وهم من أصل أوروبي ويقابلهم «السفارديم» أو اليهود الشرقيون، وهم يهود قدموا من اسبانيا وشمال افريقيا وبلدان آسيا وافريقيا الاخرى، وكذلك البلقان والاناضول. والاشكنازيم يشكلون في الوقت الراهن أكثرية بين يهود العالم. وفي فلسطين شكل الاشكنازيم نحو 80٪ من المستوطنين في عقد الاربعينات ولكنهم لا يزيدون في الوقت الحاضر عن 35/30٪ أما اليهود السفارديم «الشرقيون» يشكلون حالياً في فلسطين 60 - 65٪ الاشكنازيم المستوطنون في فلسطين يعتبرون انفسهم من الدرجة الأولى ويتسمنون أعلى مراتب الحكم على الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية.

أما اليهود السفارديم فيعتبرون في فلسطين من الدرجة الثانية ولا نشاط بهم إلا

الاعمال التي يأنف اليهود الغريون الاسفاف إلى ممارستها.
اليهود الغريون والشرقيون يقفون موقفاً موحداً عنصرياً من المواطنين العرب
أصحاب البلاد الأصليين ويعتبرونهم رعايا من الدرجة الثالثة.

* * *

«الاسامية»

هي الكلمة التي ينعت بها اليهود كل شعوب العالم أو أي دولة لا تقف مع
المشاريع والمخططات الصهيونية وسواء في اعتبار اليهود أمة أو عدم تأييدهم في إقامة
دولة، بل امبراطورية يهودية. فضلاً عن أي محاولة تهدف إلى اعتبار اليهود في
المجتمعات التي يعيشون فيها، مواطنين حيث ان الصهيونية تعتبر اليهودي خارج
فلسطين لا يعيش ف وطنه بل يعيش في «الشتات»!!

يقول المؤرخ البريطاني ارنولد توينبي «غن الصهيونية ومعاداة السامية ليسا
سوى تعبير واحد عن فكرة واحدة، وكلتا الايديولوجيتين تؤكد أن من
المستحيل توحيد اليهود وغير اليهود في مجتمع واحد ولذا فان التقسيم الطبيعي هو
الحل الوحيد».

«ثورة الشعب الفلسطيني عام 1936»

لقد كان استشهاد عز الدين القسام في 19 تشرين الثاني 1935 في غابة يعبد بمنطقة جنين وقعا عظيماً في نفوس المواطنين العرب فزاد لهيب الثورة التي بدأت بإعلان الاضراب العام في جميع أنحاء فلسطين والذي استمر أكثر من ستة أشهر وهو أطول اضراب في التاريخ ثم مالبت ان تشكلت اللجنة العربية العليا من رؤساء جميع الاحزاب الفلسطينية برئاسة المفتي أمين الحسيني وذلك لقيادة الثورة، وطالبت اللجنة العربية العليا الحكومة البريطانية بمنع الهجرة ومنع انتقال الأراضي إلى اليهود وبإنشاء حكومة وطنية، إلا أن بريطانيا رفضت ذلك فاندلعت الثورة المسلحة وشارك فيها ثوار من بلدان عربية أخرى... وردت بريطانيا بعنف على هذه الثورة مستخدمة قوتها العسكرية الضاربة، إلا أن هذا العمل زاد من نغمة الجماهير. وكان موقع بريطانيا حرجاً جداً، فلا القوة أنهت المشكلة ولا الوعود زحزحت الثوار عن مطالبهم لهذا عملت على توسيط الملك عبد الله، ملك الأردن، لحل الخلاف بين العرب وبينها، ولكن لسوء سمعة عبد الله ومواقفه من قادة الثورة، رفضت وساطته، فلم تر بريطانيا بداً من توسيط عبد العزيز بن سعود، ذو السمعة الإسلامية الحسنة... لدى الثوار أملاً في إيجاد حل مناسب، حينما اشتدت الثورة في فلسطين، اتصلت الحكومة البريطانية بابن سعود عبر وزيره المفوض في لندن، الذي نقل إليه رغبة بريطانيا في توسيطه لحل القضية الفلسطينية، حنأها رأى عبد العزيز كما يقول الزركلي - أن يقوم بمساع مشتركة مع الحكومات العريقة، لتفريج الأزمة عن بريطانيا الصديقة للعرب جميعاً!! وبعد ثلاثة

عشر يوماً من الاتصالات، مع ملوك العرب المتبرطين، بعث عبد العزيز السعود ببرقية سميت نداء، عبر اللجنة العربية وباسم الملوك العرب (ملك العربية السعودية، وملك العراق وامام اليمن وامير الاردن عبد الله » إلى اهالي فلسطين، يطالبونهم فيها بوقف الاضطرابات حقناً للدماء معتمدين على رغبة الحكومة البريطانية في التعاون على تحقيق العدل!! وكان نداء قد صدر بتاريخ 11 تشرين 1936 وهذا نصه. «إلى أبناءنا عرب فلسطين، لقد تألمنا كثيراً للحالة السائدة في فلسطين فنحن بالاتفاق مع ملوك العرب والامير عبد الله ندعوكم للاخلاء إلى السكينة وايقاف الاضراب حقناً للدماء، معتمدين على الله، وحسن نوايا صديقتنا بريطانيا، ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل، وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم...!!

وكان الغرض من هذا النداء هو كسر الاضراب واجهاض الثورة بذريعة حقن الدماء وفعلاً توقف الاضراب واجهضت الثورة واتجه الثوار الى طريق السلم والمهادنات والمفاوضات، وهكذا قضت الرجعية العربية على ثورة الفلسطينيين عام (1936) خدمة للمصلحة الرجعية والبريطانية المشتركة.⁽¹⁾

* * *

(1) - انظر تاريخ فلسطين الحديث - / د عبد الوهاب كباي - ص 295 -

- شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز / ص 1074

- خطر اليهودية العالمية - عبد الله التل - دحي 270.

- بريطانيا وابن سعود - محمد علي سعيد - منظمة الاعلام الاسلامي / ص 88 - 95

«يوم الأرض»

مع استمرار حملات المصادرة والتهويد للأراضي الفلسطينية منذ عام 1948، خاصة في منطقة الجليل والمثلث، وبناء المدن واحياء الاستيطان، إلا أن ذلك لم يؤد إلى تغيير حاسم في التوازن الديمغرافي بين اصحاب البلاد الاصليين وبين الوافدين الغزاة المستوطنين حيث استمر المواطنون الفلسطينيون يشكلون 70٪ مما يعني ان حملة تهويد الجليل قد فشلت، ولهذا فقد عمدت سلطات الاحتلال الصهيوني الى وضع مشروع جديد لتسريع عملية التهويد تحت شعار «تطوير الجليل». وعن أهداف هذا المشروع. ذكرت النشرة الشهرية لوزارة الزراعة الاسرائيلية، في شهر تشرين الثاني عام 1975: «ثمة مشكلة خاصة في الجليل هي أقلية المستوطنين بالنسبة للأقليات (إلا غير اليهودية) فالسكان اليهود لا يتجاوزون 30٪ من مجموع السكان في تلك المنطقة... وان من بين اهداف المشروع الرئيسية تغيير النسبة بين السكان اليهود وغير اليهود وتحويل الجليل الى منطقة ذات اكثرية يهودية...» وصرح حاييم بارليف في المجلس العام للتوطين في الجليل المنعقد في 1976/3/3 قائلاً: «إن المهمة الراهنة الاساسية هي شعار «لتصبح الجليل يهودية ويهودية صرفاً». وعلى اثر تلمس الاوساط الفلسطينية في الجليل خطورة المشروع عقد اجتماع في حيفا يوم 1975 / 7 / 29 حضره رؤساء المجالس المحلية العربية وشخصيات فلسطينية وتقرر في هذا الاجتماع تشكيل «لجنة الدفاع عن الأرض» وبدورها دعت الى عقد اجتماع في الناصرة يوم 1975/8/15 حيث تقرر في هذا الاجتماع الدعوى لعقد مؤتمر شعبي للمطالبة بوقف مصادرة الاراضي وشارك فيه

عشرت الالوف من الفلسطينيين، وتقر في هذا المؤتمر اعلان الاضراب العام والتظاهر أمام الكنيسة إذا لم تراجع سلطات الاحتلال عن مخططات التهويد والصادرة، لكن سلطات الاحتلال لم تأبه بكل التهديدات لذلك وضعت الترتيبات الفعلية لاعلان الاضراب العام في 30 آذار 1976، في المقابل حشدت سلطات الاحتلال من شرطتها وجنودها لافشال الاضراب، وفي 30 آذار كانت الهبة الجماهيرية التي عمت قرى الجليل ومدنه والمثلث والنقب وشاركت فيه المدن والمخيمات في الضفة الغربية وقطاع غزة وجرت اشتباكات في كل انحاء فلسطين سقط على أثرها العديد من الشهداء. وتحول هذا اليوم إلى وقفة نوعية في سياق النضال الجماهيري ضد سياسة القضم والتهويد والاستيطان.

* * *

« مشروع الحكم الذاتي للفلسطينيين »

إن مشروع الحكم الذاتي للفلسطينيين الذي يطرحه اسحق رابين زعيم حزب العمل «اليساري» ورئيس وزراء اسرائيل ويتفذه ياسر عرفات اليوم وفق اتفاق اسولو، هو نقه. تقريباً مشروع الحكم الذاتي الذي طرحه مناحيم بيغن زعيم تكتل الليكود اليميني ورئيس وزراء اسرائيل السابق عام 1977، فيخطابه الذي ألقاه في الكنيسة في 28 / 2 / 1977 قال مناحيم بيغن، إنه مع تحقيق السلام، سنقترح تشكيل حكم ذاتي إداري لسكان يهودا والسامرة وقطاع غزة العرب، على أساس المبادئ التالية، ويتألف المشروع من 26 بنداً معظمها شكلية وقسم منها يتعلق بالادارة المدنية، وسنكتفي بعرض أهم واحظر ما في مشروع بيغن.

البند 2 - يقام في يهودا والسامرة وقطاع غزة حكم ذاتي إداري للسكان العرب في تلك المناطق، بواسطة المقيمين فيها ومن أجلهم.

البند 6 - يتم انتخاب المجلس الإداري في انتخابات المجلس الإداري في انتخابات عامة ومباشرة، وشخصية، ومتساوية وسرية.

البند 10 - يتولى المجلس الإداري تصريف أعمال الدوائر التالية: دائرة التعليم - دائرة الشؤون الدينية - الدائرة المالية - دائرة المواصلات دائرة البناء والسكان - دائرة الصناعة والتجارة والسياحة - دائرة الزراعة - دائرة الصحة - دائرة العمل والانعاش - دائرة إعادة تأهيل اللاجئين - دائرة الإدارة القضائية والإشراف على قوة شرطة محلية، ويصدر المجلس الإداري الأنظمة المتعلقة بعمل هذه الدوائر.

البند 11 - يعهد بشؤون الأمن والنظام العام في مناطق يهودا والسامرة وقطاع غزة إلى السلطات الاسرائيلية..

البند 14 - يمنح سكان «يهودا والسامرة وقطاع غزة» بغض النظر عن جنسياتهم وسواء كانوا مجنسين أم لاحق الاختيار الحر للحصول على الجنسية الاسرائيلية أو الجنسية الاردنية.

البند 24 - تتمسك اسرائيل بحقوقها ومطالبها في السيادة على يهودا والسامرة وقطاع غزة وادراكاً منها لوجود مطالب أخرى فإنها تقترح من أجل الاتفاق والسلام - ابقاء مسألة السيادة في تلك المناطق مفتوحة، وفي نهاية تقديم يغن لمشروعه الخاص بالادارة الذاتية، قام بشرح بعض البنود المقترحة، قال : يغن علي أن أوضح البند (11) وكذلك البند (24) من هذا المشروع.. واضاف في البند (11) من مشروعنا حددنا بالقول، ولا يمكننا ان نتصور على الإطلاق فيما لو اقترح علينا سحب قوات جيشنا من يهودا والسامرة وقطاع غزة السماح لمنظمة «القتلة» المسماة م - ت - ف - ...

واضاف لذا فإنه من المعروف ان من يريد الاتفاق معنا عليه أن يكلف نفسه القبول باعلاننا ان جيش الدفاع الاسرائيلي سيبقى مرابطاً في يهودا والسامرة وقطاع غزة... الخ إن ييغن يؤكد في المادة (11) أن «يهودا والسامرة» هي أرض اسرائيل قال ييغن في البند «4» جزمنا بالقول - تتمسك اسرائيل بحقوقها ومطالبها في السيادة على يهودا والسامرة وقطاع غزة، ولعلمها بوجود مطالب أخرى في فهي تقترح من أجل الاتفاق والسلام ابقاء مسألة السيادة في تلك المناطق مفتوحة، و اضاف : لقد قلت هذه الامور على مسمع من رئيس الولايات المتحدة كارتر، وعلى مسمع من الرئيس المصري أنور السادات لنا حق المطالبة بالسيادة على هذه المناطق من أرض اسرائيل.. وهي بالحق ملك للشعب اليهودي..

أما البند العاشر الذي نص على تصريف أعمال دوائر كل من التعليم والشؤون الدينية والمالية والمواصلات.. الخ إن هذا المجلس الاداري ليس له أي حق في التعاطي بكل ما يمت للحكم والسيادة وتقرير المصير واقامة دولة بصله، أو أن يكون لذلك الحكم أية صلات أو علاقات خارجية دبلوماسية أو اقتصادية أو ثقافية، وانما فقط اشرافه على قوة شرطة محلية تكون مسؤولة عن تنظيم حركة المرور، وتنفيذ الاستراتيجية العسكرية الصهيونية بأدوات محلية عرية، وإذا ما عجزت الشرطة المحلية فان الجيش الاسرائيلي جاهز لحسم ذلك... أما البند (14) الذي يحير الفلسطينيين، ومحاولة اسرائيلية لالغاء الشخصية الفلسطينية وتذويبها والقضاء على هويتها واستقلالها. إذن فالحكم الذاتي الاداري هو خطوة أولية على طريق القضاء على الشعب الفلسطيني وتجاهله وعلى طريق ابتلاع الاراضي المحتلة وتهويدها والحاقها كلياً بشكل قانوني إلى الكيان الاسرائيلي عبر اجراءات عديدة ومعقدة منها السياسي والاقتصادي والعسكري، ومنها الديمقراطي.

إن ما تراه إسرائيل من أهدافها صعب التحقيق من خلال العمل العسكري المباشر، تسعى إلى تمريره بواسطة المشاريع - التسوية - السلموية (1)
* * *

«حلفاء إسرائيل»

كمشة من البشر تجمع من شتى أصقاع المعمورة، تؤسس دولة وتطلق عليها إسرائيل. هذه الدولة تفتقر معظم عناصر القومية من لغة وتاريخ وأرض وحياة مشتركة، تحتل فلسطين وتطرد شعبها الأصلي وتقتل وتشرد يومياً ما تبقى منه، وتهزم العرب وجيوشهم وبترولهم وأمجادهم الحضارية التي يتغنون بها على الطالع والنازل، بل تحتل أراضيهم وتعلن عزمها على إقامة إسرائيل الكبرى. يا للعار، لو كانت أمريكا أو بريطانيا أو فرنسا هي التي هزمتا هان الأمر، لأن هذه الدول تمتلك ذاتياً شروط القوة والتقدم والاستقرار والاستمرار سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً - الخ أما «إسرائيل» فما زالت تستعير معظم مقومات وجودها من الدول الامبريالية بزعامة أمريكا. إن أهم حلفاء إسرائيل الذي يوفر لها القوة والغلبة يمكن اختصارهم بثلاثة:

- 1 - التحالف الغربي المتمثل بالتجزئة وترسيخ الدولة القطرية، وغياب الموقف القومي الموحد ضد العدو، ومعاداة النظام السياسي العربي الرسمي للشعب والانقسامات العدائية والحروب العربية - العربية - وتغليب الخلافات الثانوية على الصراع الرئيسي الوجودي بين الأمة واعدائها.

(1) - للتوسع في هذا الموضوع انظر «كامب ديفيد أعلى مراحل التآمر على الشعب الفلسطيني - قسم الدراسات الفلسطينية 1980 / ص 170 - 190»

2 - اللاعقلانية العربية في العمل والممارسات التي تستبدل الواقع بالهوهم. فأمريكا تختصر سياستها في المنطقة بالتالي:

اسرائيل حليفها المتميزة التي يجب أن تبقى متفوقة على كل العرب. والذي يريد من العرب العطف الأمريكي عليه أن يقبل باسرائيل وبكل مخططاتها، وأن العرب ما يزالون مادة للتاريخ ورقماً وبلادهم منطقة تحتضن ثروات هائلة في مقدمتها النفط، إضافة إلى موقعها الاستراتيجي المتميز. لذا فإن أمريكا تنحاز إلى اسرائيل علناً وتمدها بشروط البقاء ابتداءً من الخبز وحتى آخر صيحة في التقنية العسكرية. ومع ذلك هناك الكثير من العرب الذين تحركهم مصالحهم الضيقة عجزهم المتفاقم فيصرون أمريكا صديقاً للعرب وأنها يمكن أن تضغط على اسرائيل من أجل ان تشملهم بعطفها.

3 - المساعدات والهبات اللامحدودة التي تلقاها «اسرائيل» من الحركة الصهيونية العالمية والدول الامبريالية بقيادة أمريكا، على اعتبار أن اسرائيل مشروعاً استعمارياً امبريالياً ومصلحة غربية أثبتت بالتجربة قدرتها على حماية هذه المصالح الامبريالية من جهة، وضرب احتمالات قيام أي دولة عربية موحدة في المنطقة

إن مواجهة أعداء الأمة العربية تتطلب ادخال الشعب المعركة، كما يتطلب إرادة عربية سياسية واعية ومتحررة وحد أدنى من التضامن، وبناء قدرة ذاتية خاصة على الصعيد العسكري بعيدة عن الارتهان والتبعية.

* * *

«المصطلح السياسي والهزيمة»

منذ الهيمنة الامبريالية على الوطن العربي عامة، وتأسيس الدولة الصهيونية خاصة والعقل العربي يتعرض لحملة ثقافية واعلامية مضادة بهدف اختراقه واحتوائه، ونلمس ذلك في حزمة من الصيغ والتعبيرات والمصطلحات التي أصبح استخدامها مألوفاً في القاموس السياسي العربي، والغاية من هذه المصطلحات هي هز بعض الثوابت القومية الكبرى وافراغها من مضمونها عبر تدجين العقل العربي واخضاعه لارادة الأعداء. ولا شك أن الماكينة الاعلامية الضخمة التي تسيطر عليها الامبريالية والصهيونية كان لها وزن كبير في التراكم التاريخي لمعظم هذه التعبيرات والمصطلحات الدارجة اليوم والايحاء وكأنها من المسلمات. فكمرة تكرارها وترديدها دفعها إلى موقع التداول والمألوف لدى معظم المهتمين بالشؤون العامة. ولقد ساهم الاعلام العربي في تحويل هذه الاملاءات المضادة إلى مصطلحات معترف بها في سياق التخلف العربي الذي أفرز الهزائم اللاحقة حيث يتم انتاجها وترويجها، كلما تسارعت خطى العرب إلى الاستسلام. ويجري التعاطي بها على الصعيد الاعلامي، بل في معظم الحركات السياسية العربية بكل تلاوينها.

حيث نقرأ «المنطقة العربية عوضاً عن الوطن العربي»

«والعالم العربي» بدلاً من «الأمة العربية» فالوطن العربي كما تراه الامبريالية الدولية وخاصة أمريكا، انما منطقة تقع بين السوفييت سابقاً وبين الغرب وهيبي في تحليلاتهم عمق استراتيجي لحلف الاطلسي وهو مجال حيوي للمصالح الغربية.

ويعتبرون سكان الوطن العربي كم سلبى من البشر وموضوعاً للتاريخ لا قوة فاعلة فيه. أما الأمة العربية فهي «عالم عربي» بكل ما تحمله كلمة عالم من اختلاف وتنوع حضاري في الارض واللغة والتاريخ والمصالح والآمال المشتركة. فالهدف من اصطلاح «عالم عربي» هو نفي وجود الأمة العربية الواحدة وتعويم مقولة أمم عربية وشعوب عربية متنايزة (كأمة مصرية)، وأمة سورية وأمة جزائرية الخ لذا ليس مصادفة أن نقرأ في بعض الادبيات الثقافية والسياسية بعد الحقبة الناصرية مثلاً صيغة «مضر والعالم العربي» والمقصود بذلك التشكيك بعروبة مصر وعزلها عن أمتها العربية وضرب دورها الريادي وبالتالي تحييدها في الصراع الدائر بين الأمة العربية من جهة وبين الامبريالية والصهيونية. ونقرأ مصطلح «الشرق الأوسط» و«الشرق الأدنى» ويشمل الشرق الاوسط ايران وتركيا والوطن العربي الذي هو قلب الشرق الاوسط. وهذان المصطلحان ابتدعهما الاستراتيجيون الاستعماريون للدلالة على قرب أو بعد هذه الامم والدول عن الدول الامبريالية التي تعتبر نفسها المحور، وما تبقى من دول وشعوب ليست اكثر من مناطق للموارد الخام واسواقاً للصناعات الامبريالية. (1) كما نقرأ المصطلح الامبريالية الصهيوني الذي أريد من ترويجه طمس القضية الفلسطينية وانكار وجوده الشعب الفلسطيني. وعوضاً عن الصراع العربي - الصهيوني.

نقرأ النزاع والغرض من ذلك هو التسليم بوجود الدولة الصهيونية اعتبارها عضواً طبيعياً في الوطن العربي يمكن التعايش معه وهكذا تختزل القضية من صراع على الوجود إلى نزاع على الحدود (2). ونقرأ مصطلح «اسرائيل» عوضاً عن الكيان الصهيوني المصطنع بما يحمله هذا التعبير من دلالة ضمنية بشرعية اغتصاب الارض

(1) - انظر مجلة الحرية - عدد تموز - 1989

(2) - انظر مجلة الهدف - عدد حزيران 1990 .

العريّة الفلسطينية أما القضية الفلسطينية فقد اختزلت «بالصفة الغريبة» وغزة عوضاً عن الضفة العريّة الفلسطينية أما ما يسمى «بالمناطق» حسب زعم الصهاينة. إن محاولات اختراق العقل العربي واحتوائه قطعت مسافة بعيدة تحت مقولات «الحل الحضاري» و «العقلانية» و «المتغيرات الدولية» و «الواقعية السياسية» الخ فلهزيمة تكمن جذورها في الايديولوجيا التي نعتق والتي تبدأ من الفكر والتصور والثقافة، الأمر الذي يطرح على كل القوى الديمقراطية والثورية وكافة المؤسسات الوطنية والقومية التصدي لهذه الظاهرة الخبيثة واجتثاثها من تلافيف العقل العربي.

* * *

«اكل قطر جنوبه»

بعد أن نفذ الاستعماريون بقوة الحراب معاهدة سايكس - بيكو عام 1916 التي استهلكت تقسيم الوطن العربي جيوبوليتيكياً، أمنت الامبريالية الدولية لاحقاً في مخططاتها الخبيثة في تفجير كل قطر من الداخل عبر أدواتها وعمالها المحليين وذلك بواسطة توظيف حالة المجتمع العربي المتكون تاريخياً من قبائل وأتنيات قومية ودينية لم تندمج بعد بسبب غياب الدولة الحديثة العصرية. فاليمن الواحد قسمته إلى يمنين شمال وجنوب، الشمال عمل بكل الوسائل لاسقاط النظام في الجنوب «طبعاً قبل الوحدة» وقبل حرب التوحيد الدموية عام 1994. والجنوب قبل ذلك حملت قبائله يافطة ماركسية لاسقاط نظام الحكم المحافظ في الشمال. والجنوب نفسه خاضت قبائله الماركسية فيما بينها حرباً أغرقتهم بالدماء. السودان أسست بريطانيا لتقسيمه إلى شمال وجنوب منذ عهد بعيد وعزلت الجنوب عن تأثير الشمال بقوانين ظلمة. الجنوب يقاتل الشمال

بذريعة قومية وديمقراطية ودينية قتالاً وصل إلى حد الانفصال. لبنان القائم وجوده على التوازنات الطائفية يخوض حرباً أهلية منذ 15 عاماً، بالتيابة عن أطراف اقليمية ودولية تتصارع مصالحها على ساحته، فلم ينشطر إلى شمال وجنوب فقط، بل تنأثر جسمه إلى شطابا - الموارنة شطران «عون - جمع» الشيعة فريقان متقاتلان «حزب الله - حركة امل». أما الطائفة الدرزية خاضت صراعات دموية تارة ضد الموارنة وتارة ضد الشيعة وتارة ضد السنة وما هو العراق يتمزق إلى شمال ووسط وجنوب. ويخطئ من يظن أن بقية الاقطار العربية في المشرق والمغرب لا يمكن أن تنتقل إليها عدوى الحروب الاهلية والانفصالية «على غرار ما يجري في مصر والجزائر من حروب داخلية بين السلطات والاسلاميين المتطرفين» فكل قطر عربي مرشح لاسباب عديدة أن يكون له جنوباً نازفاً.

إن تكسر المجتمع إلى كتل متحاربة مؤشر على حالة التأخر التي يتركس فيها المجتمع العربي. وهذا ما يجعلنا نؤكد أن بناء الدولة القومية الديمقراطية العصرية الواحدة يجب أن تأسس لحل واقعي لمسألة الوحدة العربية التي تنطوي على التنوع والتعددية في داخلها، والتي ستكون منابعها ومكوناتها بعدد الاديان والشعوب التي تعيش على أرضها من اسلام ونصارى ويهود واكراد وحركس وبربر وتركمان وآشوريين... الخ عند ذلك يتداخل النسيج الاجتماعي لأنه يحاك بالارادة الذاتية الحرة، عندها يصبح الولاء للدولة بدلاً من الولاء للطائفة أو القبيلة والولاء للوطن بدلاً من الولاء للأجنبي ويصبح ايثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة أمراً طبيعياً وعقلانياً.

* * *

«أركان الدولة وعناصر قوتها»

الدولة عبارة عن شخصية معنوية تكون تعبيراً عن أمة أو شعب لها أرض محددة وتمتلك السيادة النامة على مقدراتها. تقوم الدولة على دعائم ثلاثة «الأرض - الشعب - السيادة أو الحكومة».

أما عناصر قوة الدولة فهي ليست الأرض الواسعة ولا القيمة الرمزية والمعنوية للدولة ولا عدد السكان. فالدول كثيرة السكان قد تكون قوية كالولايات المتحدة الأمريكية، وقد تكون ضعيفة كالهند مثلاً نسبياً ولكن الدولة تمتلك من القوة ما يجعلها قادرة على فرض هيبتها في عالم لا يعترف إلى بالأقوياء، وحتى ولو امتلكت الدولة اقتصاداً قوياً فإن هذا في معظم الأحيان لا يكفي لبناء قوتها. إن عوامل قوة الدولة مشروطة بمسالتين.

1 - وحدة المجتمع الداخلية وحماية هويته من التآكل والمحافظة على الشخصية الوطنية من الانقسام، وهذا الشرط لا يتحقق إلا عبر ثورة قومية ديمقراطية ذات آفاق اشتراكية. لبنان شاهد على ذلك لأن التكسر المجتمعي الداخلي سرعان ما يدفع إلى انهيار الدولة.

2 - التجدد الحضاري ومواكبة العصر، فالإبداع والخلق والتجديد والحضور يحول الثقافة والأرض وكل ما هو معنوي إلى قوة مادية وازنة وفاعلة بعوض عن القصور والتقص في أي عامل أو عنصر من العناصر. إن قوة الدولة في النتيجة هي محصلة لجهد الإنسان وعطاءاته وقدرته على الخلق والتجديد ومواكبة حركة التاريخ. إن

الخلق والابداع مرتبط إلى حد بعيد بما يتاح من حرية للفرد والمجتمع. وقد يقال إن تقدماً ما حصل داخل دولة الاستبداد والديكتاتورية عبر التاريخ وبنيت دول مرهوبة الجانب، لكن التاريخ يشهد أن هذه الدول التي بنتها الديكتاتوريات مؤقتة وعرضة للانهار.

إلا الابداع والتجديد الحقيقيين لا يتم في ظل الطغيان بل في ظل الحرية والديمقراطية . والحرية ليست إلا الاعتراف بالانسان كقيمة سامية شمولية في الحياة.

* * *

«اشكالية وجود الدولة العربية»

الذي يدرس حياة المجتمع العربي يلمس أن أهم مظاهره هو فقدان الدولة - دولة الشرعية - أي دولة المؤسسات. فنحن في الوطن العربي لدينا سلطات قهر قائمة بقوة الحراب - حراب الأمن والجيش لقمع الشعب.. ويجب التفريق بين السلطة وبين الدولة، فالقدرة على التسلط والطغيان لا تعني أن الدولة موجودة. الدولة كمؤسسة لها أهداف ووظائف محددة في حياة المجتمع، وأن سيرورة التاريخ العربي تشهد أن القيم والتقاليد الموجودة في المجتمع العربي هي تقاليد امتهان وتسلط على الانسان ترجع خلقيتها إلى أيام الجاهلية. وليس من مثال أدل على فقدان الدولة من حالة تكسر المجتمع وتذرره ولجوء الافراد والجماعات عند الازمات إلى الاحتماء بالعشيرة والطائفة. بهذا المنطق الدولة تساوي السلطة والسلطة تساوي التحكم والزجر والاضغاع وممارستها واحتكارها من قبل فرد واحد هي احدى السمات الماثلة في حياتنا العربية.

إن اشكالية وجود الدولة في المجتمع العربي معقدة لها وجوه عديدة وهي قائمة

رغم إرادة الشعب وبدون سند شرعي، ولذلك نرى الانظمة القائمة تمعن بالقمع والارهاب، فضلاً عن أن مصادرة الشرعية في المجتمعات العربية ليست متبلورة نظراً لكثرة الكيانات القطرية والاقليمية اضافة إلى أن هناك جماعات وتيارات تدعو إلى وحدة اسلامية بدلاً عن الوحدة العربية.

إن النقطة المحورية لوجود الدولة هي وظيفتها، حيث أن الغاية من انشاء الدولة بصورتها المؤسسية هي ايجاد النواظم والضوابط داخل المجتمع لكبح جماح هيمنة طبقة أو فئة اجتماعية على مقدرات المجتمع وخلق توازن سلطات مدنية لا علاقة لها باعتباريات طائفية أو عشائرية، سلطات يمارس فيها الافراد والجماعات دوراً عقلائياً مدنياً وسياسياً بغض النظر عن انتماءاتهم الفئوية والقبلية وتعمل على التطور الاجتماعي لأن مقدمات التطور تأتي عن طريق الدولة، عن طريق تحديث المؤسسات وينتج عن تحديث الافراد وتحديث السلوك وبالتالي إلى تطور المجتمع وإلى تطور اقتصادي... الخ إن الدولة العربية كمؤسسات تمثيلية وإدارية لا تنهج بخط التطور الاجتماعي، فهكذا دراسة أهم وظيفة تقوم بها هي المحافظة على الوضع القائم، لذلك تحافظ على التقاليد القديمة من أجل الحفاظ على وجودها واستمراريتها، والمحافظة على التقاليد والقيم تتحول على وجودها واستمراريتها، والمحافظة على التقاليد والقيم وتتحول مع مرور الوقت إلى عنصر قمع للأفراد وسحق للمعارضة كتنظيم اجتماعي إذ لا يوجد استقلال مؤسسي عن شخص الحاكم.

إن العدل والظلم في سيرورتنا التاريخية مرتبطين بأشخاص الحكام لا بمؤسسات الدولة. الشعب ينظر إلى الدولة وكأنها نازلة قدسية، واقصى ما يطلبه منها الرأفة والرحمة، لذلك عملياً يرغب الناس في النأي عن كل ما يمت إلى الدولة بصلة. إن الدولة القطرية اليوم رغم مظاهر العصرية الشكلية التي ليست لها لم تستطع أن تكون

الدولة/ الأمة أي دولة الأمة التشريعية/ دولة المؤسسات لأن الأمة هي مصدر كل شرعية، فهي أشبه بدولة السلطان أو دولة الخليفة أو دولة الأمير، وكثيراً ما يتخذ هذا الحاكم وجه حزب أو فئة أو قبيلة.

إن الدولة بمعناها الحديث والعصري لم تجد لها مكاناً لا في القاموس العربي ولا في الخطاب العربي إلا في سياق عصر النهضة. فالدولة في معاجمتنا هي القوة الملحقمة بقبيلة ما من أجل الجباية والخراج والجزية.

* * *

«السيادة»

هي السلطة العليا بلا منازع، وهي أحد السمات التي تفتزن بالدولة فلا تذكر كلمة دولة إلا وتذكر السيادة، وهي بالتالي تمنح الدولة شرعية احتكار عناصر القوة ووسائلها، وحق استخدام القوة وتنفيذ القانون. وتقرض بالقوة الخضوع على جميع المواطنين.

وقد تعرض مفهوم السيادة للعديد من وجهات النظر التي بحثت فيه من قبل فقهاء قانون وعلماء سياسة، ولارتباط المفهوم بتطور الاسم وحركة الشعوب وتطلعاتها. ويعتبر كتاب «الجمهورية» الذي نشره المفكر الفرنسي «جان بودان» في سنة 1576 من طلائع الذين ناقشوا مفهوم السيادة، وانتهى إلى أن السيادة هي السلطة العليا المعترف بها والسيطرة على المواطنين والرعايا دون أي تقييد قانوني، إلا ما تفرضه قيود القوانين الطبيعية والشرائع السماوية. أما جروشيوس فقد حاول أن يستخدم فكرة السيادة كدعامة لتقوية السلطة السياسية مع تركيزها في يد الملك حتى يتمكن من

توحيد السلطة السياسية في الدولة. أما جان جاك روسو فقد وضع السيادة القطعية والاجتهادات في توضيح مفهوم السيادة لدى بعض فقهاء القانون والمفكرين أمثال هوبز - ولوك - وجون ستيوارت ميل - وجون أوستون - وهارولد لاسكي... الخ.

• خصائص السيادة :

للسيادة خمس خصائص هي:

- 1- الشمول: أي أنها تشمل حدودها الداخلية وتطبق على جميع المواطنين في الدولة ومن يقيم داخل إقليمها من أفراد ومنظمات ومؤسسات، باستثناء الدبلوماسيين والهيئات الدولية والشعارات.
- 2- مطلقة: بمعنى أن سيادة الدولة قطعية وليس هناك سلطة أعلى منها، أي هي الشرعية الأعلى التي لا تقف في طريقها حدود قانونية، عند ممارستها لسلطتها في التشريع وسن القوانين.
- 3- دائمة: بمعنى أنها باقية ودائمة ما بقيت الدولة، وأن مفعول السيادة مستمر وسار مهما تغير شكل المنظمات والمؤسسات الدستورية أو الحكومية أو الأشخاص.
- 4- عدم التجزئة: بمعنى عدم المشاركة أو التجزئة، أي لا يوجد في الدولة الواحدة سوى سيادة واحدة لا يمكن تجزئتها.
- 5- لا يمكن التنازل عن السيادة وإلا فقدت الدولة ذاتها وميرر وجودها وقد تعرضت نظرية السيادة للتنفيذ وأهم الانتقادات أن مبدأ السيادة يؤدي إلى تهديد حقوق الفرد وحرية نتيجة لتركيز الصلاحيات بيد الدولة - وإن السيادة ليست مصدرًا للقانون، فالقانون تعبير عن مجموعة من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية السائدة داخل المجتمع، وهي علاقات خارج مؤسسة الدولة، بل الدولة نفسها يجب أن تكون خاضعة للقانون الذي يحمي الأفراد. وقد رأى بعض المفكرين أن نماذج

الدولة الفيدرالية وما يستتبعه من تقسيم الصلاحيات بشكل مثلاً على تجزئة السيادة. إن هذه الخلافات تبقى في إطار تفسير المفهوم. أما المتفق عليه أن الدولة هي السلطة النهائية المسيطرة على كل شيء فوق أراضيها. وفي المجال الخارجي فإن السيادة تعني عدم التبعية والارتباط والمساواة المعنوية^{**}.

«الصراع الدولي»

الصراع الدولي في جوهره هو تنازع بين الارادات الوطنية للدول، وهو التنازع الذي يتولد من التناقض في دوافع الدول واغراضها وتعارض أهدافها وتطلعاتها وتصوراتها وتفاوت طاقاتها ومواردها وامكانياتها، مما يدفع الدول إلى انتهاج سياسات خارجية ساخنة فيما بينها ولكن يظل الصراع بكل مستوياته وتطورات التصعيدية مرحلة سابقة في العلاقات الدولية على ظاهرة الحرب المسلحة⁽¹⁾. ومن أهم مسببات الصراع حقائق عامة في مجالات التعامل الدولي بصوره العديدة مثل محاولات السيطرة أو التوسع أو التحالفات الدولية بمضاعفاتها النفسية والأمنية، ومشكلات التسلح والضعف التنظيمي الدولي العام، والتوزيع الدولي غير

^{**} في تعريف السيادة استخدمنا:

1- القاموس السياسي ص 310 وما بعد - «معجم الشريعة العلمية»

2- مبادئ التنظيم الدولي / د. عبد العزيز سرحان - القاهرة 1976، ص 58.

(1) - نظريات السياسة الدولية - اسماعيل صبري مقلد - منشورات ذات السلاسل - الكويت 1987 - ص 263 - 264

المتوازن للسكان والموارد والتطرف القومي وتعارض المصالح التجارية وسيطرة الشعور الجماعي بالذات، واستبعاد القيم الانسانية من مجالات التعامل الدولي.⁽¹⁾

والصراع الدولي في شتى مظاهره سمة أساسية ودائمة من سمات النظام الدولي القائم على السيادة القومية المتعددة وعدم وجود سلطة مركزية عالمية الزامية بحيث تصبح كل دولة هي الحارس لمصالحها وأمنها بقوتها الذاتية.

والصراعات الدولية تتصاعد من الشكوك المتبادلة بين الدول والتي تتفاقم في تطورها إلى مشاعر عنائية عامة متطرفة متبادلة فيما بين المتصارعين. إذاً الصراع ظاهرة طبيعية ثابتة الكينونة في صميم المعاملات الدولية زماناً ومكاناً وموضوعاً، وإن اختلفت مظاهرها العملية وتنوعت طرائق التعبير عنها من عصر إلى آخر ومن دولة إلى أخرى ومن موقف إلى آخر.

«هيئة الأمم المتحدة»

هي من اكبر المنظمات الدولية وهي منظمة عالمية ابتكر اسمها الرئيس الامريكى روز فلت في عام 1942 عندما دعا الدول السيت تحارب المحور إلى توقيع اعلان عالمي اطلق عليه اسم «اعلان الأمم المتحدة»

صدر في اليوم الاول من ذلك العام فاجتمع مندوبو «26 دولة» تعاهدوا على المضي في الحرب إلى أن يتم النصر على قوات المحور «المانيا - ايطاليا - اليابان» وعقد

(1) - النظرة السوفيتية الجديدة للصراع - دوتازلي معرض - الفكر الاستراتيجي/25 تموز 1988 ص 24-23 /

ممثلو الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا والصين اجتماعات متوالية استغرقت نحواً من ثلاثة اشهر في عام 1944 وتوصلوا في نهايتها إلى مؤتمر ضم ممثلي «50 دولة» اجتمعوا لتحقيق التنظيم الدولي في مدينة سان فرانسيسكو في الولايات المتحدة بين 25 نيسان و26 حزيران عام 1945 وللخروج بفكرة جديدة تحل محل عصبة الامم القديمة».

وقد ميز ميثاق الهيئة بين مجموعتين من الدول الاعضاء.
الاعضاء الاصليين وهي الدول التي اشتركت في مؤتمر سان فرانسيسكو عام 1942.

الاعضاء غير الاصليين وتتألف هذه المجموعة من الدول التي انتسبت إلى المنظمة الدولية بعد تأسيسها عام 1945 أو ستنتسب إليها في المستقبل».
من أهم أهداف المنظمة صيانة حقوق الانسان... وهذا القرار صدر 1948 - حق تقرير المصير بالنسبة للشعوب - نزع السلاح - صيانة حقوق المرأة - قضايا اللاجئين - العناية بالاطفال... الخ.

أهم هيئات المنظمة - الجمعية العامة - ويطلق عليها البعض البرلمان العالمي. وهي تعقد دورات سنوية تناقش فيها جميع المواضيع التي تدرج في جدول أعمالها.
مجلس الأمن - وهو الجهاز التنفيذي للأمم المتحدة الذي يعهد إليه بالمسؤولية الاولى في صيانة الأمن والسلام الدوليين وتعرض عليه المسائل التي يحتمل أن تعرض السلم والأمن الدوليين للخطر...

ويتألف المجلس من خمسة أعضاء دائمين هم ممثلو «الصين - فرنسا - الاتحاد السوفيتي سابقاً بريطانيا - الولايات المتحدة الامريكية».

الأمانة العامة - «وتعتبر من الهيئات عظمى الرزن في المنظمة الدولية نظراً للأدوار

التي يضطلع بها الأمين العام والتي جرى التوسع في تأويلها لا سيما بالنسبة لسلطته التنفيذية. (1)

واليوم تسيطر الدول الامبريالية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية على هذه المنظمة الدولية وتضرب عرض الحائط قرارات هيئة الامم ومجلس الأمن وتخضعها لمشيئتها ومصالحها وهناك أمثلة صارخة على الاستهتار بالشرعية الدولية وخاصة القرارات 242 و 338 و 425 وهي القرارات التي تشجب احتلال اسرائيل للاراضي العربية وتطالبها بالانسحاب من الضفة الغربية والجولان وجنوب لبنان منذ عام 1967 وحتى اليوم دون طائل.

وكذلك اصرار أمريكا والصهيونية على قتل الشعب العراقي عبر محاصرته اقتصادياً بذريعة عدم تنفيذ قرارات مجلس الامن لتدمير اسلحته الهجومية.

* * *

«الفاتيكان»

الفاتيكان دولة محايدة تقع ضمن دولة ايطاليا مساحتها 2/1 كم وعدد أتباعها لا يتجاوز ألف نسمة يتكلمون اللغتين الايطالية واللاتينية، ويتخب البابا رئيساً لها مدى الحياة. تمتلك دولة الفاتيكان إدارتها ومؤسساتها الخاصة، ولها وسائل تعبيرها الخاصة

(1) - في تعريف الامم المتحدة استخدمنا عدة مصادر.

- قضايانا في الامم المتحدة - نخري حماد / ص 18

- الامم المتحدة وموازن القوى المتحولة - كميل داغر/ ص 9.

- القاموس السياسي - ص 302 وما بعده.

كالصحف (تصدر الفاتيكان صحيفتين) والاذاعة والتلفزيون.

تعتبر دولة الفاتيكان من حيث الحجم الشكلي من أصغر دول العالم، ولكن من حيث التأثير المعنوي تمتلك نفوذاً واسعاً على مئات الملايين من المسيحيين الكاثوليك في مختلف أنحاء العالم. ولها علاقات دبلوماسية مع العديد من دول العالم حيث يقيم في حاضرة الفاتيكان أكثر من خمسين سفيراً لدولة أجنبية يمثلون بلادهم لدى الفاتيكان:

«حركة عدم الانحياز»

كانت بعض البلدان الآسيوية والأفريقية ترى الانحياز الطريق الأسلم للانعقاد من الاستعمار القديم والجديد. وفي اجتماع بريوني وضعت الأسس لحركة عدم الانحياز. وبالفعل دعي إلى مؤتمر عقد في بلغراد عاصمة يوغسلافيا في أوائل أيلول 1961 واعتبر المؤتمر التأسيسي الأول لحركة عدم الانحياز وقد حضره وقتها الرئيس جمال عبد الناصر، رئيس الجمهورية العربية المتحدة. والرئيس جوزيف بروتس تيتو، رئيس جمهورية يوغسلافيا المتحدة. والرئيس جواهر لال نهرو - رئيس وزراء الهند ومندوبين عن 28 بلداً منها (25) كاملة العضوية. وأصبحت هي المؤسسة لهذه الحركة التاريخية. ولقد أصبح إعلان بلغراد في سنة 1961 المكون من خمسة مبادئ رئيسية هو حجر الزاوية لحركة عدم الانحياز في السنوات المقبلة وكانت هذه المبادئ الخمسة هي:

- 1- أن تتهج الدولة «المنظمة لحركة عدم الانحياز» سياسة مستقلة قائمة على تعايش الدول ذات النظم السياسية والاجتماعية المختلفة وعلى عدم الانحياز أو أن تظهر

اتجاهاً يؤيد هذه السياسة.

2- أن تؤيد الدولة غير المنحازة حركات الاستقلال الوطني.

3- ألا تكون الدولة غير المنحازة طرفاً في حلف عسكري، ثم في نطاق الصراع بين الدول الكبرى.

4- ألا تكون الدولة غير المنحازة طرفاً في اتفاقية ثنائية مع دولة كبرى.

5- يجب ألا تكون الدولة قد سمحت للدولة أجنبية بإقامة قواعد عسكرية في إقليمها بمحض إرادتها.

اهتمت حركة الانحياز بالموضوع السياسي وهو الاستقلال الوطني ومساعدة الشعوب الأخرى للتحرر من الاستعمار ومحاربة الانضمام إلى أحلاف تخدم مصالح الدول الكبرى. لكنها أغفلت بنفس الوقت متطلبات التحولات الاقتصادية المرجوة في هذه الاقطار. عقدت الحركة مؤتمرين في عقد الستينات. وخلال السبعينات وحتى آذار 1983 عقدت خمسة مؤتمرات قمة أخرى.

لقد قفز عدد الدول المشتركة في هذه المؤتمرات من 25 دولة في بداية الانطلاقة إلى مئة دولة ودولة في نيودلهي من قارات آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية. ولقد واجهت الحركة مجموعة من الصعوبات الداخلية والخارجية في هذه الفترة.

فقد غاب مؤسسيها واحد بعد الآخر. فقد وقعت أكثر من دولة من دول عدم الانحياز اتفاقات مع دول عظمى في هذا المعسكر أو ذاك وسمحت دول أخرى في الحركة أن تستخدم دولة عظمى جزء من أراضيها لأغراض عسكرية خاصة بتلك الدولة العظمى فضلاً عن عوامل أخرى جعلت فاعلية دول عدم الانحياز تدنى في الستينات من هذا القرن.*

* - انظر مجلة العربي / د. محمد الرميحي العدد 293 - نيسان 1983.

«منظمة الأوبك»

تأسست في أيلول 1960 في بغداد وضمت حتى عام 1975 «13 دولة». السنغورية - فنزويلا - ايران - الكويت - العراق - قطر - اندونيسيا - ليبيا - ابوظبي - الجزائر - نيجيريا - اكوادور - الغابون.

جاء تأسيس هذه المنظمة نتيجة لتنامي الوعي لدى البلدان المنتجة للنفط بضرورة تعزيز سيطرتها على شركات النفط العاملة في أراضيها، التي كانت تستخدم سياسة الاسعار صغوراً وهبوطاً كأداة ضغط ضد تحقيق هذه الدول رغبتها بتحقيق استقلال اقتصادي. كانت تلك الشركات قد بلغت درجة القوة اطلق معها عليها اسم «الشقيقات السبع» خمس منها أمريكية وواحدة بريطانية، وواحدة هولندية. كانت هذه الشركات تسيطر إلى وقت متأخر على 80٪ من الانتاج النفطي العالمي باستثناء أمريكا والدول الاشتراكية السابقة، وعلى أكثر من 70٪ من صناعة التكرير العالمية، وتمتلك أكثر من 50٪ من ناقلات النفط. تأسيساً على ذلك وضعت يدها على مصادر النفط باسعار رخيصة بمعدل 10 - 15 سنتاً للبرميل النفط الواحد في الشرق الاوسط، مقابل 55 سنتاً للبرميل في فنزويلا وأمريكا أواخر الخمسينات. وبالتوجيهات الاقتصادية للدول المنتجة وأنظمتها وحكامها. إن فشل الأوبك في السيطرة على الانتاج، وبالتالي في إيقاف تدهور الاسعار في نهاية الستينات الذي بلغ «1/8 دولار للبرميل»، وإن العلاقات المتباينة بين أعضائها واختلاف مستويات التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي بينهم، بالإضافة إلى خصوصية علاقة كل منهم بالدول المستهلكة للنفط في

الغرب لم تمنع المنظمة من أن تصبح المصدر الرئيسي. 58٪ من النفط المنتج في العالم غير الإشتراكي وأن يبلغ نصيبها 80٪ من الاحتياطيات المؤكدة للنفط و60٪ من إنتاجه و90٪ من صادراته إلى العالم الغربي. في السبعينات اجتدم الصراع داخل الاويك بين المطالبين بالتأميم الكلي لصناعة النفط والمطالبين بالمشاركة واعادة تقسيم الدخول، وكانت ليبيا قد طالبت بزيادة نسبة ضريبة الدخل حتى 55٪ وزيادة السعر. حاولت الدول الغربية التصدي لهج الاويك عن طريق تشكيل قوة ضغط سياسية في لندن لكنها لم تفلح كما يحاول الغرب تسخير خلافات الحدود والحروب الدينية والاثنية لخدمة مصالحه النفطية واستراتيجيته السياسية لاضعاف الاويك وشل حركتها. ومن الاسلحة التي شهرتها الدول الصناعية في وجه الاويك «انشاء الوكالة العالمية للطاقة» «IEA» ثم الاعتماد على المصادر الجديدة للنفط في بحر الشمال والاسكا والمكسيك والصين. في عام 1986 انخفض سعر البرميل إلى «15 دولار» و «10 دولار» في مرحلة ما. وسقف الإنتاج «16,4 مليون برميل» إلى جانب ذلك انقسمت الاويك محورين، محور بقيادة السعودية يتمتع بالأغلبية يدعو إلى اغراق السوق بالنفط مع ما يتبع ذلك من تدني للأسعار بهدف تركيع الدول المصدرة الأخرى الخارجة عن الاويك واجبارها على تخفيض إنتاجها. ومحور بقيادة ليبيا وايران والجزائر، يدعو إلى خفض الإنتاج لاويك والدفاع عن السعر الرسمي للبرميل الذي يبلغ «28 دولار». مما يفرغ السوق من النفط ويزيد الطلب ويساعد على تثبيت السعر الرسمي. لا ريب أن الغرب نجح في جعل تبعية البلدان المصدرة سلاحاً من أسلحته لاستعادة اشرافه على مسيرة الاسعار والإنتاج، ولمنع الاويك من تنفيذ استراتيجية موحدة قد تقوض ركائز النظام الاقتصادي السائد. هذا النجاح لم يكن ممكناً لو لم يستعمل الغرب وسائل أخرى لمحاصرة الاويك منها «وضع القيود على تصدير المنظمة لمنتجاتها النفطية المصنعة

«حواجز - رسوم جمركية - تصدير التضخم المستشري في البلدان الصناعية - وبيع السلع الغريبة بسعر يفوق 55٪ من مقدار المستوى العالمي - تدوير الدولارات النفطية عبر الشبكة القوية للمؤسسات النقدية في الغرب على قاعدة التشريع الوطني للدولة المستقبلية - دعم جهود الشركات النفطية الكبرى للاحتفاظ بسيطرتها على شبكات تسويق النفط الدائم بإمكانية تجنب الودائع والمعاملات الغريبة. (1) أجهزة الاعلام الغريبة عشية حرب تشرين 1973 صورت الاويك على أنها العدو الشرر للغرب لذا فإن هناك اجماعاً غريباً على التقليل من الاعتماد على نفط الاويك.

* * *

«جامعة الدول العربية»

كانت ولادة الجامعة العربية حصيلة لتفاعل مجموعة من العوامل المحلية والاقليمية، فلقد شهدت الساحة العالمية في أواخر الحرب العالمية الثانية نزوعاً ملحوظاً نحو انشاء التكتلات والتجمعات السياسية والاقتصادية والاقليمية منها والدولية، ولقد لقيت محاولة ايجاد تنظيم اقليمي عربي من قبل بريطانيا ومعظم الدول التي تهيمن على المنطقة، هذا من ناحية التأثير الخارجي، أما في الداخل فقد كان السعي حثيماً لاحتواء المد القومي العام والاحساس الوطني المحلي، والسعي لتغيير أساليب السيطرة الاستعمارية المباشرة مع الحفاظ على مضمونها الحقيقي، ومحاولة ايجاد قنوات جديدة لاحكام الارتباط مع دولة حديثة العهد بالاستقلال السياسي الشكلي.

(1) - انظر حكاية الغرب مع الاويك / د. عفيف ضاهر - مجلة الوحدة العدد 40 كانون الثاني 1988.

ونمت في الفترة من تموز 1943 إلى شباط 1944 عدد اجتماعات بين ممثلي الحكومات العربية المشرقية انتهت بتشكيل (اللجنة التحضيرية) التي تمثل سوريا ولبنان والأردن وفلسطين والعراق وتشترك السعودية واليمن في أعمال اللجنة بصفة مراقب.

واعدت هذه اللجنة الصيغة المتفق عليها للاطار الوحدوي المطروح.

ووقعت الوفود المشتركة في اطار اللجنة التحضيرية، على الوثيقة التي أعدتها اللجنة السياسية الفرعية، وذلك في 7 تشرين الأول 1944، وسميت الوثيقة «بروتوكول الاسكندرية» وتضمنت الاسس العامة التي تقام عليها «جامعة الدول العربية». وفي 19 آذار عام 1945، تم اقرار صيغة ميثاق الجامعة العربية، وأعقبت ذلك انعقاد المؤتمر العام في القاهرة، وصدق المؤتمر الميثاق رسمياً في 22 آذار 1945. ثم وقع مفوضي الملوك ورؤساء الدول الاعضاء على الميثاق المذكور. يتألف ميثاق جامعة الدول العربية من عشرين مادة أساسية وثلاث ملاحق خاصة تبحث هذه المواد في ما هية الجامعة واغراض الجامعة واهدافها ومظاهر نشاطاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية... الخ كما أنها تبحث في هيكلية الجامعة، وخصائص مجلس الجامعة وواجباته، وحق الحكومات الاعضاء في الاحتفاظ بشكل أنظمتها والعلاقات الثنائية بين الاعضاء، ووجود الأمانة العامة ومسؤولياتها وواجبات الأمين العام والمساعد وكبار الموظفين وحقوقهم... الخ أما الملاحق - الملحق الأول: هو خاص بفلسطين وبشرح قضيتها بشكل مقتضب. أما الملحق الثاني: فهو خاص بالتعاون مع البلاد العربية غير المشتركة في مجلس الجامعة - والملحق الثالث فهو خاص بتعيين الأمين العام للجامعة.

* أهداف الجامعة العربية واختصاصاتها:

بغض النظر عن الظروف والارتباطات التي دفعت إلى نشوئها فإن الجامعة طرحت جملة من المبادئ والأهداف الشكلية والظاهرية التي تعمل على تحقيقها

وحسب الميثاق جاء تأسيس الجامعة «تثبيتاً للعلاقات الوثيقة والروابط العديدة التي تربط بعض الدول العربية وحرصاً على دعم الروابط وتوطيدها على أساس احترام استقلال الدول العربية وسيادتها، وتوجيهها لجهودها لما فيه خير البلاد العربية وصالح أحوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانها واستجابة للرأي العام في جميع الاقطار العربية».

أما الهدف من وجود الجامعة هو «توثيق العلاقات بين الدول العربية المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقاً للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها، والنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها».

وقد حدد الميثاق اختصاصات الجامعة كالتالي:

- 1- التعاون بين البلدان العربية في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والقانونية والصحية.
- 2- كفالة الأمن والسلام وتنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة، وذلك بالتعاون مع الهيئات الدولية.
- 3- فض الخلافات بين الدول الاعضاء والتوسط بينها للحيلولة دون وقوع الحروب والمنازعات بيد أنه لا يجوز الالتجاء إلى القوة لفض الصراعات بين دولتين أو أكثر من دول الجامعة.
- 4- دفع الاعتداء عن الدول الاعضاء في الجامعة سواء من قبل عدو أو معتدي داخلي من ضمن الاعضاء.
- 5- ضمان احترام كل دولة من الدول المشتركة في الجامعة نظام الحكم القائم في دول

الجامعة الاخرى ودعم وجوده وبقائه. (1)

• العضوية:

تألفت الجامعة عند تأسيسها من سبعة أعضاء فقط زاد هذا الرقم إلى «22 عضواً» حتى عام 1977 حين وافق مجلس الجامعة على ضم «جيبوتي» لتكون العضو الـ «22» في الجامعة. ومن شروط العضوية - أن تكون الدولة العربية مستقلة - أن لا تلجأ دول الجامعة مع بعضها إلى القوة لفض خلافاتها - دفع كل عضوين نصيبه من ميزانية الجامعة - التزام الدولة العضوة بميثاق الجامعة.

إن قراءة موضوعية لبعض مواد ميثاق الجامعة تقدم لنا صورة عن تهافت كل المواثيق النظرية على الصعيد العملي والتطبيقي. فمعظم الدول العربية مستقلة شكلياً وخاضعة عملياً بصورة تبعية اقتصادية وبالتالي ارتهان سياسي للامبريالية العالمية. كما كرس الميثاق الاتجاهات القطرية التي رسمها الاستعمار في معاهدة سايكس - بيكو «حق كل دولة الاحتفاظ بنظام حكمها ولا يجوز لدولة أخرى المساس بسيادتها». فاصبحت كل دولة عالماً قائماً بذاته واصبح كل نظام يكيد لنظام الحكم الآخر ويعمل على اسقاطه. أما بنود الميثاق المتعلقة بالدفاع المشترك فلا تمتع باي احترام أو نصيب فعلي. فقد حظي عدوان عام 1956 على مصر من قبل فرنسا وبريطانيا واسرائيل بتأييد النظام العراقي آنذاك والحث عليه. كما غزت اسرائيل لبنان عام 1982 ولم يتحرك اي نظام عربي للدفاع عنه فعلياً. وها

(1) - كتب استخلصت في هذا التعريف:

- الدور الاقتصادي لجامعة الدول العربية / د. عبد المحسن زلزلة - مجلة المستقبل العربي . عدد 32 - 43 - 44 -

بيروت 1982

- مبادئ التنظيم الدولي / د. عبد العزيز سرحان - القاهرة 1976 - ص 54.

- نص اتفاقية الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي - اصلاار جامعة الدول العربية.

هي انتفاضة الشعب الفلسطيني داخل الأرض المحتلة لا تلقى أي تجاوب أو دعم من
الأنظمة العربية... الخ إن التجارب أثبتت أن الخلل الكبير ليس في الجامعة العربية فقط، وإنما
الخلل في الحياة السياسية العربية والارادة العربية. مع ذلك تبقى الجامعة العربية رمزاً لوحدة
الأمة وملاذها المعنوي عند الملهمات لذا تسعى الامبريالية بقيادة أمريكا واعداء العرب إلى
نسف الجامعة واستبدالها بتجميع دولي شرق أوسطي.
* * *

«العالم الثالث»

مصطلح سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي يقصد به الدلالة على الدول التي
لا تنتمي إلى العالمين الاول والثاني، وهما:
أ- الدول الصناعية الرأسمالية المتقدمة وهي - الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأوروبا
الغربية وأستراليا واليابان ونيوزيلندا.
ب - بلدان المنظومة الاشتراكية السابقة.
وكان أول من استخدم المصطلح «الفريد سوفي» في عام 1956 وأطلق التعبير
على غرار التعبير التاريخي الشهير «الطبقة الثالثة» وهي الطبقة التي كانت تضم الذين لا
يتمون إلى طبقتي النبلاء ورجال الدين.
وانتشر المصطلح بعد ذلك وبدأت محاولات جادة لوضع تعريف محدد
للمصطلح، فبينما يرى البعض أن دول العالم الثالث هي التي لم تستفد من ثورة القرن
التاسع عشر الصناعية أو ثورة القرن العشرين الاشتراكية، يرى البعض الآخر أن دول
العالم الثالث هي الدول النامية أو الآخذة في النمو، والدول المستقلة حديثاً والدول

المتخلفة. وبغض النظر عن التسميات فإن الدول التي يطلق عليها المصطلح تشترك جميعها في أنها تعاني من التخلف الاقتصادي. بمعناه العلمي كظاهرة شاملة من حيث «تخلف هياكل الإنتاج، وضعف القدرة على التصدير والاعتماد على الذات وتعظيم نسبة الواردات وسوء الإدارة... الخ».

وقد انتشر هذا المصطلح في الأدبيات المعاصرة ليوصف به مرقف أو ظاهرة تنتمي إلى هذا العالم. كما تشترك معظم دول العالم الثالث بتخلف البنى السياسية الذي يصبح أساسه في هيمنة أيديولوجيا تقليدية مفوتة تحول العمل والنشاط السياسي إلى هلوسات لا عقلانية، يضاف إلى ذلك تكسر صليبي في بنية المجتمع تنعكس سلباً في نقص الاندماج القومي وانقسام المجتمع انقساماً تناحرياً، عمودياً وأفقياً، وعزوف الجماهير الشعبية عن المشاركة في الشؤون العامة. لقد نجحت دول العالم الثالث في تحقيق تكتل أمام العالمين الأول والثاني بانخراطها في مجموعة عدم الانحياز سياسياً، وتكتلها في مؤتمر الأمم المتحدة الأول حول التجارة والتنمية الذي عقد عام 1964، فقد نجحت دول العالم الثالث في الوقوف في وجه الدول الغنية باعادة النظر في النظام الاقتصادي والدولي الذي يكرس تفوق دول الغرب ونهب ثروات العالم الثالث. يبلغ عدد دول العالم الثالث اليوم «111 بلداً»، بدأت هذه المجموعة تطرح قضايا وافكار رئيسية حول مشكلة العلاقة بين العالم المتقدم والعالم النامي وقضية نقل التقنية، واصلاح النظام النقدي العالمي. ومعظم هذه الدول مغرقة بالديون حيث بلغت مئآت المليارات من الدولارات. ورغم محاولات دول العالم الثالث لايجاد صيغة جديدة لشكل العلاقات بين الدول المتقدمة وبينها إلا أن مصالح الدول المتقدمة والاحتكارات العالمية ما زالت تسيطر على النظام الاقتصادي العالمي.

* * *

«حلف الستو»

أنشئ حلف الستو أو ما يسمى حلف بغداد عام 1955، بمشاركة دبلوماسية من جانب الولايات المتحدة الأمريكية، كان هذا الحلف عنصراً هاماً في التواجد العسكري الأمريكي في الشرق الاوسط.

كانت الدول المشاركة في الحلف هي - انكلترا - باكستان - باكستان - ايران - وتركيا. لم تدخل الولايات المتحدة الأمريكية رسمياً في هذا الحلف انطلاقاً من حساباتها حول المخاطر التي قد تترتب على تآزيم علاقاتها مع الدول العربية. لكن أمريكا دخلت في بلحيتيه العسكرية والاقتصادية، وكان هذا الامر مساوياً لاتضمامها إليه وتحملها المسؤوليات الكاملة للتحالف والمتمثلة قبل كل شيء في التصدي لحركات التحرر الوطني. كان الهدف الهام لهذا الحلف ضمان المواقف العسكرية لأمريكا في الشرق الاوسط الموجهة ضد «الاتحاد السوفيتي» قبل انهياره، استخدم الحلف، في نفس الوقت للتصدي لحركة التحرر الوطني والقومي في الوطن العربي، وللتدخل في الشؤون الداخلية، ولدعم الانظمة الرجعية، وحماية مصالح الاحتكارات النفطية. كانت الاقطار الاعضاء في الحلف مرتبطة بعضها ببعض الآخر بالتزامات حول التعاون المتبادل من أجل «الامن والدفاع».

فعلى اساس ذلك تم تسليح ايران وتركيا والباكستان. كانت تركيا حلقة هامة في حلف الستو وترك لها دور الحاجز» الذي يعزل الاتحاد السوفيتي عن التماس المباشر مع اقطار الشرق العربي، ودور الحارس الذي يراقب بوابات البحر الاسود والبحر

الابيض المتوسط من جهة الشرق. وعبر تركيا الداخلية في حلف الناتو جرى ربط خطط الستو العسكرية بخطط الناتو وكذلك استخدم الستو كدعم للجناح الجنوبي لحلف الاطلسي.

بوجه عام لم تتمكن أمريكا تحويل الستو إلى سلاح فعال للكولنيالية العسكرية. لم تستطع مثلاً جذب الاقطكار العربية كمصر وسوريا ولبنان.. الخ للمشاركة في هذا الحلف وقد واجه هذا الحلف حرباً اعلامية وسياسية بقيادة رئيس الجمهورية العربية المتحدة جمال عبد الناصر ، كما لم تتحقق كل حسابات واشنطن باستخدام الستو لخدمة مصالح الامبريالية من خلال حالات الصراع القائمة في المنطقة.(1)

* * *

«اليونسكو»

أنشئت في 4 تشرين الثاني سنة 1946م، وهي منظمة الامم المتحدة للثقافة والعلوم والتربية ومقرها في العاصمة الفرنسية باريس. أهداف اليونسكو «الاسهام في تحقيق السلام والأمن بتنمية التعارف بين الشعوب عن طريق التربية والعلوم والثقافة حتى يزداد الاحترام العالمي للعدالة وسيادة القانون وحقوق الانسان. والحريات الأساسية بلاميز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين ولا تفريق بين الرجال والنساء».

ولتحقيق هذه الاهداف «تتعاون منظمة اليونسكو في العالم على تقديم المعرفة

(1) - للتوسع - انظر - السياسة الامريكية في الشرق الاوسط في السبعينات - برر يسوف - دار دمشق - ص 134 - 136.

المشاركة وزيادة التفاهم بين الشعوب مستعينة بجميع وسائل الاتصال بين الجماهير كالكتب والدوريات والاذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح والمعرض والمتاحف كما تعمل على توحيد جهود العلماء والباحثين والفنانين ورجال التربية ومن أهدافها العمل على نشر التعليم الإلزامي ورفع الخبرات العلمية والتربوية وتدريب المعلمين». والمنظمة اليونسكو مقار إقليمية «في بيروت بالنسبة للشرق الأوسط» وفي المكسيك يمثل «مجموعة دول أمريكا اللاتينية عام 1951» والثالث بقرية سرس الليان المصرية وافتتح عام 1953 ويمثل مجموعة الدول العربية. وقد لعبت المنظمة دوراً مؤثراً في أعداد المناهج التربوية والعلمية الهادفة وتهيئة الكوادر المختصة في العلوم والثقافة.

* * *

«صندوق النقد الدولي»

ولد صندوق النقد الدولي عام 1944 بولاية نيوهامبشير الأمريكية، حيث اجتمعت «44 دولة» لوضع نظام مالي لعالم ما بعد الحرب العالمية الثانية. وأصبح لاتفاق بريتون وودز» بولاية نيوهامبشير تأثيراً أشمل وأبعد، فحددت أسعار العملات وظلت على ثباتها حتى سنة 1973. وأسس البنك الدولي لعقد قروض الائتماء الطويلة الأجل للبلدان الفقيرة في حين كان دور الصندوق توفير القروض القصيرة الأجل للبلدان التي يراوح ميزان مدفوعاتها بين مد وجزر. ولستوات حافظت قروض الصندوق على مستواها المتواضع، إلى أن هبطت أسعار النفط واستفحل الركود الاقتصادي العالمي، ولاح شبح التوقف عن الدفع، فكان الصندوق الجهاز الوحيد الذي استطاع المقرضون والمقرضون من خلاله إنجاز مخططات الانقاذ الطويلة الجمل، وتجاوب

الصندوق مع التطبيق لقواعد الصيرفة: يقدم بلد طلباً إلى صندوق اعتماد مالي يبلغ رأسماله 90 مليار دولار، تؤمن معظمها الدول الاعضاء وعددها 148 اضافة إلى 35 مليار أخرى يستطيع الصندوق طلبها واموال حسابات دفترية «مسماة حقوق سحب خاصة» تبلغ قيمتها 4,7 مليارات وتلتقي بعثة من الصندوق ممثلين للبلد الطالب القرض لمناقشة مشاكله وطرق حلها، وعلى البلد الرضوخ لشروط برنامج التقشف الذي يفرضه الصندوق ويحتد خلاف عاصف بين الصندوق وبين بلدان العالم الثالث حول التخفيضات التي تهدد بالتفجير.

ويقول أحد المسؤولين في الصندوق: «نحن نمنح القروض على أساس اتخاذ البلد اجراءات قد تتضمن خفض قيمة النقد، وخفض الأجور، ورفع الدعم عن بعض السلع وتقليص الاستيراد، وعندما لا يقبل البلد الأمر نوقف الدفع» وكان صندوق النقد الدولي أسس في الأصل لمساعدة البلدان التي تعاني من صعوبات في مواجهة الديون القصيرة الأجل.

وبرز الصندوق المتمركز في واشنطن كملجأ اجباري في وجه البلدان الغارقة في ديونها. فإذا لم تقبل هذه البلدان شروط الصندوق، توقفت المصارف الخاصة عن اقراضها. وهذا مكن الصندوق من نفوذ لم يسبق له مثيل. لقد تخطى دين العالم الثالث 895 مليار دولار أمريكي منها «507 مليارات» لمصارف خاصة. وتدين بلدان العالم الثالث بمعظمه إلى دائنين في أمريكا الشمالية وأوروبا واليابان*.

- النظر الدراسة القيمة عن صندوق النقد الدولي د. تاول عبد الهادي - مجلة الكويت العدد 85 - أيلول 1989.

«الضريبة»

عرف المجتمع الانساني الضريبة منذ فجر التاريخ، فمع أول تجمع بشري فرض
الاقوى امتيازاً ما لصالحه، ومع تعقد شكل الحياة وتطور شكل الامتياز فأصبح
حيناً حصصاً عينية من الانتاج، أو ساعات عمل بلا أجر أو نقود، بعد ما عرف عن
المجتمع الانساني النقود وشاع استعمالها، وبعد أن نشأت الدولة واستقر معناها
واستقرت، استمر فرض الضريبة حقاً مطلقاً للحاكم.. إذ كانت هذه الضرائب جزء
من دخل الحاكم، وكانت سلطة الحاكم مطلقة في تحديد الضريبة وكماً ونوعاً،
حتى استطاع البرلمان الانكليزي لأول مرة في تاريخ الفكر الانساني انتزاع حق الضريبة
من الملك، وقصر هذا الحق على البرلمان «ممثل الشعب» واستقرت عندئذ قاعدة
دستورية، وهي لا ضريبة بلا قانون، وأصبح فرض الضريبة محكوماً بقواعد وقوانين
واسباب. والضريبة ببساطة هي مبلغ من المال، محدد سلفاً وبشكل معلن وعام، يسدده
الممول إلى السلطة العامة، ممثلة في أحد أجهزتها التي تحددها هي، وتصبح بذلك هي
صاحبة الحق الوحيدة في تحصيل الضريبة، وتمثل مجموع الضرائب في مجتمع ما مورد من
الموارد السيادية للدولة «التي تحصلها أعمالاً بسيادتها» ويستخدم هذا المورد في تغطية
النفقات العامة للدولة ويقوم الممول بسداد الضريبة بصفته عضواً في المجتمع، وعليه أن
يساهم في النفقات العامة، دون النظر إلى حساب مدى الفائدة التي تعود عليه شخصياً.
والضريبة تنقسم إلى نوعين أساسيين هما: ضرائب مباشرة أو ضرائب غير
مباشرة. وتقرض الضرائب المباشرة على اجمالي الدخل العام للأفراد، أو على رأس المال.

اما الضرائب غير المباشرة فتأخذ أشكالاً كثيرة، مثل ضرائب الانتاج، وهي تمثل نسبة مئوية من تكلفة انتاج سلعة ما «كالسجائر» وهي تحصل عن كل ما تنتجه المؤسسة من هذه السلع التي يتحمل ثمنها المستهلك. إذ أن المنتج يقوم باضافة هذه الضريبة إلى ثمن البيع و رسم ضريبة الاستهلاك، أو ضريبة البيع، وهي التي تفرض على بيع السلطة أو شرائها، وتمثل في نسبة مئوية من الثمن، أو في الرسوم الجمركية... الخ وتختلف المدارس الاقتصادية والدول بالتالي في كيفية احتساب الضريبة، ومنشأ هذا الاختلاف هو تباين النظر إلى الوظيفة الاقتصادية والاجتماعية للضريبة، فالاقتصاديون الكلاسيكيون يرون أن الضريبة هي اسهام المواطنين في تمويل الخزانة العامة للدولة، لتمكنها من اداء بعض الخدمات، الاتجاهات الحديثة ترى أن الضرائب هي واحدة من أدوات الدولة في إعادة توزيع الدخل القومي. وهكذا تختلف وجهات النظر، وبالتالي يتباين الاسلوب الضريبي المتبع. ولكن النظم تتفق جميعها على أنه هناك، فيما يتعلق بضريبة الدخل - حد للاعضاء وهذا الحد ليس مطلقاً ولا موحداً كلما صغر الدخل.. ويتحدد هذا الحد وفق أسعار تكلفة المعيشة ونفقات الحياة في المتوسط العام للأسعار، وفي إطار شرائح الدخل.. فيقال مثلاً: إن ضريبة الدخل تحصل من الدخل التي تتراوح بين 1200 - 3000 دينار في العام بنسبة كذا.. فان معنى هذا أن كل الذين يتقاضون راتباً شهرياً مائة دينار فأقل يتمتعون باعفاء من ضريبة الدخل.. ومن هذه القاعدة العامة في الحساب الضريب تم استخلاص طريقة حساب ما يسمى بالضريبة التصاعدية وهي تعني زيادة معدل الضريبة، كلما ارتفع حجم الدخل الخاضع للضريبة. ومن الضرائب التي تطبق في معظم دول العالم بالاضافة إلى ما سبق، ما يعرف بضريبة التركات، وتستند هذه الضريبة إلى تبرير قانوني شرعه وزير مالية بريطانيا في عام 1894، إن الطبيعة لا تمنح الفرد على أمواله إلا حقاً مؤقتاً محدوداً بحياته، وتحصل غالبية

النظم الاقتصادية رسمياً يمثل نسبة مئوية من اجمالي تركة المتوفى، قبل أن يتم توزيع الأنصبة على الورثة، ويمثل هذا الخصم دين إمتياز، مثله مثل الشرائب العامة التي يكون المتوفى قد تأخر في سدادها، فتخصص من اجمالي التركة وفاء لحق الولة والمجتمع الذي عمل فيه، وأتاح له الفرصة للثراء.*
* * *

«الكوير ادور»

مصطلح اقتصادي سياسي، شاع استخدامه في الادبيات السياسية والاقتصادية خاصة في البلدان المستعمرة أو ذات التبعية للاستعمار، وهذا المصطلح ينطق به للدلالة على الرأسمالية الطفيلية ذات الطابع التجاري، والذيلية للرأسمال الأجنبي، وأول من أطلق هذا المصطلح «ماوتسي تونغ» ليصف به الصيني الممثل لشركة أجنبية عالمية في الصين، ثم شاع المصطلح بعد ذلك في أدبيات التنمية والتبعية، خاصة في كتابات مفكري أمريكا اللاتينية، وبعض الكتابات العربية، والرأسمالية الطفيلية أكثر ما تكون انتشاراً في البلدان النامية وهي رأسمالية يصعب تحويلها إلى رأسمالية منتجة، وذات ميل رجعية ومحافظة في موقفها من التطور الاجتماعي، كما أنها فئة تشغل موقع الوسيط أو السمسار بين الفئات الاجتماعية. ويتمثل نشاطها الرئيسي في أعمال التوكيلات والوساطة، وتمثيل الشركات الأجنبية. وتعود جذور هذه الشريحة إلى أثرياء الريف والمدن، ولها جذور في الجهاز البيروقراطي للدولة، أي الشريحة القادرة مادياً على تمويل عمليات الائتمان اللازمة لبدء عمليات الوساطة

* - انظر مجلة العربي - العدد 334 - أيلول 1986 - ص 122 - 123.

والسمنة، وتعد هذه الشريحة أهم عائق في تطوير أدوات وطاقات الإنتاج، لتعارض هذا التطور مع مصالحها المرتبطة بالشركات الأجنبية التي تهدف إلى هدم الصناعات الوطنية، وتحويل الدول النامية إلى مجرد مستورد تابع غير قادر على الاستقلال الاقتصادي.

أعمال هذه الشريحة تقصد المجتمعات بنشر قيم الاستهلاك الترفي، وقيم اجتماعية معوقة للعمل الإنتاجي، كما تسهم في تخريب الاقتصاد الوطني، بالمضاربة في العقار وتجارة العملة والتهرب، بالإضافة إلى أنها تظل مهما نمت وتضخم حجم استثماراتها مجرد تابع للرأسمالية العالمية بكل أهدافها.

«العملات الصعبة لماذا هي صعبة»

يعد الدولار الأمريكي والجنية الاسترليني والين الياباني والمارك الألماني وغيرها كثير، من العملات الصعبة، وذلك لأنه لا توجد قيود مفروضة على التعامل بهذه العملات الصعبة، واستبدالها بعملات أخرى خارج حدود بلادها، وبذلك فإن كل عملة حرة هي عملة صعبة. ولتوضيح ذلك يقول : إن العملات الحرة هي تلك العملات التي يتم التعامل بها رسمياً في عمليات الاستيراد دون الحاجة إلى اتفاقيات نقدية خاصة. وفي الغالب يكون مركز العملة ثابتاً في الأسواق نتيجة لثبات مركز غطاءها الذهبي أو الاقتصادي. أما عندما تفرض قيود على التعامل بعملة بلد ما في الخارج فإنها تصبح غير حرة، وهذا الإجراء تضطر إليه كثير من الدول النامية، لحماية

* استخدمنا قاموس العربي في معظم تعريف الكوميراندور - مجلة العربي عدد 329 نيسان 1986.

- كما استخدمنا معجم الشريعة العلمية لنفس الغرض.

نقدها من التدهور، نتيجة لاختلال ميزان مدفوعاتها، ولعوامل اقتصادية كثيرة أخرى. والمعروف أن العملات الحرة أو الصعبة لها أسواق دولية، أهمها في جنيف ونيويورك وسنغافورة وطوكيو، ويتجدد سعر هذه العملات يومياً في الاسواق، فهي بين هبوط وصعود دائماً نتيجة عوامل اقتصادية أو دولية تؤثر في اسواق المال. (1)

* * *

«الأزمة الاقتصادية»

مفهوم الأزمة الاقتصادية: إن المتفق في للبداية الاقتصادية أن مفهوم الأزمة الاقتصادية يتضمن حالة اختلال توازن بين حالتين متغيرتين هما:

- 1- التغيير الذي يطرأ على الإنتاج الذي يمثل العرض الكلي.
 - 2- التغيير الذي يطرأ على الاستهلاك أو التصريف الاتاجي والفردى الذي يمثل الطلب الكلى. وهو اختلال ينعكس ويظهر على صورة غلبة العرض وزيادته عن الطلب، أو ينعكس في شكل تقلص العرض أو عجزه عن تلبية الطلب.
- الحالة الاولى تحدث في الاقتصاديات السلعية، وفي الظروف العادية. ومن مظاهرها انخفاض الأسعار، وهبوط معدل ومستوى استغلال الطاقات الإنتاجية، وتخفيض عدد العمال أو تسريحهم. وهو وضع يعكس حالة الركود أو التقلص.
- أما الحالة الثانية فتعطي نتائج مخالفة للحالة الاولى، ويعبر عنها بحالة الانتعاش أو الرواج.

(1) - مجلة العربي - العدد 356 - ص 126 - 1988.

ويجب أن لا يفوتنا أن العثرات الاقتصادية الطارئة لا يمكن أن نطلق عليها اسم أزمة في ديناميكية التطور الاقتصادي والتنمية يمكن أن تحدث اختلالات توازنية مؤقتة .
بما الأزمة الاقتصادية تمثل حالة اختلال توازني مزمن نتيجة عاهة في البنية الاقتصادية.
ويجب أن نميز بين الأزمة الاقتصادية في البلدان الرأسمالية، وبين الأزمة الاقتصادية في بلدان العالم الثالث.

1- الأزمة الاقتصادية للرأسمالية لها طابع عام يشمل ككل جوانب العلاقات الرأسمالية: الاقتصاد وكيان الدولة والبنية الاجتماعية والسياسية والايديولوجيا. ولكن على الصعيد الاقتصادي الخاص هي أزمة أسلوب الإنتاج وأزمة بنيوية هيكلية ناتجة عن حالة الصراع الطبقي لاستغلالي الذي يتسم به النظام الرأسمالي. ومصدر الأزمة يحدث على صعيدين:

الأول: يدور حول توزيع الناتج الصافي بين طبقة العمال وطبقة الرأسماليين.
الثاني: يدور حول التنافس على الأرباح الذي يخلق تحاللات التضارب في قدرات الإنتاج بين الرأسماليين، ويشيع الفوضى وعدم الاستقرار في سوق السلع، الأمر الذي يؤدي إلى حدوث اهتزازات اجتماعية دورية تتمثل في الاضطرابات المتكررة، وتحدث أيضاً حالات الافراط في الإنتاج بشكل دوري.*

وتحاول الرأسمالية أن تعالج أزماتها الاقتصادية الأولى عبر تدخل الدولة - الثاني عبر تصريف هذه الازمات إلى العالم الثالث.

إن الأزمة الاقتصادية الرأسمالية الراهنة هو فائض الإنتاج على صعيد انتاج وسائل الانتاج أو على صعيد انتاج وسائل الاستهلاك.

* - للتوسع النظر - الأزمة الراهنة والوجه الآخر / د. هشام مهروسة / دراسات عربية العدد 3 - كانون الثاني 1988.

2- إن الأزمة الاقتصادية لبلدان العالم الثالث هي أزمة شاملة ويمكن تلخيصها بالتخلف وهي أزمة بنيوية تشمل مجالات عديدة سياسية واجتماعية واقتصادية. إن طابع الأزمة الاقتصادية لبلدان العالم الثالث هو عجز الانتاج في قطاع وسائل الانتاج وانتاج وسائل الاستهلاك في آن واحد. ويتمثل ذلك في أن عرض وسائل الانتاج أقل من الطلب الكلي عليها لأن البلدان المتخلفة تكاد لا تنتج في هذا القطاع إلا المواد الأولية، التي تصدرها إلى الخارج. بينما تتبع هذا الأخير في استيراد وسائل جميع وسائل الانتاج الأخرى، وعلى الأخص السلع الاستثمارية، فهي إذن بلدان عاجزة محلياً عن تغطية حاجاتها إلى المواد الانتاجية الضرورية للانتاج والتنمية، وهذا هو الشكل الأول لحالة عجز الانتاج. وكذلك عرض انتاج قطاع وسائل الاستهلاك أقل أيضاً من الطلب عليها. ويبدو ذلك من ضعف مستوى اشباع الحاجات الاستهلاكية في البلدان المتخلفة الذي ما زال أقل في الحد العادي بسبب ضعف وتيرة الاستثمار والنمو الديموغرافي السريع البالغ 3٪ سنوياً وما زال أكبر جزء من سكانها نحو 75٪ على الأقل يشكو من نقص التغذية.

* * *

«التاريخ الاقتصادي»

هو جزء من التاريخ العام. حسب المفهوم الماركسي. إن التاريخ الاقتصادي أو تاريخ الاقتصاد الوطني، تعبير عن العلوم الاجتماعية - الاقتصادية، وهو كما يدل عليه اسمه، علم يتعلق بكل من علم الاقتصاد وعلم التاريخ في آن واحد. إن النظر إلى التاريخ الاقتصادي كعلم تاريخي خاص يجعله يدرس تطور قوة

الانتاج في وحدتها الجدلية أيضاً مع علاقات الانتاج، انما في فترة معينة، وبالضبط في الملموس التاريخي، أي في بلد معين وفي اطار فترة تاريخية معينة وعبر تتابع الاحداث للفترة التاريخية المعنية.* (1)

ويتوجب اعطاء أهمية خاصة لملاحظة ماركس في رأس المال حول معنى وأهمية أدوات الانتاج من أجل وصف وتمييز المراحل التاريخية المختلفة للانتاج الاجتماعي «فالواقع كما يقول ماركس، إن المراحل الاقتصادية تتميز، ليس فقط بما ينتج، وبأية وسائط عمل. فوسائط العمل ليست مقياساً لتطور قوة عمل الانسان، انما أيضاً المؤشر لعلاقات الانتاج التي يجري في ظلها العمل المذكور».

* * *

«العلاقة الجدلية بين البنية التحتية والبنية الفوقية»

هناك علاقة متشابكة بين البنيتين التحتية «الاساس المادي» والفوقية «الأساس السياسي». وعلى الرغم من نسبية العامل الفوقي إلا أنه في البلدان المتخلفة يلعب الدور الحاسم في كبح عملية التغيير الثوري في هذه البلدان. ذلك أن البنية الفوقية أو السقف السياسي في هذه البلدان تقف عقبة أمام كل مساعي الاستقلال الاقتصادي، والتخلص من التبعية واطلاق سيرورة التنمية الوطنية والقضاء على التخلف. إن السقف السياسي متمثلاً ببقايا الاقطاع والبرجوازية المحلية المستغلة التي تقود الحلف الطبقي الرجعي الداخلي في بلدان العالم الثالث، هي العقبة الأولى والرئيسية

(1) - رأس المال - كارل ماركس - الجزء الأول - موسكو - 1955 - ص 187.

* - في مفهوم التاريخ الاقتصادي / د. عاطف علي - مجلة العربي عدد 2 - تموز - آب - 1978.

والسياسية التي تحول دون التحرر الاقتصادي من التخلف والتبعية للامبريالية. وهذه العقبة كما هو واضح، عقبة سياسية بالدرجة الأولى.
* * *

«الأمن الغذائي»

الأمن الغذائي هو قدرة مجتمع ما على تأمين غذائه ذاتياً، وتوفير الاحتياجات الأساسية منه بسواعد أبنائه وترايه لوطني. بشكل منظم وفعال عبر انتاج السلع وطنياً، وتوفير حصيلة تراكمية من مردود الصادرات لتوظيفها في استيراد ما يلزم لسد أي فجوة في الانتاج الغذائي الذاتي وبدون ضغوطات أو تهديد من أي قوة خارجية. فالغذاء ليس سلعة اقتصادية فحسب، بل هو سلعة سياسية، فالأمة التي لا تأكل مما تنتج سرف تقع بالتبعية الاقتصادية، وبالتالي يتهدد استقلالها ويصبح قرارها بيد الآخرين. نحن العرب مكشوفون غذائياً فلا يكاد انتاجنا الغذائي يسد نصف حاجتنا. فمصر مثلاً من بين كل خمسة أرغفة خبز تنتج رغيفاً واحداً والباقي مستورد وهذا ينطبق على معظم السلع الغذائية الأخرى فقد بلغ ما يصرفه العرب على غذائهم المستورد 40 مليار دولار سنة 1988. وسيرتفع هذا الرقم إلى أكثر من 120 مليار دولار في بداية القرن الحادي والعشرين وهذا يدل على ازدياد تبعيتنا للامبريالية وسلب الارادة العربية وارتهان قرارنا السياسي للدوائر الاقتصادية الغربية التي لا نمدنا بحبة قمح واحدة دون مقابل سياسي يتعلق بحريتنا واختيارنا، واخضاعنا للمشيمة الصهيونية والامبريالية. إن الثورة القومية الديمقراطية هي وحدها التي يمكن أن تحسر فجوة الأمن الغذائي وتتلافى عجزنا فيه.

«الاشتراكية»

لقد كتب لينين عند تحضير موضوعاته للمؤتمر العاشر في المسودة التي أعدها لنفسه «إن الاشتراكية هي نظام رأسمالي بدون برجوازية». وركز لينين دائماً على أن هناك شرطين لبدء تطبيق الانتقال إلى الاشتراكية هي:

1- التصنيع الاشتراكي ونشر التعاون في الريف.

2- الثورة الثقافية.

الاشتراكية نمط انتاج يترافق مع بنية فوقية متقدمة وحضارية ويتميز بعلاقات انتاج سلعية عادلة. إن الاشتراكية وجدت من أجل هدفين: حرية الانسان وسعادة الانسان وفي هذين الهدفين يكمن مثال الاشتراكية لكي تظهر أفضليتها على ما سبقها من التشكيلات الاجتماعية الاقتصادية.

النمط الاشتراكي للانتاج: يقضي أن تكون ملكية وسائل الانتاج بأيدي الشعب. وبزوال أو اضمحلال الملكية الخاصة.

حيث تزول الفوارق الطبقيّة بين أناس يملكون وسائل الانتاج وجماهير واسعة يسحقها الفقر لا تملك سوى قوة عملها. الاشتراكية هي نمط عصري ومتقدم من الحياة. إنها تمثل تنويعاً لأهم الفتوحات الحضارية التي أنجزتها البشرية، إنها مرحلة الانتقال إلى الشيوعية.

القانون الأساسي في الاشتراكية «كل انسان يأخذ حسب عمله» ويصبح العمل والانتاج هما القيم الأساسية للمجتمع الاشتراكي.

الاشتراكية هي انتاج عادل وتوزيع عادل. إنها نمط متقدم من المجتمعات المفتوحة على التضرور دائماً. المجتمعات التي تنفي استغلال الانسان للانسان وتعتبر الانسان محور الكون. الاشتراكية لا يمكن أن تنهض إلا على قاعدة اقتصادية متقدمة، وعلى خلفية ثقافية وسياسية وحضارية عصرية.

«في معظم بلدان العالم الثالث ومن ضمنه الوطن العربي، اختزلت الاشتراكية إلى تأميم أو اصلاح زراعي باجراءات فوقية بيروقراطية على أرضية تقليدية متأخرة». (1)

* * *

«العمل الاشتراكي»

العمل إرادة انسانية واعية ومنظمة. في ظل الاشتراكية يصبح العمل في المقام الأول حاجة إنسانية للجسم السليم من جهة، ووسيلة للحياة سواء بالنسبة للمجتمع ككل أو لافراده، في سياق العمل تبنى وتشكل قدرات الانسان الخلاقة وتأخذ طريقها نحو التضوج والتطور. إن العمل هو نشاط انساني يساعد على تفتح قدرة الانسان على الخلق والابداع. فتطوير كافة القوى والقدرات البشرية يشكل الهدف الحقيقي للعمل الاشتراكي.

أما صنع الخيرات المادية والروحية فليس إلا وسيلة لتحقيق هذا الهدف فالعمل يكف عن كونه أمراً تملية الضرورة القاسية أو الدوافع والاهداف الخارجية، وإنما يغدو

(1) - في المسألة القومية الديمقراطية - ياسين الحافظ - دار الطليعة - بيروت - 1981 - ص 59.

مضموناً ومحتوى لحياة الانسان. وهنا يغدو نشاط الانسان كلاً متكاملًا بطابعه، مما يتطلب التفتح الحر لكافة مواهبه واستعداداته الروحية والجسدية، ويفترض العمل الاشتراكي مسؤولية الفرد الاجتماعية والانضباط الطرعي، أي مستوى عالياً من التنظيم النابع عضوياً من مصالحه واهتماماته. أما المقدمة للموضوعية لتحول العمل إلى حاجة أولى فهي تبديل ظروف العمل المادية التكنيكية والاجتماعية، مما يؤدي إلى نمو هائل في انتاجية العمل وإلى تغيير مكانة الانسان في منظومة الانتاج. ومن هذه الظروف يأتي التطبيق الواسع لأرفع منجزات التكنيك المعاصر في كافة ميادين الانتاج، والتنظيم العلمي لكافة العمليات الانتاجية وتذليل الفوارق الهامة بين العمل الذهني والعمل الجسدي، وبين المدينة والريف، وزيادة وقت الفراغ...

إن للعمل فلسفته التي تتعدى تأمين الحاجات الاستهلاكية فقط، وهي الحاجة الإنسانية له، فقيمة الانسان لا ترقى ولا تسمو إلا به، والحياة لا تتطور إلا بما نبذعه ونضيفه. إليها من علم وعمل. بالعمل يتجدد الانسان ويتعمق وعيه ويتسع أفقه ويشعر بالوجود واستمرارية الحياة وديمومة التواصل والتفاعل بينه من جهة، وبين الطبيعة والمحيط الذي يحيط به من جهة أخرى.

* * *

«الاعترااب»

يقول هيجل «الاعترااب غربة عن الذات، ويطلق عليه استلاب، بفعل حالة السلب التي تظهر فيه على شكل عوز في الحضور الذاتي، كان الشخص المعترااب شخص مسلوب إلى آخر».

ويسوي هيغل بين الاغتراب والتموضع، إذ يرى أن الانسان يتموضع، أي يصبح موضوعاً، في نفس عملية تخارجه، إن «الاغتراب» برهنة سلبية ضرورية لانتشار العقل المؤلف للواقع، وإن السلب، والالم، والموت أشياء معقولة، لأنها أجزاء من المطلق، أي هي حقائق لا يمكن تعديلها. (1)

فالاغتراب أو الاستلاب هو مفهوم اقتصادي فضلاً عن أبعاده الفلسفية. لقد انطلق ماركس من مفهوم الاغتراب ليتتهي إلى حتمية الثورة البروليتارية من خلال انفصال كلي عن المجتمع البرجوازي، لكن انفصال البروليتاريا الذي أشار إليه ماركس لم يتحقق كلياً وبقيت العلاقة قائمة بين البروليتاريا والانتاجنسيا بصورة جدلية. أما الاغتراب الثقافي، فهو الايمان بنظرية أو مذهب جاهز من الناحية المجردة دون مطابقتها للواقع على الصعيد العملي المستهدف تغييره. هذا الاغتراب لا نعتقد أنه يحصل للمثقف الثوري الواعي قومياً وكونياً، والمدرّك لأهمية دوره في إحداث عملية التغيير الاجتماعي الذي ينطوي على تقديم فكر واقعي متطور. إن أخطر الاستلاب لم يعد أمام تفوق الآخر التقني والعسكري، بل أصبح يتصل بماهيم الذات، أي بالكينونة والهوية، أي بمقومات وجود الأمة، وتجسيدها القومي والسياسي بدولة واحدة. لقد أصبح الاستلاب ظاهرة ضمور وتدهور وانقراض الاغتراب انفصال وانغلاق وعزلة واجتلال توازن بين الذات والموضوع وعرقلة لعملية التقدم التي تتطلب الانفتاح والتفاعل مع المجتمع بهدف التغيير.

* * *

(1) - النظر فلسفة هيغل - لولتر ستيس - ترجمة عبد الفتاح إمام 1975.

«حركة الأنوار»

في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر كانت أوروبا قد ستمت الحكم الاستبدادي الذي كان يسودها في ذلك الحين على يد الملوك والنبلاء والقساوسة الذين حطموا روح الشعوب.

وحينئذ بدأ العلماء والفلاسفة في بث آراء جديدة عن دور الدولة وعن حق الانسان في عرض رأيه في مختلف شؤون الحكم.⁽¹⁾ وقد سميت هذه الحركة «حركة التنوير الاوروبية». وكانت الصفة الاساسية لها هي السعي من أجل تحرير العقل الانساني من القيود السابقة الخاصة بالايمان، ومن عبث الارث التقليدي الموجود، وجعل الحياة علمانية وحررة.⁽²⁾ وقد اعتبرت حركة التنوير الاوروبية أن العقل هو مضمون وغاية الانسان، وأنه الاداة الرئيسية لبلوغ الحقيقة، ومن أجل خلق مجتمع اصلاحي. وقد حارب دعاة فكر التنوير الاستبداد الخاص بمبادئ الكنيسة، وكل الاراء التي أثرت في ذلك العهد على الفكر الانساني، وحياة الفرد والجماعة والدولة، ونفثوا في نفوس وقلوب قرائهم حب الحرية. ومن هنا بدأت النزعة العقلانية تظهر وتنمو في القارة الاوروبية. وفي مواجهة الكنيسة والقطيعة معها، ومع مرور الزمن انسحب الدين من الحياة الاجتماعية وأصبح مجرد فكرة وجدانية ومشاعر شخصية. وأصبح الدين

(1) - تعظيم العقل - جورج لوكاش - ترجمة الياس مرقص - دار الحقيقة 1981 ج2/ص 11 وما بعدها.

(2) - الحضارة على مفترق الطرق - رادوفان ريشته - وزارة الثقافة والارشاد القومي - دمشق 1975. ص 23 وما بعدها.

الحديد العصري هو «العقل» و «المنطق» وكان أعظم رجال عصر الأنوار : - ديدور -
فولتير - جون لوك - جان جاك روسو وغيرهم.
* * *

«الفلسفة»

الفلسفة هي البحث في الوجود وماهية هذا الوجود وعلاقة الإنسان به من ناحية
التأثير والتأثير. كما هي من جهة أخرى البحث فيما وراء الوجود المادي والماتريائي.
وكلمة فلسفة يونانية تعني «محبة الحكمة» «في رسالة - ما هي الفلسفة، وهي محاضرة
لقاها هيدجر عام 1955 في شمال فرنسا، ثم نشرت عام 1956 - قال : «أن أفضل
سبيل إلى تعريف الفلسفة في نظره، هو مواجهتها من حيث صلتها بحياتنا...
إن كلمة فلسفة تدل على الرابطة التي بين الإنسان والعالم، بين الفكر والطبيعة... إن
«الموقف الفلسفي» في نظر هيدجر، موقف عقلائي، ولا ينبغي أن يكون عاطفياً، أو لا
معقولاً.

إن الفلسفة ثمرة العقل، ومن عمله، ونحن من خلال فعالية العقل نتعرف على طبيعة العقل،
والأجدر بنا بدلاً من الترسل في عقلائية الفلسفة أو المعرفة العقلية، أن نثين صلة الفلسفة بحياتنا. يقول
«برديايف» إلى أن «الفلسفة» كي تكون واقعية صادقة، فلا بد من أن تطلع عن صلب الوجود في
القوالب العقلية الجامدة، من أجل الرجوع إلى غيرتنا الوجودية نفسها، وتجاربنا الشخصية. إن
«الفلسفة» كما يقول «برديايف» لا يمكن أن تكون عضوية، أو نفسية، أو اجتماعية، وإنما هي
أولاً، وبالذات «أنثروبولوجية» أي إنسانية، بمعنى أنها تبحث في الإنسان، والمعنى، والمصير... إنها
معرفة الوجود من خلال الإنسان.

يذهب موريس «بلونديل» أن «الفلسفة» من طبيعتها إنسانية ليس بمعنى أن تأتي بالإنسان إلى مدرسة الفيلسوف ولكن بأن تأتي بالفيلسوف هو نفسه إنسان، فلا بد من أن تدخل حياته الخاصة والعامة في فلسفته. والفلسفة أيضاً استشفاف من مستقبل حاضر، يجعل منه حضوراً، به يتقدم السلوك، أو تقدم الممارسة النظرية والعملية، على حد تعبير ماركس⁽¹⁾ وأخيراً الفلسفة كتاب الوجود وعلاقة الإنسان الجذلية بهذا الوجود وحقيقة تأثر الإنسان بهذا الوجود والتأثير فيه في آن واحد.

* * *

«الأسطورة»

الأسطورة قصة خيالية محصنة في التصور عن الآلهة أو القوى الخارقة «ما وراء الطبيعة» تروي صفاتها وميزاتها في وجودها، أو في ارتباطها بعضها ببعض، يذكر الدكتور بديع الكسم أن جو سدروف في كتابه الأسطورة والميتافيزيقيا يؤكد على واقعة أن «الأسطورة» هي الحقيقة، بالنسبة إلى إنسان الفترة الأسطورية، وإن وظيفة الوعي الأسطوري هي غرس الإنسان في الطبيعة وكفالة وجوده المعرض للخطر، والشقاء والموت، وإن الأسطورة هي تبرير للموجودة تؤسس الزماني على اللازماني، كما تؤلف مبدأ لمعقولة كافية، بواسطة قبلية انطولوجية، أو حقيقة سابقة في القيمة. والأسطورة أيضاً هي التجلي الفكري الأولي للإنسان الذي استطاع بواسطتها تفسير الواقع وتهوينه أو تضخيمه، وهي الصورة التي تحتوي كل أفكار هذا الإنسان حول

(1) - انظر الفكر الوجودي غير مصطلحاته / عدنان بن ذريل - منشورات اتحاد الكتاب العرب - 1985 - ص 204.

الطبيعة وما وراء الطبيعة والمجتمع. وتعتبر الاسطورة فلسفة الانسان الأولي وان كانت فلسفته مثالية وغير علمية. والاسطورة في مفهومها البسيط، هي تجسيد لتصورات شعبية عن حادث أو شخصية في مرحلة تاريخية محددة، وهذه التصورات تأخذ حجماً تراكمياً مع مرور الزمن وترسخ في الذاكرة الشعبية ويتدخل الخيال الشعبي ليضيف عليها مبالغات ضخمة من صور الابداع والبطولات فتحوّلها من صفتها الواقعية إلى اللاواقعية.

والأسطورة تختلف عن التاريخ، فالاسطورة جامدة، ينما التاريخ حركة مستمرة.

* * *

«انطولوجيا = Ontologie»

معنى الكلمة الحرفي هو علم الوجود صنعها ونحت حروفها عقل أكاديمي في القرن الثامن عشر، وهي فرع من الفلسفة تبحث في واقع الوجود وتحليلاته بصورة موضوعية، أي كما هو واقع وموجود. والانطولوجيا موضوع موغل في القدم، وقد عبر عنه أرسطو طاليس وكان السكولاستيون يطلقون على هذا القسم الموضوعات المتعالية، أي هذه التحديدات الوجودية المشتركة بين الموجودات.

«وقد استعمل هذا المصطلح من جديد باسم «علم الوجود» وساعد على استعماله وابداع مرتكزاته «كلويرج» ثم استعمله ولف، ويعني هذا العلم بالتصنيفات المجردة أكثر مما يعني بتحسس الواقع الحسي. ويقول أنطون مقدسي: «إن مشكلة الأنطولوجيا، أو بالأحرى مشكلة الوجود قديمة قدم التفكير الفلسفي، وصاغها من

جديد هيغل منطقاً كلياً، إذ وحد بين الفكر والوجود. وتجاهلها «كارل ماركس» مع أنها قائمة في الأفق البعيد من فلسفته. إن «هيدجر» ثم «سارتر» حاولا بعث «الانطولوجيا» كذلك على أسس تتجاوز الأزمة اكانطية، وتعيد للفكر الفلسفي دوره في انشاء الحضارة.(1)

* * *

«يوتوبيا»

وتعني الطوباويين نسبة إلى الكلمة اليونانية «utopia» التي تعني مكاناً غير موجود. أول من استخدم هذا المصطلح العالم الانكليزي «توماس مور 1478 - 1535» في كتابه «عمل مثمر وممتع لأفضل دولة». وقد أطلقت الكلية على ما هو مستحيل التحقيق. والمعنى المقصود هو «المدينة الفاضلة» التي تخيل افلاطون اقامتها على الأرض. وقد تخيل توماس مور دولة تسود فيها الملكية العامة ويقوم فيها الانتاج على أساس الحرف، ويعيش الناس تحت إدارة ديمقراطية ويتمتعون بالسماواة لا فرق بين المدينة والريف أو بين العمل الذهني والعمل الجسدي. يعمل «6 ساعات» ويكرس الباقي للعلم والفن. ويجب دمج النظرية في العمل التطبيقي وهي تعني «العالم الآخر». واستمر البحث عن نظام اجتماعي مثالي، إذ أن فلاسفة القرن الثامن عشر مثل «فيلون» انطلقوا لاكتشاف المدينة المثالية بعد أن هجروا السياسة الوضعية. والتخيل باقامة مدينة فاضلة لم يقتصر على الاوروبيين فقد تخيل بعض العلماء

(1) - الانطولوجيا - مجلة العربي - عدد 23 / 4 شباط 1994.

العرب هذه المدينة الفاضلة ومنهم الفارابي وابن طفيل.

* * *

«الحياة»

الحياة هي الوجود الحي الواعي الفاعل على هذه الأرض والهدف من الحياة هو استمرار الجنس البشري وسعادة الانسان. وفي سبيل هذين الهدفين يناضل الانسان من أجل بناء عالم يسوده السلام وتحقق فيه العدالة.

والحياة لا تقاس بعدد السنين التي يعيشها الانسان، وإنما تقاس بما يقدم من عمل مفيد ذهني أو عضلي وما يبذل من عطاء وما يجترح من ابداعات واضافات جديدة خلال هذه السنين. فقد تمتد الحياة بانسان ما قرناً من الزمن دون أن يكون لوجوده أي معنى سوى الأخذ والاجترار والاستهلاك. بينما قد يعيش انسان آخر عمراً قصيراً لكنه حافل بالنضال والكفاح والانجازات الكبيرة والاعمال العظيمة التي تسدي خدمة جليلة للبشرية إن حياة بلا وعي، بلا هموم انسانية، بلا تفكير بالصالح العام والمشاركة في صنعه، بلا نضال وتضحيات وتعب وعطاء، هي حياة لا تستحق أن تذكر أو تعاش. وحين يكف الانسان عن البذل والعمل ودفع حركة التطور إلى الامام قدر استطاعته، يكون قد فارق الحياة الحقيقية ولو أن قلبه بقي ينبض بوجوده المادي اللا مجدي.

«الفن»

الفن ليس صوراً والواناً وخطوطاً شكلية، بل يجب أن تكون هذه بانسجامها تعبيراً عن معاناة الانسان ومعتقداته وقيمه ونظمه في بناء مجتمع أفضل تتجسد هذه التطلعات بأشكال فنية متعددة كالرسم والنحت والتصوير والعمارة وحتى الزخرفة التي تبعث في النفس التحفز للابداع والبهجة والأمل.

الفن كما عرفه ماركس «هو الذي يثير في النفس أقصى درجات الفرح». لينين وجه أعنف نقد للفن التجريدي عند بداية ظهوره لانتجائه غير الانساني. في معرض دولي بلوزان عام 1916 شاهد إحدى الصور تبثت فيها مجموعة من السيقان ورسخ وألوان مبشرة. وفي كلمات واضحة وموجزة مع كلارا زبكن قال «لا أستطيع أن اعتبر مؤلفات المدرسة الانطباعية والمستقبلية والتكعيبية وغيرها من المدارس المماثلة غاية العبقرية الفنية. إني لا أفهمها وهي لا تبعث في نفسي أي شعور بالفرح. والفن كما عرفه شلوفسكي «هو دراسة العالم، هو امكانية استيقاف الانسان بغية أن نفهم من هو، ماذا يرى وإلى أين يسير. في الفن ليس مهماً أن ثمة انسان ما، بل المهم أي إنسان هو». (1)

الفن ليس بمخافة الواقع أو عملية فرار منه، بل هو مواجهة الواقع ومحاولة تذليل صعوباته وبالتالي السيطرة عليه والتأثير فيه، بقصد التغلب على مشاكله وصعوباته. إن

(1) - الماركسية والأدب - دكتور غالي شكوي / ص 74 - 75.

الفن قدرة على احياء كل الطاقات الواقعية واستنفارها من أجل التقدم وهو مفتاح
كينونة تخزق الاشكالات كلها وإلا لما بقي من آثار الحضارات ينبيء عن عظمة
الانسانية وبقائها في عالم من الفناء المستمر».

الفن العظيم هو القادر عن التعبير عن روح الثورة.

يقول فيلسوف الجمال الماركسي «سدني فنكلنشىم» «إن الفن يستطيع أن يقوم
بأكبر دور فعال في تغيير العالم ويأجلال السلام على الأرض وتطوير الشعب تطويراً لا
حدود له، ذلك التطوير الذي سيجعل السلام ممكناً».(1)

* * *

«التخطيط»

التخطيط جهد إنساني جماعي واعي موجه ومخطط له سلفاً. يهدف إلى تحقيق
مصلحة مشتركة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية بوسائل علمية وفنية وتقنية
متعاضدة مترابطة. كذلك إرادة اجتماعية تنفذ وتتجسد عن طريق اسهامات عديدة
هادفة وعقلانية معروفة مسبقاً لدى تنفيذها.

إن ظروف التخطيط واساليه وشروطه وأدواته تختلف حسب المكان والزمان،
أي تختلف من دولة إلى دولة ومن مرحلة إلى مرحلة. إن للطلوب من التخطيط الانمائي
هو القضاء على الفوضى الاقتصادية والاجتماعية وإزالة أسباب الخلل في الإنتاج،
 وتحقيق التوازن في إعادة توزيع عوائد التنمية بحيث تستفيد منها الفئات المنتجة، كما أن

(1) - الواقعية في الفن - إصدار وزارة الثقافة السورية - دمشق.

المطلوب من التخطيط القضاء على الفروق بين الطبقات والفئات والشرائح الاجتماعية. إن التخطيط أسلوب علمي منظم قابل للمعرفة، بل نستطيع أن نقول إنه معروف لأن كل من يمتلك عقلانية أصبح بقدر أو آخر ينهج هذا الأسلوب في شؤونه الحياتية. أما انتهاج التخطيط في ميادين الانتاج والادارة والاعمال المتعددة الوظائف فقد أصبح أمراً شبه بديهي، بل روتينياً. وذلك لان الأسلوب العلمي هو «التخطيط» ولا يعني أكثر من ذلك، وطبعي أنه مع الاعتراف بالتخطيط كاسلوب علمي يحقق النجاح في كل المجالات، تختلف طبيعة الخطط وعناصر تنفيذها تبعاً لتغير المجالات التي تطبق فيها. (1)

وما دامت السياسة علماً فهي تخضع بشكل أو آخر للتخطيط فالأسلوب العلمي في العمل السياسي يتضمن عناصر ثلاثة لازمة متكاملة هي «النظرية - الاستراتيجية - التكتيك» تلك عناصر الأسلوب العلمي في العمل السياسي التي لا بد من توافرها لتحقيق العمل السياسي الناجح على سبيل المثال.

ولا بد من القول إن عملية التخطيط إرادة سياسية أيضاً لأن التخطيط الشامل شرط مبدئي نحو التقدم.

فالتخطيط برصلة العمل في الاتجاه الصحيح الذي لا يخطئ الهدف وان وقع الخطأ فان آثاره لا تكون كارثية كما يحصل في العديد من المشاريع العشوائية في بعض بلدان العالم المتخلف. إن حدوث الخطأ في اطار العمل المبرمج المحسوب أمر وارد لكنه ليس فاجعاً لأنه يمكن تحصره والسيطرة على مضاعفاته التي غالباً ما تكون هامشية وفرعية.

(1) - التخطيط - نزار فجار - 1984 - ص 20 - 30.

«سكان لبنان»

تعيش في لبنان «15 طائفة» مختلفة على مساحة «10452 كم2» وجاء في دراسة بقلم ايف كيراج وردت في كتاب «الوضع الديمغرافي في لبنان» أن عدد السكان المسلمين في لبنان عام 1975 بلغ مليون وخمسمائة وثلاثين ألف نسمة أي حوالي 60٪ من السكان. بينما بلغ عدد السكان المسيحيين مليون وعشرين ألف نسمة. واحتلت طائفة الشيعة التي تمثل 27٪ من السكان المركز الأول في قائمة توزيع السكان في لبنان. وتبعها طائفة السنة 26٪ ثم الروم الأرثوذكس 7٪ لكل منهما، ثم الروم الكاثوليك 5٪، ومسيحيون آخرون 5٪. ويقدر عدد سكان لبنان في الوقت الراهن ثلاثة ملايين ونصف المليون نسمة.

كما ترتفع نسبة الخصوبة بشكل واضح في مناطق الشيعة. وتعتبر الطائفة المارونية أفضل الطوائف توزيعاً في لبنان وإن كانت أكثر كثافة في المناطق الحضرية منها في المناطق الريفية.

«الموارنة»

المارونية ليست قومية كما تفهم القومية في العصر الحاضر، المارونية هي طائفة أو كنيسة مسيحية موجودة في لبنان وبعض أجزاء من فلسطين وسوريا وقبرص. ومشكلة الموارنة مشكلة هوية لو حدثت أغلبية مفكريهم وكتابهم فسرى أن كل

واحد منهم يتفرد برأيه. فقلة منهم تقول نحن عرب - وفئة أخرى تقول نحن فينيقيون - والبعض الآخر يقول نحن مسيحيون - والآخر يقول نحن مرده... الخ.

تاريخياً الموارنة آراميون قدماء تابعون للأمة الآرامية التي سميت فيما بعد بالسريانية، أي بعد دخول المسيحية إلى لبنان، وهم كانوا يتكلمون اللغة السريانية، وكنيستهم كنيسة مسيحية سريانية آرامية. ولغتهم الدينية لغة سريانية كما تدل على ذلك طقوسهم وشعائهم». الفينيقيون هم آراميون أيضاً وكلمة فينيقية هي صفة للاقوام الآرامية وقد أطلقها اليونان على بعض الآراميون الذين كانوا يتجشون الصباغ الأرجواني. والآراميون هم أقوام سامية مثل العرب والاكاديين والاشوريين كانت لهم دولة زمن النبي هي دولة آرام. وآرام كانت تشمل لبنان وفلسطين والاردن وشمال العراق وجنوب تركيا. ثم تفرق الآراميون مع الزمن. فقسم منهم تعرب وصار يتكلم العربية لغة الضاد، وقسم آخر ظل على آراميته مثال سكان معلولة قرب دمشق.

إن حقائق التاريخ تثبت أن الموارنة عرب منذ ما قبل الإسلام وبعده، والعروبة ليست عرقاً بل هي كامنة في تاريخهم وتراثهم ولغتهم وقدرهم»⁽¹⁾.

* * *

(1) - انظر مجلة المستقبل - عدد تموز - عام 1986 .

«المذهب الشيعي»

الشيعية فئة من المسلمين ناصرت آل بيت الرسول وعلى رأسهم علي بن أبي طالب وأولاده وتعصبت في تأييدهم وحققهم في إمامة المسلمين. وقاتلت في سبيل هذا الحق الأمويين والعباسيين. أسس الشيعة مذهبهم السياسي - الديني على القول بـ «الوصية» و «عصمة الإمام» و «وراثه النبوة» و «التقية».

يؤمن الشيعة «بالوصية» والوصية معناها أن الرسول (ص) أوصى لعلي بن أبي طالب من بعده.

ويؤمن الشيعة بالعصمة، أي عصمة آل بيت الرسول من الخطأ والقووع في الفساد وتمتد هذه العصمة إلى الأئمة، وتعتبر العصمة لديهم أحد أركان الإيمان. ويقول الشيعة بالتقية، أي الموافقة على أمر معين دون القناعة به والعمل سراً بخلافه.

ويقول الشيعة بوراثة النبوة الشيء الذي يستتبع مباشرة «الأحقية في وراثة الخلافة» يساوي «الحكم».

ولقد وجد الشيعة في «الهرمسية» المعين الذي لا ينضب الذي استمدوا منه فلسفتهم «النبوية» ولذا كانوا أول من تهرمس في الإسلام حسب عبارة ماسينيون. «فلقد بدأ تهرمس الشيعة في وقت مبكر «أوائل القرن الثاني - أواخر العصر الأموي» وبالخصوص مع الغلاة، الذين وظفوا أفكار هرمسية على نطاق واسع بما في ذلك فكرة «المعلم» التي تعادل فكرة الرصي أو الإمام، وفكرة التطهير والعرفان وفكرة الإله المتعالي ذاتها وإذا كان بعض

الغلاة قد استعملوا عبارات تفيد «التجسيم» في كلامهم عن الله، فلقد كان ذلك فقط من أجل نقل الألوهية أو بعض صفاتها إلى «الامام» ومعنى ذلك تأليه الامام بالمشاركة، والهدف مشاركة الامام بشكل ما في الألوهية، هو تقرير وتأكيد اتصاله المستمر بالله وتلقي «العلم» منه. وقد قال بهذا التجسيم المغيرة بن سعيد الجبلي مثلاً، وهذا التجسيم لم يكن تجسيمياً بالمعنى الحرفي للكلمة وإنما كان وسيلة لبيان واستمرار الوحي في أشخاص الائمة. إنه جعل لله أعضاء على عدد حروف الهجاء وهيئتها، فكأنه يريد أن يقول إن الوحي إنما هو نزول الله نفسه إلى النبي أو الامام، وإن كل كلمة يتلقاها إنما هي حلول يستمر باستمرار الوحي. لقد استكر الامام الشيعي الأكبر جعفر الصادق المتوفي سنة 148 هـ هذا الغلو، ويعتبر الامام جعفر الشخصية العلمية الشيعية التي اشتغلت أكثر من غيرها بتنظيم المذهب الشيعي ورفع الشبهات عنه. وهكذا لم يتردد في طرد أبي الخطاب أحد تلامذته ودعاته الكبار والبراءة منه حينما أخذ يظهر الغلو بشأنه وينسب إليه «علم الغيب» ويدعي في حقه حلول الاله فيه. ورغم أن جعفر الصادق استكر هذا الغلو إلا أنه لم ينف عنه ولا عن أئمة الشيعة «ورثة النبوة» أي الاستثارة بفهم حقيقة الدين «رباطن» القرآن، وبالتالي فهو لم يمس في شيء «العرفان» الشيعي بل أكد واضفى عليه فرعاً من المشروعية الدينية والاسلامية. لقد كان يرى للأئمة منزلة روحية سامية تقترب من منزلة النبوة إلا أنهم ليسوا أنبياء، ولا يحل لهم من النساء ما يحل للنبي، أما ما عدا ذلك فهم بمنزلة النبي نفسها (....) بل إن الكليني الذي ذكر هذا - يروي لنا أن الامامة حلقة في سلسلة النبوات في العالم كله» ناسباً هذا القول إلى الامام جعفر الصادق نفسه. وفي هذا المعنى يقول هنري كوربان الخبير بالفكر الشيعي «فكل الناس في الاسلام ينادون بأن دورة النبوة قد ختمت مع خاتم النبيين، أما في التشيع فإن ثمة دورة ثانية هي دورة الولاية (...) وفي الواقع (...)» فان ما ختم فعلاً بالنسبة للمؤلفين الشيعة ليس سوى النبوة التشريعية، أما النبوة يحصر المعنى

فتعني الحالة الروحية لمن كانوا يدعون فيما قبل الاسلام بالانبياء وتدعوهم الآن فصاعداً بالاولياء، والاسم وحده هو الذي تغير أما الشيء فباق. لقد كان جعفر الصادق يرى هذا الرأي مثله في ذلك مثل جميع الائمة الشيعيين، غير أنه كان يرى ضرورة التقييد بمبدأ «التقية» في هذه المسألة التي يعتبرها سرّاً من الأسرار التي لا يجوز التصريح بها خصوصاً الشيعة تحت رقابة خصومهم العباسيين ومنافسيهم أهل السنة. ويروي عنه أنه قال «وددت والله لو أنني اقتديت خصلتين في الشيعة لنا يعض لحم ساعدي «الترق وقلة الكتمان» وقال أيضاً «ليس من احتمال أمرنا التصديق له والقبول فقط، من احتمال أمرنا ستره وصيائته عن غير أهله». ومع جعفر الصادق تم تنظيم المذهب وصياغة أطروحاته صياغة نقية. وهنا نصادف شخصية قوية قامت بدور حاسم في هذا الشأن هي شخصية هشام بن الحكم ويذكر له ابن النديم عدداً كثيراً من الكتب منها ما هو في الامامة، ومنها ما هو في الرد على الزنادقة وأصحاب الاثني، ومنها كتاب في التوحيد وآخر في الرد على أصحاب الطوائع وكتاب على ارسطاطاليس في التوحيد وكتب أخرى بعضها في التدبير والميزان وهما من فروع صناعة الكيمياء.⁽¹⁾ إلى جانب هذا التنظيم على مستوى الفكر ومع هشام بن الحكم عرفت الحركة الشيعية تطوراً على مستوى التنظيم الحزبي السري على عهد المأمون ذاته، ويتعلق الامر أساساً بتطور الفرقة الخطائية وتحولها إلى الفرقة الاسماعيلية، وبالتالي ظهور الباطنية.⁽²⁾

لقد كانت الشيعة الباطنية خصماً عنيداً للمأمون الخليفة العباسي، فقام بينهما صراع ايدولوجيا سياسياً استعمل الموروث القديم له كسلاح. فبينما لجأت الشيعة إلى الغنوص، إلى (العقل المستقيل) لتأكيد استمرارية الوحي في أئمتهم وبالتالي تأكيد

(1) - تكوين العقل العربي - محمد عابد الجابري - مركز دراسات الوحدة العربية / ص 220 - 249

(2) - الحركات السرية في الاسلام رؤية عصرية - د/ محمود اسماعيل - دار القلم - بيروت - لبنان - ص 67 وما بعدها.

أحقيتهم في الإمامة وقيادة المسلمين دينياً وسياسياً، استعان المأمون بالعقل الكوني «اليوناني» ليعزز جانب المعقول الديني العربي كما قرره العقل المعتزلي وكرسه الواقع السياسي. (1)

أما السنة فيعتبرون الإمامة مسألة اجتهادية. يجوز فيها الخطأ والصواب وبالتالي ليست من أركان الإيمان.

السنة يؤمنون أن الحكم شورى في الإسلام وأن ولاية الإمام أو الفقيه على المسلمين شكلاً صارخاً للصداقة وأن خطبة الرسول في حجة الوداع التي سمعها «100 ألف مسلم» لم يوصى في خطبته للأمام من بعده وإلا لما تنادوا فور وفاته إلى انتخاب خليفة ومن المستحيل تكفير الجميع إذ هم عادوا فانتخبوا الإمام علي خليفة عليهم ورضي هو بذلك.

وأخيراً يعتبر الشيعة المسلمين السنة فقط، مسلمين لا مؤمنين وبالتالي يمكن قتالهم. وكان هذا الاعتقاد من جانب الشيعة سبباً رئيسياً لاستمرار الحرب بين إيران والعراق لمدة 8 سنوات رغم كل الوساطات التي قامت بها هيئات ودول إسلامية لاختتام نيران هذه الحرب المدمرة.

* * *

(1) - تكوين العقل العربي - مصادر سابق / ص 220 - 249.

«الخوارج»

الخوارج حزب سياسي ولد في جوف الفتنة الكبرى بعد مصرع الخليفة عثمان بن عفان، وانقسام المسلمين إلى شيع وأحزاب متنابهة، وارتبط قيام الحزب بقضية التحكيم بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان. وكان الخوارج من أنصار علي وشيعته المخلصين، وقد خرجوا عليه لرفض استمرار القتال في صفين وقبول ضغوط الغالية من جنده الذين رغبوا في وقف القتال لما رفع جيش الشام المصاحف على رؤوس الرماح. ينتمي معظم الخوارج إلى قبيلة تميم التي هجرت الصحراء واستوطنت الكوفة والبصرة وأسهمت بدور هام في الثورة على عثمان حين نكص عن سياسة أبي بكر وعمر وخالف إنسانية الإسلام وعدالته، وسلم رقاب المسلمين لاستبداد «ارستقراطية ثيوقراطية قرشية» استولت أموال المسلمين وثروات البلاد المفتوحة، مما أثار حفيظة القبائل الأخرى، فكان عثمان في سياسته سبباً في إيقاظ الصراعات القبلية الجاهلية خاصة بين بني هاشم وبني أمية، وانتهى الأمر بمقتل عثمان، وأصبح الثوار في جميع الأمصار الإسلامية، عرب الأمصار من غير قريش على مبايعة علي ووقفوا ضد بني سفيان الذين يمثلون الارستقراطية بقيادة معاوية. من هنا يبدو الخوارج فئة سياسية جاءت تعبيراً عن وضع اجتماعي اقتصادي إكتسى لبوساً دينياً، ولم تكن قضية الإمامة أكثر من مفجر لتلك التناقضات المادية فالخوارج ليسوا جماعة دينية فقط، بل حزب سياسي له مضامين اجتماعية حيث الرابطة بين الدين والدولة مرتبطة بعري وثيقة في العصور الوسطى. وكان فكرهم السياسي تجسيداً لكل الفئات

الساخطة على الخلافة. ورفض الخوارج ادعاءات السنة حق الامامة على قريش، أو جعلها حكراً على آل البيت وحدهم كما يزعم الشيعة، بل رأى الخوارج أن الامامة حق يمكن أن يصل إليه أي مسلم بغض النظر عن نسبه أو عرقه، لذلك كان الخوارج أقرب إلى الديمقراطية بين الفرق الإسلامية الأخرى.

لقد تعصب الخوارج للدين والتزموا بالقرآن والسنة دون تأويل ومعتقدهم وسم خطهم بالتطرف وتفجير الثورات.

فقد ثاروا على علي بن أبي طالب وتكررت غاراتهم على البصرة والكوفة إضافة إلى ثوراتهم في الولايات الشرقية، وقد بطش علي بكل حركات الخوارج وهذا ما يفسر سبب قتل الخوارج لعلي في 17 رمضان «سنة 40هـ» على يد عبد الرحمن بن ملجم. واستمرت ثورات الخوارج ضد الأمويين في الحجاز والعراق، لكن الأمويين من أمثال الحجاج الثقفي وعبد الله بن زياد مارسوا سياسة إبادة ضد الخوارج مما أدى إلى إضعافهم واختفائهم عن مسرح الأحداث. ومما فت في عضد الخوارج انشقاقهم إلى فرق متكيدة.

ولجأوا للعمل السري في الاطراف بعيداً عن مركز الخلافة، لكن المحن لاحقتهم فعلى سبيل المثال أحرق الفاطميون الشيعة مكبات ودواوين الخوارج، في المغرب ولم يبق من تراثهم إلا القليل. ونتيجة لضعفهم مالوا إلى العمل السري واطلوعوا عن التطرف الممثل بالأزارقة والنجدات - نسبة إلى نافع الأزرق - نسبة إلى نجدة بن عامر - واطلوعوا على معتقدات الصفورية نسبة إلى زعيمهم زياد بن الأزرق - والأباضية نسبة إلى عبد الله بن أباضي المعتدلين. وقد أجهز الشيعة على كافة المصادر الصفورية بعد سحق دولتهم التي أقاموها في المغرب وتم ذلك حوالي سنة (297 هـ).

ونكل الشيعة بالصفورية بعد فتح عاصمتهم سجلماسة واختفى من بقي منهم في

أصقاع المغرب المختلفة، وانظم مذهبهم إلى غير رجعة. أما الإباضية فكان مركز دعوتهم البصرة ومنها يوفد الدعاة بعد تدريبهم في إطار تنظيم شديد السرية، وقد تسلسل الدعاة الإباضية إلى خراسان والجزيرة العربية وبلاد المغرب. ونجح الإباضية في عمان وحضرموت وتمكنوا من إقامة دولة وفتح اليمن ثم تابعوا الزحف إلى الحجاز، لكن الجيوش الأموية أرغمتهم على الانسحاب وعادوا إلى عمان وحضرموت. ومن دولتهم في عمان هاجرت مجموعات إباضية إلى شرق إفريقية كان لها شأن في نشر الاسلام بين سكانها. إن تعصب بني أمية للعرب والتفرقة بينهم وبين البربر سكان البلاد الاضليين في المغرب واعتبارهم موالي واثقاً لهم بالضرائب وعدم اسقاط الجزية عنهم رغم اسلامهم، مهد السبيل لانتشار دعوة الخوارج.

وبدأ الاعداد للثورة بالتنسيق مع مركز الدعوة الام في البصرة ولقد تأخرت الدعوة الإباضية لأن نشاطهم جرى في بلاد المغرب الادنى القريبة من مصر مما سهل مهمة جيوش الخلافة الأموية البطش بأي حركة للأباضية.

وحانت فرصة الثورة بسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية في البصرة 132 هـ . وبالاتفاق مع شيوخ القبائل هاجمت جيوش الإباضية طرابلس واستولوا عليها، ومن طرابلس توجهت جيوش الإباضية إلى القيروان واستولت عليها، لكن سقوط القيروان كان قمة الكارثة للإباضية حيث أنزلت بهم الخلافة في مصر ضربة شبه قاتلة. فعادوا من جديد للعمل السري بعد مصرع أبي طالب قائد الثورة. ونجح الإباضية في إقامة دولة إباضية في المغرب الاوسط بقيادة عبد الرحمن بن رستم الفارسي غاصمتها تاهرت (776 - 784م) وقد تعاقب على الامارة الرستمية تسعة أمراء كان آخرهم يعقوب بن الأفلج (906 - 908). لكن الخلاف فرقتة في صفوف الإباضية الذين رفضوا تحول إمامتهم إلى ملك وراثي منذ عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن الذي حصر الملك

لأسرته، وتحول الاباضية إلى فرق وشيع داخل للذهب الأباضي، وضعفت الدولة لانعدام الديمقراطية والانشقاقات للذهبية حتى سقطت دولتهم سنة (297 هـ) على يد الشيعة الفاطميين.*

* * *

«المعتزلة»

ظهر المعتزلة في البصرة في مستهل القرن الثاني الهجري، أي منذ أواخر العهد الأموي، ويعتبر واصل بن عطاء مؤسس فرقة المعتزلة الكلامية، وتعددت الآراء حول سبب التسمية فمنهم من عزي ذلك إلى اعتزال واصل حلقة شيعة الحسن البصري فعرف أتباعه بالواصلية أو المعتزلة. والبغدادي، يرى أن التسمية جاءت لاعتزالهم اجماع الأمة في موقفهم من مرتكب الكبيرة بينما ذهب المسعودي، إلى أن قولهم بالمتزلة بين المنزلتين يعني اعتزال صاحب الكبيرة عن المؤمنين والكافرين.... الخ لقد كان للمعتزلة دورهم في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في المجالين الفكري والسياسي والاجتماعي، وكانوا رواداً للنظر العقلي في الاسلام، وكانت لهم الريادة في شيوع التيار العقلاني ومعاداة الحكومة الشيوقراطية المحافظة، لذلك لم تحظ أفكار الاعتزال برضى الخلافة السنية إلا في عهد الخلفاء المستترين كالمأمون والمعتصم والواثق. لقد أعتنى المعتزلة بالتأملات الفقهية، وهم أول من أخضع النصوص لقراءة صاحبة وحليدة،

* - للتوسع انظر الحركات السرية في الاسلام رؤية عصرية / د. محمود اسماعيل - دار القلم - بيروت - لبنان.

- الملل والنحل: 55/1

- اليمين واليسار في الاسلام - احمد عباس صالح - المؤسسة العربية للنشر - بيروت.

أنتهت بهم إلى براهين للتوفيق بين العقل والوحي أو «عقلنة الإيمان» ويقوم مبدأ المعتزلة على أصول خمسة - التوحيد - والعدل - والوعد - والوعيد - والمنزلة بين المتزلتين - والامر بالمعروف ونهي عن المنكر - والقول بخلق القرآن - الاستناد إلى أحكام العقل الذي يعرف كيف يميز بين الخير والشر . وقد اعتبر أهل الحديث ورجال السلف الموالين للخلافة المعتزلة مارقين سياسياً - فوضويين إجتماعياً - ضالين دينياً .

لقد أطلق المعتزلة العنان للعقل في التأويل والاجتهاد والاختيار ورفضوا الجبرية في الفكر، وبرهنوا على ما آمنوا له من تفسير لما ورد في القرآن بشأن تلك المسائل واستفادوا من الأديان الأخرى والفلسفات القديمة التي شاركهم في التفكير، كالفلسفة الاغريقية ومؤلفات الجدل النصراني الهليني . يعتبر أهم مبادئ المعتزلة هو القول بخلق القرآن وأصر المعتزلة على أن القرآن كلمة الله مخلوق، وهو بالتالي لا يمكن أن يكون أزلي كالله كما أنه بالتأكيد دونه ألوهية . ووفق هذا المذهب يجب أن يعطى العقل مكانته اللائق لاتاحة المجال أمام تطور الفكر الديني بدون حاكم موجة بوحى ديني . إن مآثرة المعتزلة التاريخية تتمثل .

1- العقلانية : أي اعلاء شأن العقل وتأسيسه على قواعد منطق جدلي باعتبار أن العقل هو قاعدة المعرفة، لذا أخضعوا كل شيء للنقد وحاربوا الخرافات والأساطير والشعوذة ونقلوا منها ما كان موجوداً حتى عند الصحابة .

2- التفكير العلمي : ومن مظاهر التفكير العلمي عند المعتزلة اعتمادهم على التجربة والشك وتفسير الظواهر الكونية على مبدأ السببية، فربطوا بين الأسباب والمسببات في ظواهر الكون وكانوا رواداً لفلسفة الاسلام كالكندي والفارابي وابن سينا كما مهدوا الطريق للحسن بن الهيثم وجابر بن حيان في تطبيق المنهج العلمي في العلوم الطبيعية .

3- ليبرالية الفكر المعتزلي، باعتباره يعلي مكانة الفرد ويدافع عن حريته في القول والعمل ويفسح المجال أمام العقل للاجتهد والاضافة والابداع وذلك باقرار مبدأ الاختيار الاكثر ديمقراطية، على نقيض الفكر «الجبري» المرادف للاستبداد والاحباط الذي لا يقيم وزناً للفرد. ويحوله إلى فرد خانع مستسلم «للقضاء والقدر» مهزوز الشخصية يميل إلى التواكل والتجارب تثبت العلاقة الوثيقة بين الابتكار والخلق وبين احترام التفرد والشخصية الانسانية، وما التقدم في مختلف الميادين التي أحرزتها الشعوب قديماً وفي مقدمتهم اليونان إلا أحد أسباب النزعة الفردية، كما لم يكن تخلف أوروبا في العصور الوسطى إلا نتيجة مباشرة لمحاصرة الروح الفردية وقتلها على يد الكنيسة الكاثوليكية.

4- الجدلية بين الفكر المعتزلي والعدالة الاجتماعية. فقد دافع المعتزلة عن العدالة الاجتماعية والمساواة بين مختلف أجناس المسلمين. فدافعوا عن الحريات الاجتماعية وسجلوا صفحات مضيئة ضد التمايز الطبقي حتى أن المسعودي أطلق عليهم «العدلية» كما عرفوا بأهل العدل والتوحيد.

5- دافعوا عن الاسلام دفاعاً عقلانياً برهانياً بمؤيدات منطقية، لا دفاعاً عاطفياً جبرياً مستنداً على العقيدة والعقائد فقط.

إن فكر المعتزلة السياسي يؤكد طابع الاعتدال المستنير، فالقول بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين الكفر والايمان يعني موقفاً وسطاً بين تطرف الخوارج الذين يكفرونه وبين تهاون أهل السنة الذين يجعلونه مؤمناً وبين المرجئة الذين يتوقفون في الحكم تنصلاً وهروباً من المسؤولية. لقد استقى المعتزلة معظم أفكارهم المبدئية من المقولات والاطروحات المضيئة السائدة في البصرة آنذاك، ففكرة الاختيار ومسؤولية الانسان عن أفعاله أخذها المعتزلة عن «القدرية»، وعن الجهمية أصحاب

جهنم بن صفوان المرجعي، كما أخذ المعتزلة القول بنفي الصفات، وعدم رؤية الله بالأبصار في الآخرة، وخلق القرآن.

لقد أراد المعتزلة تطبيق آرائهم وتعاليمهم عن طريق الإصلاح والارشاد ونبذوا العنف والثورة وسفك الدماء. ومن أهم شيوخ المعتزلة الموالي. واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد مؤسس المذهب، والجاحظ العالم المعتزلي ذو الثقافة الموسوعية. لقد واجه المعتزلة بطش بعض الخلفاء الأمويين لآرائهم الجريئة المستنيرة واعتبروا بني أمية مغتصبين للخلافة طغاة، مبررين حكمهم بفلسفة الجبر القائمة على الطاعة العمياء والاستبداد، لذا لجأ اللاحقون من شيوخ المعتزلة إلى التسرب للخلافة وترشيدها واحتوائها عن طريق العمل السري المنظم، ولقد نجحوا بالفعل في كسب واستمالة بعض الخلفاء الأمويين والعباسيين الإوائل وأصبح مذهب المعتزلة رسمياً للدولة في عهد المأمون والمعتصم والواثق، وأكثر من تعرض للاضطهاد في عصرهم الامام أحمد بن حنبل واتباعه وكل من قال «بقدم القرآن».

وفي عهد الخليفة المتوكل لاقى المعتزلة أشد أنواع البطش والاضطهاد واحرقت كتبهم وطغى المد السني وعلا شأن التطرف الحنبلي، وتشتت المعتزلة وانقسموا إلى عشرات الفرق. ولكن باستيلاء البويهيين على الحكم في العراق سنة «334هـ» عاد المعتزلة إلى النشاط من جديد لأن البويهيين كانوا شيعة وسيطر المعتزلة على السلاطين الجدد واعتنق عضد الدولة البويهي مذهب الاعتزال إلى صفوف الشيعة المعادية للخلافة السنية كالقرامطة والباطنية، وكانت الضربة القاضية للمعتزلة سنة «477هـ» على يد الموجة السلجوقية السنية الغازية التي استولت على بغداد وقضي على الاعتزال قضاء شبه مطلق، ولمع نجم الأشاعرة والمتصوفة وظهر الغزالي في هذا العصر لبقضي على بقايا المعتزلة ويغلب التيار السلفي، فانكفأ

المعتزلة في ميداني الفكر والسياسة على وجه الخصوص وبانكفائهم ضمرت العقلانية وخبأ ضوء الاستتارة الفكرية، وقضي على فكرة العدالة الاجتماعية، بل تعمقت فكرة التمايز بين الفئات الاجتماعية. ويعتبر سقوط المعتزلة بداية لنهاية الاحتكام للعقل والعقلانية واحتجاز للاجتهد والمثاقفة مع الذات العربية من جهة، ومع الآخرين من مختلف الحضارات من جهة أخرى. وتيسر المنهج العلمي الذي رسم المعتزلة مؤشرات الأولى المتمثلة في إخضاع النصوص والروايات والكتب لأسلوب علمي قوامه الشك والدراسة والتحليل.*

* * *

«الحركة الوهابية»

نشأت في منتصف القرن الثامن عشر، كان اسمها الحقيقي حركة «الموحدين» لدعوتها التوحيد لله، وعدم وجود الوسطاء بينه وبين الناس. وسميت الوهابية نسبة إلى مؤسسها محمد بن عبد الوهاب المتوفي سنة 1793م وهو من أهل «العيينة» بنجد في شبه الجزيرة العربية. وجوهر هذه الحركة هو الدعوة إلى «السلفية» واستلهاهم عقائد الاسلام من القرآن والسنة كما فسرهما الامام أحمد بن حنبل (855م) وابن تيمية (1243

* في تعريفنا للمعتزلة استعملنا المصادر التالية:

- الحركات السرية في الاسلام رؤية عصرية - د/عمرود السماعيل - دار القلم - بيروت - 1973.

- الملل والنحل: 55/1.

- فجر الاسلام - أحمد أمين / ص 296.

- عربي يفكر - حافظ الجمالي - اتحاد الكتاب العرب - 1982 - ص 165 - 170.

- 1328) وهو تفسير محافظ يلائم بساطة الحياة البدوية ويقلل من شأن العقل ومعطياته، خصوصاً ما يتعلق منها بالفلسفة. لقد كانت الروحية مذهباً متطرفاً للحنبلية، حيث رفضت كل البدع في الفرائض والعبادات وطالبت بالعودة إلى الكتاب وسنة الرسول فقط «البدعة تعني رأياً أو عملاً لم يكن معروفاً في السابق ولم تجر العادة على ممارسته». ومن الناحية الاجتماعية فقد كانت الروحية تخدم مصالح الوجهاء ومرهت علاقات الظلم والاستغلال. لقد كانت الروحية مذهباً نقيضاً مع سائر المسلمين حولهم إلى طائفة مترمة وأصبح التعصب لديهم مما أدى إلى ضيق انتشار هذا المذهب. ولكن رغم الطابع الفكري المحافظ للروحية فقد كانت إحدى حركات الإصلاح الديني التي لعبت دوراً في النضال ضد سيطرة العثمانيين على مقدرات الأمة العربية، ولقد تكونت التولية السعودية كثمرة لجهود هذه الحركة الدينية، وتجلى ذلك بالتعاون وبالمصاهرة بين محمد بن عبد الوهاب وبين جد الأسرة السعودية محمد بن منيع «المتوفي في سنة 1765».

* * *

«الفجر»

لقد تشكلت الجماعة الفجرية في الهند من اتحاد عدة قبائل تختلف في لهجاتها ومن المؤكد أن الفجر أو الرومين كما يسمون أنفسهم، هم من أصل آري، وقد أخذوا إسمهم من «راما» بطل ملحمة «راميانا» وهكذا فقد وصلوا إلى أوروبا باعتبارهم «أولاد راما». بدأت القبائل الفجرية بمغادرة الهند قبل «1500 سنة» إلى بلدين «إيران وأفغانستان» ومن هذه البلدان الثلاثة «الهند - إيران - أفغانستان» هاجر الفجر إلى بقية أنحاء العالم. لقد توجه الفجر إلى إيران بعد مغادرتهم الهند، وكان أول

القبائل الغجرية المهاجرة أفراد قبيلة «اللور» في القرن الخامس الميلادي تبعها في القرن الحادي عشر الميلادي قبائل غجرية أخرى. أما في أفغانستان فيشتهر الغجر هناك باسم «الغرباط» أو «القرباط» وهو الاسم الذي يعرف به الغجر أيضاً في ألبانيا واليونان ويوغسلافيا والمغرب وأمريكا وحتى في سوريا ولبنان، وينقسم العلماء حول أصل هذه التسمية، فبعضهم يعيدها إلى الأصل العربي «غربة» وبعضهم يعتبرها من أصل فارسي «غورب»، أي التغيب عن البيت أو عدم الحضور. وعلى كل حال يتفق العلماء هنا أن القرباط في أفغانستان والقارول في إيران والقرباط في سوريا يعودون إلى قبيلة واحدة. أما الآن فلم يبق من الغجر في إيران حوالي مدينة شيراز حسب التقديرات ما بين «12 - 100 ألف نسمة، وفي أفغانستان حوالي ألف عائلة».

لقد تحول الغجر إلى ضحية في أوروبا إذ وقف الجميع ضدهم، الدولة والكنيسة - القياصرة - البابوات - الاقطاعيون والفلاحون والرأسماليون. وهنا تجدر الإشارة إلى أن الغجر بطبيعة تكوينهم «الأنثى النفسي» واسلوب حياتهم يتجرؤون على اقتحام المخاطر والدخول في مناطق ممنوعة يتخوف الناس من ولوجها، مما يتعارض أحياناً مع قوانين الدولة واعراف المجتمع وبذلك يصبح كل ما يقوم به أو يمارسه الغجر مشبوهاً، لذلك جرت محاولات عديدة في أوروبا لاستئصال أسلوبهم الحياتي مما يعني في الواقع استئصال الهوية الاثنية للغجر.

الكنيسة منذ القرن الثالث عشر تهم الغجر ككفار أو كسحرة أو حتى كمساعدين للشياطين!! لهذا فقد وجد كثير من الغجر أنفسهم على المحارق، وخاصة في عهد محاكم التفتيش، ولقد استمر اضطهاد الغجر حتى نهاية القرن الثامن عشر. وعلى الرغم من كل المآسي التي لحقت بالغجر عبر التاريخ إلا أن أبشع كارثة تعرضوا لها كانت دون شك محاولة الاقناء في مرحلة الحكم النازي في ألمانيا والحرب العالمية

الثانية حيث تقدر عدد الفجر «15 مليون نسمة» ينتشرون في مختلف أنحاء العالم. إذ بعد شهور من الحرب العالمية الثانية بدأت الكارثة تلتهم آلاف القوافل من الفجر الذين كان يتم انتزاعهم من بيوتهم وتجميعهم في معسكرات خاصة، إلى أن يأتي دورهم لتقبل الخيار الوحيد: الموت، لا شيء إلا لأنهم ولدوا غجرًا. بعد ثورة أكتوبر الاشتراكية في روسيا 1917 برزت عدة محاولات للقيام بعمل ما لصالح الفجر إلا أن هذه المحاولات لم تحظ بالتأييد ومنذ ذلك الحين تأسست منظمات للفجر في عدة أماكن من العالم «الاتحاد الروسي للفجر» كما تأسس في هنغاريا سنة 1958 «اتحاد الفجر» ثم تأسست منظمات مشابهة في بقية (1) الدول كألمانيا الغربية وإسبانيا وفنلندا والسويد وفرنسا... الخ.

إلا أن تلك المنظمات لم يكن لها برنامج مشترك. يشتهر الفجر بقراءة الكف والفتجان ويعزفون على بعض الآلات الموسيقية، لديهم مهارة خاصة في تدريب الحيوانات. أسلوبهم فريد ومتغير في الحياة، ويعتقد الفجر أن حياتهم جميلة ومفعمة بالحرية كما يعتقد البعض أن للفجر ملكاً. إن قصة الفجر هي قصة المعاناة والحزن، ولكنها أيضاً قصة تحكي انتصار روح الإنسان على كل ما يضغط عليها. (2)

(1) - رحلة الفجر عبر التاريخ - وايكو جوريتس - العربي - عدد 364 - آذار 1989.

(2) - حديث عن الفجر - مسجل عن الإذاعة البريطانية - عام 1986.

«کردستان»

إن تسمية كردستان غير موجودة على خارطة العالم السياسية. فهذا مفهوم أثني جغرافي يشمل المنطقة الجبلية في آسيا الغربية التي يقطنها الأكراد بصورة أساسية. والقسم الكبير من أراضيها يقع في حدود الجبال الإيرانية. ونتيجة حروب عديدة جرى في عام 1514 تقسيم كردستان بين الإمبراطورية العثمانية وإيران. وبعد الحرب العالمية الأولى وانهيار الإمبراطورية العثمانية جرى ضم المناطق المأهولة بالأكراد إلى الدول التي نشأت على أراضيها: «تركيا والعراق وسوريا». إن الأكراد شعب عريق في الشرق الأدنى، وهم يقطنون إيران والعراق وتركيا وسوريا وكذلك بعض البلدان الأخرى «الاتحاد السوفيتي سابقاً لبنان أفغانستان» ويتراوح عددهم اليوم بين «20 - 25 مليون نسخة» واللغة الكردية من المجموعة الغربية للغات الإيرانية، ولها بضع لهجات: كورمانجي، سوراني، بهدينياني وغيرها ويعود أصل الأكراد إلى العرق الآري تميزت مصائر الأكراد التاريخية بالتعقيد فقد نهضوا عدة مرات للنضال ضد الظلم، وظلم ملوك إيران وسلاطين تركيا وغيرهم من الحكام الطغاة. إن حركة الأكراد في سبيل تقرير المصير ليست متجانسة في الوقت الحاضر، فثمة عشرات من المنظمات والأحزاب السياسية التي تتخذ مواقف مختلفة من القضية القومية. وبداية الستينات شن النظام العراقي حملة عسكرية على الشعب الكردي «عدد الأكراد في العراق «3.5 مليون انسان» وبعد التوصل إلى اتفاقية عام 1970 حول الحل السياسي للقضية الكردية وإعلان بيان 11 أيار توقفت الحرب، وعلى أساس هذا البيان صدر في آذار 1974 قانون الحكم الذاتي في كردستان العراق وتشكلت وفقاً له الهيئات

التشريعية والتنفيذية في منطق الحكم الذاتي الكردية ، ولكن الوضع تأزم من جديد في نهاية السبعينات وتحدد القتال بين قوات الحكومة والفصائل الكردية الثائرة ، وأضافت الحرب العراقية - الإيرانية تعقيدات جديدة إلى الوضع . كما أن عدم حل القضية الكردية في إيران ورفض حكومة الجمهورية الإسلامية الاستجابة لمطالب الأكراد والأقليات القومية الأخرى حول منع الاستقلال الإداري والثقافي أدت إلى صدامات مسلحة بين الأكراد وقوات نظام طهران في كردستان إيران . وتردد كل يوم فزة في الصحافة العالمية أنباء عن قيام الجيش التركي بعمليات مسلحة ضد السكان الأكراد في مناطق البلاد الجنوبية الشرقية في السنوات الأخيرة . إن الرأي العام التقدمي يطالب بحل القضية الكردية ومنح حق تقرير المصير لهذا الشعب الذي عانى ويعاني كثيراً من الولايات والحروب . وكما أن الأوساط التقدمية تضع أمام حركة التحرر الكردي المهمات الآتية : انتهاء سياسة وطنية قومية مستقلة ، وقطع العلاقات مع الرجعية ، ألا تكون ورقة في اللعبة السياسية لدى الأنظمة الحاكمة ، وتجنب الانجرار إلى صراعاتها على الأراضي لأن هذا لا يخدم مصالح الأكراد الفعلية ، عدم الارتهان لأية قوة امبريالية ، والتركيز على ما هو رئيسي ، تعزيز التضامن مع الشعب العربي من أجل تعبئة كل القوى للنضال في سبيل الديمقراطية والعدالة وتقرير المصير. (1)

إن حل القضية الكردية لا يمكن أن يتم إلا على أرضية ديمقراطية علمانية تتضافر فيها جهود كل قوى التقدم والحرية والسلام في البلدان التي يعيش الأكراد على أرضها . فانغلاق الأكراد وتعصيتهم القومي واستخدام لغة السلاح . بدلاً عن لغة الحوار يجلب الضرر لقضيتهم أكثر مما يجلب لها النفع .

(1) - حول الوضع في كردستان - مجلة الوقت / عدد 1 1989 - ص 173-177 .

الفهرس

• الديمقراطية.....42	• مقدمة.....5
• اليسار واليمين.....44	• السياسة.....7
• الماركسية اللينينية.....46	• للسياسوية.....11
• الستالينية.....48	• أهم المناهج السياسية.....11
• الثورة.....50	• علم الاجتماع السياسي.....13
• الثورة المضادة.....52	• النقد السياسي.....13
• الناصرية.....53	• الوعي السياسي.....15
• القومية والقومية العربية.....56	• الثقافة السياسية.....16
• العروبة.....59	• سمات القائد السياسي.....17
• الأصالة والمعاصرة.....60	• الفكر السياسي.....22
• الاستراتيجية.....62	• الطبيعة.....23
• التكتيك.....63	• النخبة.....24
• العقلانية.....64	• البيروقراطية.....26
• العلمانية.....65	• الراديكالية.....27
• العقل العلمي.....66	• الليبرالية.....29
• الايديولوجيا.....67	• الامبريالية.....30
• الصراع الايديولوجي.....68	• البرجوازية.....32
• النقد والنقد الذاتي.....69	• البرجوازية الوطنية.....34
• الثقافة.....71	• البرجوازية الصغيرة.....36
• النظرية.....73	• الانتهازية.....38
• العلاقة بين النظرية	• الدوغمانية.....39
• والواقع.....74	• الحرية.....41

114	• النازية.....
116	• الفاشية.....
117	• نظام الأبارتيد.....
118	• العنصرية.....
119	• الصهيونية.....
120	• الغيتو.....
121	• المعراخ أو التجمع.....
122	• الليكود أو التكتل.....
123	• الكيبوتزات.....
124	• الاشكنازيم.....
125	• اللسامية.....
	• ثورة الشعب الفلسطيني
126	• عام 1936.....
128	• يوم الأرض.....
	• مشروع الحكم الذاتي
129	• للفلسطينيين.....
132	• حلفاء اسرائيل.....
	• المصطلح السياسي
134	• والهزيمة.....
136	• لكل قطر جنوبه.....
	• أركان الدولة وعناصر
138	• قوتها.....
	• إشكالية وجود الدولة
139	• العربية.....
141	• السيادة.....
143	• الصراع الدولي.....
144	• هيئة الأمم المتحدة.....
146	• الفاتيكان.....

76	• الحزب.....
78	• المنهج.....
79	• منهج التجديد.....
81	• الديالكتيك.....
82	• المادية التاريخية.....
83	• الحداثة.....
85	• التوليتارية أو الكليانية.....
86	• الاوتوقراطية.....
86	• الفدرالية - الكونفدرالية.....
88	• التاريخ.....
89	• التاريخانية.....
90	• الانتلجنسيا.....
91	• الوعي والوعي التاريخي.....
92	• علم الاجتماع.....
93	• الزمن.....
96	• الأمتة.....
97	• التكنولوجيا.....
98	• التخلف.....
101	• التقدم.....
103	• فوات.....
103	• التقاليد.....
104	• الرموز.....
105	• الإبداع.....
105	• الحقيقة.....
106	• الرأي العام.....
109	• الوطن.....
110	• الحرب.....
112	• شوفونية.....

172	• الاغتراب
174	• حركة الأنوار
175	• الفلسفة
176	• الأسطورة
177	• انطولوجيا
178	• يوتوبيا
179	• الحياة
180	• الفن
181	• التخطيط
183	• سكان لبنان
183	• الموارد
185	• المذهب الشيعي
189	• الخوارج
192	• المعتزلة
196	• الحركة الوهابية
197	• الغجر
200	• كردستان

149	• منظمة الأوبيك
151	• جامعة الدول العربية
155	• العالم الثالث
157	• حلف السنتو
158	• اليونسكو
159	• صندوق النقد الدولي
161	• الضريبة
163	• الكومبرادور
	• العملات الصعبة لماذا
164	• هي صعبة
165	• الأزمة الاقتصادية
167	• التاريخ الاقتصادي
	• العلاقة الجدلية بين البنية
168	• التحتية والبنية الفوقية ...
169	• الأمن الغذائي
170	• الاشتراكية
171	• العمل الاشتراكي

هذا الكتاب

تتردد في الكتب والدراسات والمقالات الكثير من المقولات والاصطلاحات والصيغ التي في غالب الأحيان تحتاج إلى معرفة مسبقة بمعناها ومضمونها أو مراجعة بعض القواميس، وإلا فإن القارئ سيضطر إلى القفز من فوقها، مما يتسبب في ضياع المقرئ المطلوب.

لذا رأينا في سبيل المزيد من الوضوح أن نلخص ونشرح بعض هذه المفاهيم والأفكار والمصطلحات التي تلبد في تحديد المعاني وكسب الفائدة الختمة. ومن هذه المفاهيم والأفكار ما هو فلسفي واجتماعي وتاريخي ومنها ما هو سياسي واقتصادي.

للطباعة والنشر والتوزيع

بمطبع ب.ب. ١٢٤٨

٥١٢٨١٦٨ - ٣٠١٤٨١١



الطبعة